الوعي الإسلامي

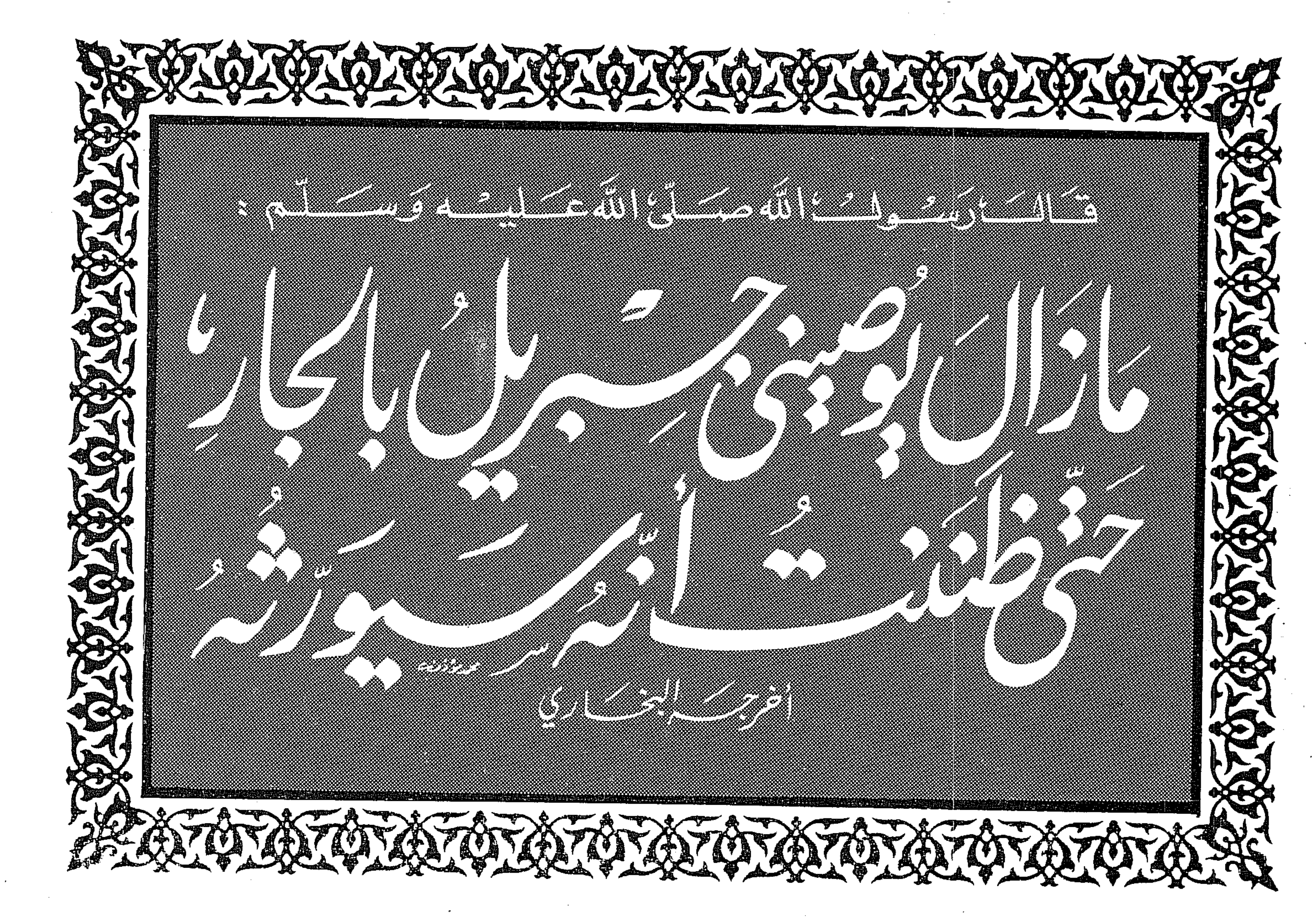
إسلامية ثقافية شهرية

العدد: ٢٣٣ جمادي الأولى ١٤٠٤ هـ فبراير ١٩٨٤م



ورقة من مصحف كريم مخطوط كتبت بالحبر على ورق، مزينة بالألوان والذهب، تونس،
القرن الرابع الهجري من سورة المؤمنون: قسم من الآية ٤٩ حتى جزء من الآية ٥١

هديتك مع العدد مجلة براعم الإيمان


قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ
حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ
أخرجه البخاري



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٣٣ ـ جمادي الأولى ١٤٠٤ هـ . (فبراير ـ مارس) ١٩٨٤ م .

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٣٨٩٣٤ ـ ٢٤٦٦٣٠٠

الشركة العربية للتوزيع (ش .م .ل)
ص .ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 I.E

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريـالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريـالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنـان	ليرة ونصف
ليبيـا	١٣٠ درهما
تونـس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدن العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم



ألا له الخلق والأمر

٢

● الفئة الأولى: وقد سبق الحديث عنها حسبها وصف القرآن الكريم بأنها أضل من الأنعام سبيلا .

● أما الفئة الثانية: فإنها تؤمن بالله وهم يرون قدرته ماثلة في أنفسهم وفي الكون من حولهم يتأملون الجنين معزولا بلا راع ولا مرعى فيؤمنون بأن من خلقه وصوره يرعاه . ينظرون إلى اللبن المصفى أخرجه الله من بين الفرث والدم خالصا نقيا سائغا للشاربين ، وإلى قدرة الله في الثعبان يتمتع بالحياة والسم القاتل يملأ فاه . وإلى النخل مشقوق النوى من غير أن يشقه انسان .

وإلى نوع من النبات يجف مع التعهد والرعاية ومثله في الصحراء يعيش بدون سقاية أو ماء .

وإلى صحيح يموت من غير علة وإلى مريض يعيش العمر الطويل ، ينظرون إلى البحر المسخر بإذن الله وإلى الليل منتظما مع النهار وإلى البدر ينشر النور من الأفق البعيد . وإلى الشمس تبعث الدفء والضياء من آلاف الأميال . يطالعون ذلك وغيره فيرون الكون مشحونا بأسرار قدرة الله وذلك انسجاما مع دعوة القرآن الكريم إلى التدبر والنظر فيما يحيط بالانسان :(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت) سورة الغاشية ١٧ ـ ٢٠ .

● **هذه الفئة من الناس لم تعمل بمقتضى الايمان القائم على النظر والتأمل .**

بهرتهم الحضارة المادية . استولت على فكرهم وصرفهم ذلك عن الدين . وكلما انطلقت سفينة في الفضاء فتنوا بها . وصفقوا لكل كشف جديد ، وغاب عنهم أن الحضارة المعاصرة أساسها الاسلام،هو الذي وضع بذرتها ، وقد سقاها ونماها الأوائل من علماء الاسلام ثم تركها المسلمون لغيرهم يجني جناها ويحوز فخر نسبها ـ غاب عنهم أن الاسلام من أول يوم دعا الى العلم ، بل جعله فريضة على كل مسلم وأشاد بالعلماء ورفع درجاتهم ليعيش المجتمع المسلم في جو علمي تزدهر فيه الحضارة في مجالات الحياة ، وتزداد به الأمة وعيا بعظمة الله في خلقه وتمسكا بكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

غاب عنهم ان الحضارة المادية الحالية تغاير حضارة الاسلام . وفرق بين حضارة تقوم على العدل والتراحم والخير ، وبين وحضارة تتسابق في انتاج اسلحة الدمار وابادة البشر كما حدث في هيروشيما وكما رأينا الدفن الجماعي في صبرا وشاتيلا وافغانستان ..

هذه الصور نقلت في برامج حية عن طريق الأقمار الصناعية في لحظات ، ومما يعصر القلوب بالأسى والألم أن هذا النقل لم يكن للتحذير أو الاستنكار أو الدعوة . إلى مقاومة المعتدين ، واسعاف المنكوبين ، ولكنه كان للتسلية والترفيه والدعاية للتقدم المادي دون النظر الى ما وراء ذلك من خراب وتدمير كما كان الروم والفرس في التاريخ القديم ، يشعلون النار في ثياب العبيد والأسرى للتسلية في

محافلهم كما كانوا يقيمون حلقات المصارعة بين الانسان والوحوش ، ويجدون لذة متجددة في مشاهدة الانسان الجريح وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة .

ومما لا شك فيه أن التقدم العلمي المعاصر مع ما فيه من مساوئ ، فيه جانب للخير يعود على البشرية بالنفع في مجالات كثيرة ، وفرت هذه الحضارة العديد من المتاعب والمعاناة ويسرت للناس أمور الحياة ولكن لا ينبغي أن يأخذ بريقها الألباب أو أن يصرف الأنظار عن المنهج الالهي الذي يتحقق به التوازن بين الجانب الروحي والجانب المادي فالمزاوجة بين الروح والمادة لها فاعلية إيجابية في سعادة الانسان في الدنيا والآخرة، أما المادية المحضة فانها لا تنشيء قيما ولا تحقق فضائل والروحية المحضة فيها تعطيل للقوى المسخرة لبني البشر :

﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ . ٧٧ / القصص .

● اما الفئة الثالثة:فهم المؤمنون حقا ، لا تزيدهم الكشوف العلمية إلا إيمانا بالله واستقامة . يظهر أثرها في الاخلاق والمعاملة ، وكلما ظهر كشف مادي جديد قالوا لولا قدرة الله ما توصل الفكر الانساني إلى الذرة وما انطلق صاروخ أو تحركت سفينة في الفضاء غير أنهم ينزعجون من انغماس الناس في متع الحياة ، ومن ابتعادهم إلى حد ما عن دين الله ، يخافون من أن يتأثر ضعاف النفوس من المسلمين بالدعاوي الضالة التي يرددها أعداء الاسلام اتهاما له بالتخلف والسلبية .

والحق أنه لا خوف على الاسلام لأنه الدين الذي ارتضاه الله لهذه الأمة ، وضمن له الخلود ببقاء القرآن ، وحفظه إلى يوم الدين .

قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ / الحجر / ٩ .

إن انتصار هذا الدين مع ضعف أهله وعجزهم عن حماية أنفسهم وحمايته دليل على قوته الذاتية ، فمبادئه غزت مجاهل افريقيا مجردة من المال والسلاح ومظاهر المغريات ، وانتصرت على أعداء الاسلام هناك بما معهم من ذهب ومدارس وامكانات فوقفوا مبهورين أمام هذا الدين ، وهو يجتذب الملايين وينتشلهم من بؤرة الكفر والالحاد إلى قمة الهداية والايمان .

الحضارة التي لمعت بوارقها في القرن المعاصر والعلم المادي الذي اتسعت

ميادينه لم تتحقق بهما سعادة الانسان ولا طمأنينة البشرية بل إن البلاد التي ارتفع فيها مستوى المعيشة وتيسرت فيها مطالب الحياة تشكو من التعاسة ، وتحس بالضيق والمعاناة .

والناس فيها يحيون حياة قلقة مضطربة ويلجأ كثير منهم الى الانتحار تخلصا من العذاب النفسي الأليم .

لأن العلم المادي أغفل الجانب الروحي فعجز كل العجز عن توفير السكينة للنفوس ، أو إشاعة الرحمة والتعاطف في المجتمع ، وبالتالي أصبحت الحياة شهوة عارمة لا ترتوي وصراعا مسعورا وجوعا في الأرواح لا يعرف أمانا ولا قرارا ، أما الاسلام فقد سما بالانسان ولبى حاجاته المادية والروحية من غير افراط ولا تفريط وراعى فطرة الله التي فطر الناس عليها . ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ليس هناك شك في أن القرن القادم هو عصر سيادة الاسلام وانتصار منهجه وأكد ذلك الكاتب الفيلسوف الانجليزي المشهور (برناردشو) بقوله « وادركت أن محمدا جاء برسالة لا مثيل لها ولا يريد منصبا ولا جاها وهذه الحروب ضده غير منصفة لأن الاسلام دين الحقيقة .

واعتقد أنه الدين الذي سوف يسود العالم في وقت مقبل إذا تعرف عليه العالم بلا تعصب - فالتعصب يعمي القلوب عن الحقيقة . والاسلام هو الحقيقة التي جاء بها محمد ليجمع العالم على الحب والسلام والحق والعدل » .

فالغيورون على هذا الدين لهم أن يتفاءلوا بالتقدم العلمي لأنه يأتي بأدلة جديدة تخدم قضايا الاسلام وتبرز فضله على الناس .

لهم ان يستبشروا وهم يرون الأعداد الهائلة من ملحدين ومن مفكرين وعلماء غير مسلمين يعتنقون الاسلام عن يقين ومن غير أن يدعوهم إلى ذلك أحد وصدق الله العظيم:﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ الرعد/١٧ .

أعزنا الله بالاسلام ووفقنا لطاعته والاعتصام به ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

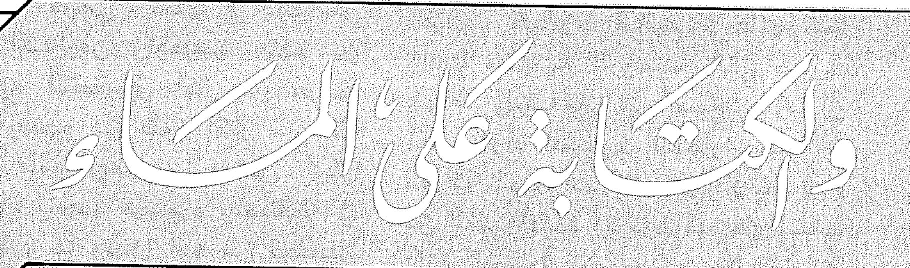
رئيس التحرير

حسن فلاح

أصول الدين

حقيقة التدين :

هناك فرق بين الدين والتدين ، فالدين قائم ولكن الأخذ به والتدين بمقتضاه قد يكون او لايكون ، وعدم التدين هو طمس لحقيقة كامنة في أعماق الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، ومن علامات ذلك وبيناته ان المرء يزداد اطمئنانا كلما ازداد تدينا ، ذلك لأنه عندئذ يتلاءم مع حقيقته الكامنة ، أي حدث اتزان وتناسق مع طبيعته ، او كما قال شاهد ليس من أهل الاسلام والفضل ماشهد به الغير . وهو **الفيلسوف اليوناني القديم بيكتيت** حيث قال : **الاتجاه الى الله يجب أن يكون مستمرا كما يكون التنفس** ، ولذلك يضل الانسان طريقه عندما تفقد نفسه هذا الاتزان مالم يسارع بالعمل على اعادتها الى فطرتها ، وقد يحاول البعض تخدير الفطرة او تنويمها ، او ايجاد بديل غير سليم للاتزان ، بالمخدرات وماشابهها مما يعتبر هروبا من الواقع الذي لا تتم سلامته بغير التدين الصادق ، وماهذا التخدير للنفس او الهروب بها الا محاولة لاعطائها جرعات من السعادة الوهمية الى لحظات لاتدوم ، ومن أجل هذا قد



للأستاذ / محمد لبيب البوهي

نلحظ كثرة مايصيب الذين يلتمسون هذا الطريق غير الطبيعي من الاضطراب او القلق النفسي فيعودون الى جرعات تخدير أكبر كالشاعر الذي قال :

فداوني بالتي كانت هي الداء .

ولكن لن يكون هناك دواء على الاطلاق ، فالفاقد للاتزان بسبب الانحراف عن طريق الفطرة لن يصل أبدا الى الاطمئنان النفسي وهذا هو السر في عدم قدرته في اكثر الأحيان على الخروج مما اوقع نفسه فيه من البدائل الحسية .

حقيقة عالم الحس ..

وعالم الحس ليس هو العالم الطبيعي الذي خلق له الانسان تماما بل هو وسيلة الى الغاية الطبيعية التي من أجلها خلق الانسان ، ولها أعدت فطرته ، فليس عالم الحس هو حقيقة الحياة الانسانية السليمة فالانسان هو روح أودعها الله في الجسم البشري لتحقيق ذاتها وتقدير المكانة التي تستحقها عند الرجوع الى عالمها ، وأعد عالم الحس لها ليكون مواد اختبار او امتحان تؤدي من خلاله رسالتها ويكون الفرق بين نفس وأخرى

بقدر ما تحققه كل منها على انفراد في هذا الامتحان الأرضي ، مثلها في ذلك مثل تلاميذ المدارس والمعاهد منهم من لايستطيع التحصيل أكثر من مرحلة أولية ، ومنهم من يفوز أكثر من ذلك بدرجات علمية ومنهم من يفشل .. وكل من هؤلاء يتحدد مصيره ومستقبله في حياته بقدر ما وصل اليه من تحصيل خلال دراساته في الكتب والأوراق .

الانسان ضيف في الأرض الى حين :

هذا المثل يعطينا فهما عن حقيقة استخلاف الانسان في عالم التراب الذي هو انتداب لفترة مؤقته ، نعود بعدها ومعنا ماقمنا بتحصيله ليوضع في موازين التقدير .. أو بمعنى آخر فإن الانسان هو ضيف في هذه الأرض ، والضيف دائما حين ينزل بدار الضيافة يهيأ له سكن الى حين ، وليس له أن يدعيَ ملكية هذا السكن عند مضيفه كما يهيأ له ثوب لفترة الاستضافة ، وهذا الثوب هو الجسد الذي أعطى للروح لتلبسه في فترة ضيافتها الأرضية وشأنها شأن الضيف تماما حين يترك كل ما يخص دار الضيافة عند عودته ، فالمسكن هو عالم الأرض والثوب هو جسده وقد استعاره من تراب الأرض ... فاذا اتجهت كل العناية الى عالم الحس فحسب ، فذلك تكريس الجهد كله للعناية بالمسكن دون شخصية ساكنه .

***

ومخالفة ماتقدم هو أمر مخالف للفطرة وعندئذ يحدث الاضطراب وفقدان الاتزان ، ومن أجل ذلك نجد الذين يكرسون كل حياتهم للمتاع الحسي في حرمان من صفاء النفس واطمئنان القلب ، كلما زاد اقبالهم على عالمهم كلما زادت متاعبهم الروحية التي صارت خواء ، ولذلك فإنه قد أصبح معلوما أن أكثر أفراد الشعوب انتحارا ورغبة في مفارقة الحياة هم أكثر أهل الأرض ثراء من الذين تهيأت وتوفرت لهم كل أسباب المتع الحسية فلا يرون سبيلا لالتماس الراحة الا بالخروج من هذا الذي استهلكوا فيه حياتهم .

المدد الدائم من نهر الإيمان ..

والقلب البشري مثله كمثل عين ماء عذب ، يأتيها المدد دائما من نهر جار فاذا لم يأتها المدد فسد الماء وتعفن ، والمدد لايأتي الى هذه العين الا من نهر الإيمان الذي يجدد حياتها فتزكو وتتغذى الروح وتسطع فيها أنوار الفطرة ومن هذا المدد الذي يجب ان يكون مستمرا ذكر الله والصلاة وغير ذلك من العبادات . وكما يمرض البدن ويزداد ضعفا وهزالا اذا منع عنه الغذاء حينا فإن الأمر كذلك بالنسبة الى الروح اذا حرمت غذاءها .

ولنعد الى عين الماء التي انقطع عنها مدد النهر فاخذت الرمال والأحجار تتساقط فيها فتسد منافذها وقنواتها التي يأتيها منها المدد ، وهذا مايحدث للقلب الذي نجد أن الشهوات والنزوات بالنسبة اليه مثلها كمثل الأحجار التي اغلقت منافذ المدد لعين الماء ومتى فسد القلب فسد كل شيء ، فيحرم النور ، ويتخبط صاحبه في مسارب ظلمات الحياة .

والسبب في عدم قدرة الكثيرين على

علاج هذا الوضع والتماس الطريق السليم هو ان النفس لبست ثوبها الترابي تماما واستمر ـ هذا العالم ولم تلتمس الحصانة وتركت نور الفطرة تتراكم عليه الحجب حجابا بعد حجاب حتى توارى النور تماما .

الحصانة لصيانة الفطرة ..

والحصانة النفسية لاتكون الا بأن يصبح التدين عادة ملازمة لها فالعبادة دائما تتأكد بالعادة والمداومة حتى لا تجد النفس لذتها الا فيها فالانسان لايستطيع أن يحيا بغير متعة والعبادات تحقق للروح هذه المتعة فاذا تركها المرء اندفع الجسد الى متعه الحسية التي لاتدوم ، والتي تنتهي به ان آجلا أو عاجلا الى أهوال المتاعب ... ومن هذا ندرك حكمة تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم في تعليم الأبناء الصلاة من السابعة وهي سن لا يستطيع الصغير في اغلب الأحيان ان يدرك او يتقن اصولها ولكنها ضرورة حتمية لتكوين العادة التي سوف تلازمه ، وكلما تقدمت به السن تكشفت له حكمة هذه العبادات التي تعودها .

ولو رجع كل منا الى نفسه لوجد انه حفظ كلمات او أشياء او آيات او أحاديث في سن الصغر ، وانها ظلت كامنة في أعماق النفس دون ان يدرك لها او لأكثرها المعنى الحقيقي ، فلما تقدمت به السن كانت قد ظلت معه كما يبقى النقش على الحجر الذي استمر آلاف السنين منذ عصور الفراعنة ، على حين أن أكثر مايكون من التوجيه او الوعظ او الارشاد في سن الكبر هو كالكتابة على سطح الرمال المتحركة سرعان ماتأتي عليها الرياح ، او كالكتابة على الماء التي لن تتم ابدا ..

تجربة شخصية ..

وقد لحظت في نفسي انني على حين أصبحت كثير النسيان لما أقرأ أو أحاول حفظه أو حتى مايكون من العمل من أيام قليلة مضت وان ذلك ينطوي سريعا في ظلمات النسيان ، بينما مازلت أذكر كلمات او ابياتاً من الشعر او أحاديث او حتى منادمات مع بعض الإخوان مما يكون قد مضت عليه الأعوام الطوال فانني استطيع ان استعيدها كأنما هي حدثت لفورها وماكان غامضا من المعاني وقتها أصبح الآن واضحا يؤتي ثماره في التوجيه اوالعمل فكثيرا ما أنتفع بما حفظت منذ عشرات الأعوام من عهد الطفولة ولم تأت عليها الأيام التي أتت على اكثر ما هو قريب .. ان التعلم والتعليم في الصغر مدخرات في مصار ف النفس تحفظها له وتعيدها اليه مضاعفة فيسحب من مصارف المعاني والذكريات والتوجيهات مما كان قد ادخر .

فروع شجرة المعرفة ..

مما سبق يتبين ان المعارف الانسانية هي بذور لأشجار المعرفة تنمو بها المواهب وتتكشف عن فوائد جليلة لم تكن عند وقتها القديم في عالم الحسبان ، ومن هنا نجد أنه لو أمكن الاحتكام الى الفطرة السليمة لما اختلف الناس في أديانهم ، ولا وجدوا شكا أو اختلافا كثيرا في مدركاتهم لأن طبيعة الفطرة لدى الجميع واحدة على حد سواء ، ولو حدث شيء من

هذا لما اتخذوا الأديان والمذاهب المختلفة سبيلا للتنازع والصراع ، فالفطرة هي مرآة صافية يعود لها صفاؤها الطبيعي متى ازيح عن سطحها غبار الأحداث .. وهذه الفطرة هي لدى المؤمن والملحد والشيخ والصبي والمرأة والرجل بدرجة لاخلاف فيها .. إنما الخلاف يأتي بعد ذلك من صنع الانسان بنفسه وبما يراكم على سطح هذه المرآة مما يطمس معالمها .. فالحقيقة الأولى التي لاجدال فيها والتي هي البذرة الأولى في شجرة المعرفة ان الطفل لايحتاج الى ارشاد أو توجيه حين ينظر الى مقعد أمامه فهو يدرك تلقائيا وعلى الفور انه لابدلهذا المقعد من صانع وأن المقعد لايستطيع أن يصنع نفسه .

ومن هذه البديهية الأولى يبدأ اول شعاع من نور الفطرة التي لم يطمسها شيء بعد ، وليس على المرء كما تقدم الا ان يظلل هذا الشعاع حتى يسطع وينمو ويزداد ولا ينطفيء بل تفتح له الأبواب والنوافذ ليضيء لصاحبه طرق الحياة الأولى والآخرة .

من أين يأتي الخلاف ؟ ..

ان فطرة التدين إذن كافية في النفس ، والإجماع قائم عند الناس اجمعين على وجود خالق للكون ولو وقفوا عند هذا الحد واطاعوا الخالق لما اختلفوا ولطابت لهم وبهم الحياة ، ولكن الخلاف كان نتيجة رغبتهم في معرفة ذات ذلك الخالق العظيم ، وازداد الخلاف بسبب أنه لكل طائفة رأي ولكل عقل رأي ونظر وطريق استدلال يناهض الآخرين ، فرأي قوم أنه روح عظمى لا يستطاع الوصول اليها ، ولكن مانستطيعه هو ان نتمثلها قائمة بينهم ويتخذون لها صورة تذكرهم بها فكانت بداية عبادة الأصنام والأوثان .. وقال قوم آخرون بل نتمثل الخالق قائما في الشمس والكواكب واختلف عن هؤلاء وهؤلاء من قالوا بل نتمثل ذلك الخالق في مظاهر قوى الطبيعة وقال غيرهم بل نتصوره الها واحدا ولكنه جالس في السماء ، ولم يوافق على ذلك آخرون فقالوا بل انه حلّ في أجساد بعض أهل الأرض وغير ذلك مما جعل العقول تذهب مذاهب شتى وتبدد طاقاتها ، وتفرقت السبل بسبب تخطي هؤلاء لحدود الفطرة ومحاولة ارتياد متاهات لم يخلقوا لها .

الطريق الوحيد للحق المبين ..

وعندما نزل القرآن العظيم كان الناس يتيهون في هذه المتاهات وهم في حرب وصراع ، فجاء القرآن ليأخذ بيدهم الى الطريق الواحد القويم الذي لا طريق سواه ، فخاطب الانسانية في كل زمان ومكان بقول الله تعالى : (**فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لايعلمون**) . ٣٠ / الروم .

وقال القرآن للانسان حيث كان،ناهيا إياه عن هذا التيه والضلال العقلي الذي جعل الناس شيعا بلا مبرر انه على ضوء الفطرة لايكون مع هؤلاء : (**الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا**) . ١٥٩ / الأنعام .

ولمنع اللجاج وتحميل العقل مالا يحتمل ومادام الإجماع على وجود خالق

للكون قائما فيجب تنحية الظنون والخرافات والأوهام التي تقيم الضباب أمام أشعة الضياء فقال : (**اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم**) . ١٣٩ / البقرة .

فما دام الجميع على يقين بوجود خالق، فلماذا الضرب في المتاهات .. ؟

ولكن الخلاف أخذ يشتد ووجد اقوام في هذا الخلاف غذاء للنفوس المريضة بل لقد استعذب البعض هذا الخلاف كما يجد الأجرب لذة في حك جلده .. فنشأت مذاهب عجيبة وفلسفات لاحصر لها لم تصل بأحد الى نتيجة ثابتة ومن الغريب ان البعض قد بدأ في محاولة لمعرفة حقيقة وجود الله فاذا به ينتهي الى إنكار وجوده سبحانه . واسترسل أقوام في الزعم بأن الكون قديم وانه ليس فيه غير مادته وحول هذه المادة تدور النواميس الأبدية التي تنبع من ذاتها تلقائيا .

الضلال الفلسفي :

والغريب كذلك أن الفلاسفة وهم دائما مغرمون بالحوار والجدل قد يأخذ الشيء الواحد منهم مجلدات في الدوران حوله حتى تتبدد طاقات الفكر في متاهات الحوار وبحار الجدل ، وتظل الفلسفات عبر القرون والأجيال تدور حول نفسها بدليل أنه رغم مرور آلاف السنين لم يقترب أكثرهم في قليل أو كثير مما جاءت به الكتب السماوية ، إنهم لن يطمئنوا إلا أن يجلس الله معهم كما يريدون حول مائدة مستديرة ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

وفات الفلاسفة أن الكتب السماوية لم توجد لتكون مادة جدل وحوار كما يبغون ، وإنما هي تنير السبيل للعقل ليتخذ طريقه على هدى الفطرة التي خلق الله الناس عليها ولا سبيل إطلاقا لسكينة النفس وراحة البال واطمئنان القلب إلا على هذا الهدى الذي يأخذ بيد الانسانية نحو رشدها وسعادة وجودها فمتى تيقن العقل على ضوء فطرته من وجود الخالق فلا معنى إذن للشك أو الجدل العقيم ، فما دام هناك إقرار جماعي بوجود الصانع فهذا يكفي : (**أم خُلِقُوا من غير شيء أم هم الخالقون**) ٣٥ / الطور .

ولا يمكن في هذا المجال أن نتغاضى عن محاولات بعض الفلاسفة في الاقتراب من هذه الغاية .. مجرد الاقتراب ، ثم لا شيء بعد ذلك ، وإليك نبذة في هذا السبيل من حديث الفيلسوف سقراط مع تلميذه أرستوديم وأسلوبه الطريف في هذا الحوار الميسر الممتع :

سقراط : قل لي يا أرستوديم أتعرف رجالا تعجبك منهم مهارتهم وجمال صنائعهم ..؟

أرستوديم : نعم إني أعرف بعض الذين أبدعوا في صناعاتهم ..

سقراط : أخبرني عن بعض هؤلاء يا أرستوديم ..

أرستوديم : يعجبني ما أبدع الشاعر هومير ، والمصور بزوكيس ، وصانع التماثيل بيولكتيف ، وغيرهم .

سقراط : أي الصناع أولى في نظرك بالاعجاب ؟ الذي يخلق صورا بلا عقل ولا حراك أم الذي قد يستطيع أن يبدع كائنات ذات عقل وحركة وحياة ..؟

أرستوديم : يقينا يعجبني أعظم العجب إذا استطاع أن يجعل فيما يصنع عقلا

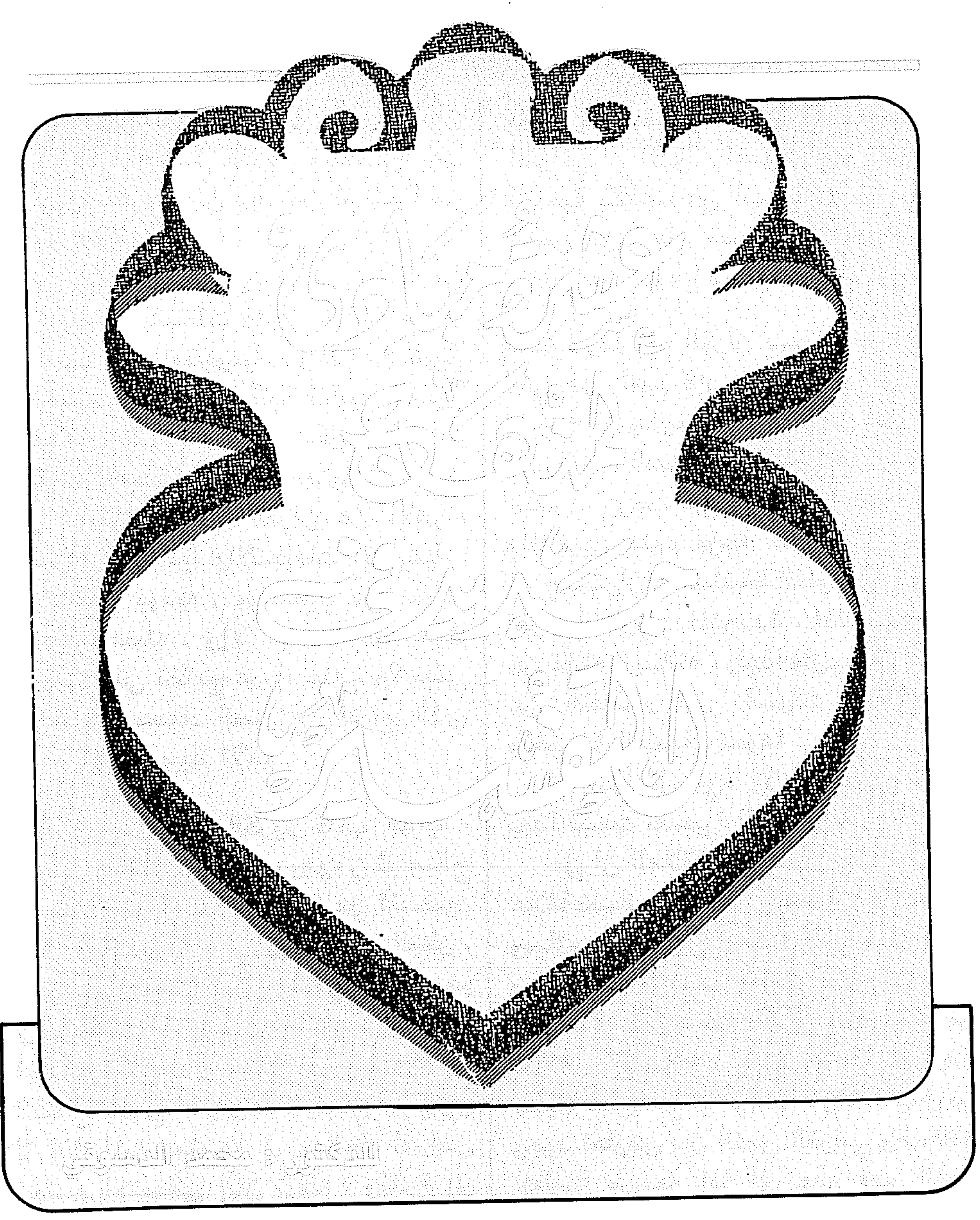
وحركة وحياة .
سقراط : ألا ترى يا أرستوديم أن الذي فطر الناس قد أعطاهم ما لديهم من الأعضاء وجعل لهذه الأعضاء غايات خاصة ؟ فأعطاهم العين للنظر ، والأذن للسمع . وهل كنا ندرك الروائح إذا لم تكن لنا أنوف ؟ وهل كنا نعرف حلاوة الحلو ، ومرارة المر لو لم يجعل ذلك الصانع لنا اللسان مهيئا لهذه الطعوم ؟
أرستوديم : إنني أوافق على هذا يقينا ..
سقراط : ثم ألا ترى يا أرستوديم من دلائل تبصر هذا الصانع أن تكون الأعين لرقتها وسهولة تأثرها قد جعلت لها الأجفان تقفل وتفتح بالإرادة وتنسدل على العينين عند النعاس ، وقد غطيت أطرافها بالرموش التي هي أشبه بالغربال لتحميها شر الرياح ، وأن الحواجب قد صنعت لتمنع تساقط العرق عليها .

وهكذا استمر الحوار مما لا يتسع له المجال إلى أن قال سقراط : كل هذه الأشياء التي صنعت بحكمة وتبصر أتعزوها يا أرستوديم إلى المصادفة ؟ هل تستطيع هذه الأعضاء تحديد وظائفها ؟
أرستوديم : لا وحق الإله « جوبيتر » إن الانسان إذا نظر إلى ذلك لا يستطيع أن ينكر أن صانعها يعرف ما يصنع ويحكمه بإرادة وقدرة .
ولا يفوتنا أن ندرك أنه بالرغم من هذا الإقرار لا ينسى أرستوديم أن يقسم بالإله الذي يعتقد أنه صانع هذا فيقول لسقراط : لا أنكر ذلك بحق « جوبيتر » فالمسألة ليست إلا مجرد إقرار بوجود صانع يراه كل فريق على زعمه ، وما يتوهم ، فوجود الإله لا يحتاج إلى براهين ، لأن ذلك مركوز في الفطرة دون حاجة إلى جدل ، كل ما هو مطلوب هو أن ندع الفطرة تنمو وتتفتح بالرعاية على طريق قويم .

إن العقيدة بوجود خالق واحد أحد له كل صفات الكمال والجلال والجمال تولد مع الانسان ثم تنمو ، وتتفتح بالرعاية ، وتزداد بهذه الرعاية إشراقا ووضوحا ، وتتحول إلى نور يهدي صاحبه وقد تفضل الخالق فضلا منه ورحمة بأن يهدي الراغبين من عباده في التماس سبل الرشاد إلى ينابيع هذه السبل : (**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**) ٦٩/ العنكبوت
فلم يقف الأمر عند حد الفطرة الكامنة بل بعث الله الكريم الودود فوق هذا بالرسل وبالكتب المقدسة لتهيئة المناخ الصالح لنمو بذرة النور التي استودعها في أعماق النفس ، ولتطهيرها من الشوائب التي تعلق بها في الحياة الأرضية .. ويظل الانسان بعيدا عنها بنور الفطرة **مهتديا بها إلى سواء الصراط مسلما** وجهه لله وهو محسن ، حتى يصبح الإحسان في الأقوال والأعمال والأحوال ، موقنا بنصر الله في الدنيا والآخرة ـ ما دام لم يشرك بربه أحدا ولا شيئا .
ولنقف عند قوله تعالى :

(**قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض**) ١٠/ ابراهيم

وهذه الآية وحدها كافية كي تدحض الاتجاهات المذهبية الضالة والفلسفات التي تجهد نفسها لتأخذ بأيدي أهلها إلى جدل عقيم ..



للعلماء والباحثين في الماضي والحاضر آراء كثيرة في المنهج الأمثل لتفسير كتاب الله ، وهذه الآراء على كثرتها وصعوبة استقرائها تكاد تلتقي عند مبادىء أساسية أو قواعد عامة ينبغي على كل من يقدم على شرح الكتاب العزيز أن يأخذ بها ، وقد حاولت حصرها فيما يلي :

أولا : إن التجرد من الأهواء الفكرية والشخصية عماد كل بحث علمي سليم ، فالمفسر للقرآن عليه أن يكون موضوعيا لا يخضع لتصورات ومفاهيم خاصة ؛ لأنه إن

لم يفعل ذلك فلن يقرأ بين دفتي القرآن المجيد إلا ما يشغل فكره ، ويستحوذ على عقله ومشاعره ، ولن يجد من ثم شيئا من رائحة القرآن .

إن تاريخ التفسير يشهد بأن طائفة من الآراء التي اشتملت عليها مؤلفاته مردها إلى البعد عن الموضوعية ، وذلك عن طريق استخدام الآيات القرآنية لتأييد الفرق والخلافات المذهبية ، وقد شغل هذا الأمر الأمة بما لا يجديها في دينها ودنياها ، فعلينا إذن أن ننزه تفسير القرآن عن الأهواء والأغراض الذاتية والاتجاهات الاقليمية ؛ لكي ننتفع بهديه ، ونستقيم على سبيله ونعتصم بحبله ، وإلا ابتعدنا عنه شيئا فشيئا ، حتى نصبح غرباء عنه ، ولا يبقى بأيدينا غير حصاد الصراع والنزاع الذي يذهب الريح ويبيد الأمم .

ثانيا : إن القرآن الكريم كتاب هداية ، ومنهاج حياة للناس كافة ، وهو من ثم صالح لكل عصر وبيئة ، وكان واجبا على المسلمين في كل زمان ومكان أن يرددوا فيه النظر ، وأن يعولوا عليه في التماس الحل لما يواجههم من مشكلات ، ويجد في حياتهم من اقضية وأحداث ، وهم لن يبلغوا ما يريدون من الانتفاع بهدي القرآن كما ينبغي أن يكون إلا إذا ألموا بمنهجه في معالجة أمراض المجتمع الانساني إبّانَ نزوله ، وكانوا إلى هذا على صلة وثيقة بواقعهم ، وما يضطرب فيه من أفكار وأحداث ، وذلك لكي يكونوا على معرفة بسنن الله في خلقه ، ولكي لا يبعدوا بتفسيرهم عن الغاية الأولى من إنزال القرآن ، وهي هداية الناس إلى صراط الله المستقيم .

وعلى قدر ما يتاح للمفسر من خبرة بالنفس الانسانية يكون تفسيره للنص القرآني أدق وأعمق ، وهو من هذه الناحية يكشف عن أسمى ما جاء به هذا النص من معان تسمو بها تلك النفس ، وتنأى عن الدنايا وسفساف الأمور .

ثالثا : وما دام القرآن دستور حياة يهدى للتي هي أقوم فإن على كل من يتصدى لشرحه أن يحرص أبلغ الحرص على تجلية أصول هذا الدستور ووسائل تطبيقها في دنيا الناس ، ووجب على المسلمين وعلماء الدين والمفكرين منهم بوجه خاص أن يحذروا الزج بالقرآن في استنباط العلوم الكونية ، أو إقرار النظريات المتجددة ، فذلك خروج به عن غايته ورسالته ، ولهذا قال بعض العلماء عن التفاسير التي أسرفت في الاهتمام بالقضايا العلمية ونحوها :

إن فيها كل شيء إلا التفسير ، فكأنها بهذا ليست تفسيرا لكتاب الله .

على أن العلاقة بين القرآن والعلم ليست علاقة تضاد وخصام ، وإنما هي علاقة وئام وسلام ، فحديث القرآن عن العقل والتفكير ومكانة العلماء يؤكد بلا مراء أن العلم بمعناه الشامل دعوة القرآن ، وفريضة من فرائض الإسلام ، ومن هنا لا تتعارض حقيقة علمية مع آية قرآنية ، وما قد يقال من وجود تعارض بين النص القرآني والحقائق العلمية مرجعه إما إلى عدم فهم النص المقدس فهما صحيحا ، وإما إلى أن ما يقال عنه حقيقة علمية ليس كذلك .

إن الخطأ الفادح يكمن في الادعاء بأن لكل ظاهرة علمية آية تتحدث عنها أو تومىء إليها ، فهذا لون من الاعتساف في التفسير ، وهو ما يجب أن ننأى بكتاب الله عنه ، وألا نخلط بين الحرص على التفكير العصري في

فهم القرآن ، والحرص على الربط بين الأفكار والنظريات العلمية والآيات القرآنية ، فهذا شيء وذاك شيء آخر .

رابعا : لقد نزل القرآن بلسان عربي مبين ، ولا سبيل إلى فهمه بغير التمكن من اللغة العربية متنا وقاعدة وأسلوبا وبيانا ، على أن يكون تفسير القرآن مع هذا ملتزما بالتوافق مع دلالة المفردات والتركيب اللغوي ، وفقا للمعجم والقواعد السائدة في المرحلة التاريخية التي نزل فيها مع ملاحظة الدلالة القرآنية للمادة اللغوية عن طريق استقراء ورودها في القرآن كله ، وتدبر سياقها في السورة والآية .

وتأسيسا على هذا يكون التأويل الذي لا يتوافق مع قانون العربية كالتفسير المذهبي والإشاري ، والزعم بأن للقرآن ظاهرا وباطنا-تحريفا له عن مواضعه ، ولا يمكن أن يسمى تفسيرا .

خامسا :إن القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، وهو من ثم لا يعرف تناقضا أو اختلافا بين آياته ، بل إن هذه الآيات يأخذ بعضها بحجز بعض ويفسر بعضها بعضا ، وما نزل منها متأخرا مبني في المعنى على ما نزل متقدما كما يرى الإمام الشاطبي (انظر الموافقات جـ٣ ص٢٤٤) .

وكان هذا الرأي للشاطبي هو منطلق الدعوة إلى تفسير القرآن موضوعا موضوعا ، والذهاب إلى أن العمل التفسيري لا يكون كامل الدقة إلا إذا جمعت الآيات المتعلقة بموضوع واحد وفق ترتيبها في النزول ، وإلى جانبها السنن والآثار التي تعرضت لهذا الموضوع .

وتحمس لهذا اللون من التفسير الموضوعي بعض المعاصرين ، وظهرت فيه مؤلفات لا بأس بها ، ولا شك في أنه منهج سديد في فهم القرآن ، وتيسير الإلمام بموضوعاته وأحكامه ، بيد أن هذا لا يعني أن منهج القدماء وبعض المحدثين في تفسير القرآن ؛ طوعا للترتيب المعهود منهج عقيم ، أولا يكشف عن القضايا والأحكام القرآنية التي توزعتها الآيات والسور في ترابط وتناسق وشمول . فما غفل أصحاب هذا المنهج وهم يفسرون القرآن عن الترابط بين الآيات التي تتحدث عن موضوع واحد ، ثم إن ترتيب الآيات - وهو توقيفي - يعني أن بين موضوعات القرآن تناسبا وتماسكا . وأن ذكر آية تتحدث عن الجهاد مثلا بعد آية تأمر بالركوع والسجود وفعل الخير ليس من باب ذكر موضوع عقب غيره لا يلتقي معه في أصل من الأصول ، أو وجه من الوجوه ، فكل آيات القرآن تمثل وحدة يشد بعضها بعضا أو أصولا يجمعها أصل واحد ، ولهذا سيبقى لمنهج الأقدمين من حيث جانبه الشكلي رسالته في خدمة النص القرآني ، كما أن لمنهج المعاصرين رسالته كذلك في خدمة هذا النص المقدس .

سادسا : وإذا كان القرآن يفسر بعضه بعضا فإن هذا التفسير ليس مقصورا على موضوع واحد تكرر ذكره في كتاب الله في أكثر من آية ، ولكنه ينسحب على كل ما اشتمل عليه القرآن من أحكام ؛ بمعنى أن المفسر لا يشرح آية شرحا يتعارض مع آية أخرى ، وإن اختلف موضوع كل منهما ، فليس في هذا الكتاب المحكم اختلاف أو تعارض بين آياته وأحكامه ، ومن ثم كان الترابط بين تعاليم القرآن أمرا لا مناص

منه ؛ درءاً للتناقض أو الاضطراب في تفسير الكتاب العزيز .

إن من يحاول مثلا تفسير قوله تعالى :(**إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) البقرة/ ٦٢ دون أن يربط هذه الآية بغيرها من الآيات التي تحدثت عن عالمية القرآن ، وأنه دعوة للناس كافة ، وأنه هيمن على كل الكتب التي خلت قبله ، وأنها أصبحت بعد نزوله منسوخة ، وأيضا دون أن يربطها بهذه الآية :(**إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد**) الحج/ ١٧ - إن من يحاول أن يفسر تلك الآية دون أن يصل بينها وبين ما أومأت إليه هذه الآيات فإنه يخطيء في التفسير حين يرى أن هؤلاء من الذين هادوا والنصارى والصابئين أصحاب عقيدة صحيحة وإن لم يرتضوا الإسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم دينا ؛ لأن في ذلك تناقضا بين آيات القرآن وأحكامه ، وينتهي بنا إلى أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعضه الآخر ، ولا علاقة لهذا الموقف الذي لا يجامل في الحق بمبدأ التسامح والحرية الدينية في الاسلام ، فهذا المبدأ شيء ، والتناقض في درس تعاليم هذا الدين شيء آخر .

وهكذا في كل آيات القرآن لا ننظر في بعضها دون أن نصل بينها وبين سواها من الآيات ، فهي كلها متعاونة متكاملة في تقرير الأحكام التي ينهض عليها منهج القرآن في بناء الشخصية الإنسانية بما يؤهلها لعمارة الأرض بالحق والعدل والإخاء والفضيلة .

سابعا : وكما أطبقت كلمة العلماء على أن القرآن يفسر بعضه بعضا أجمعت على أن السنة النبوية بمفهومها الشامل بالنسبة للقرآن أشبه ما تكون بالمذكرة التفسيرية بالنسبة للقانون .

إن من المجمع عليه أن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن مقصورة على التبليغ ، وإنما كانت إلى هذا بيان ما يحتاج من آيات القرآن إلى توضيح ، ومن ثم كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو المفسر الأول للقرآن ، فسره بسنته قولا وعملا ، فلا بد لمن يرغب في تفسير القرآن من أن يلم أولا بتفسير الرسول ؛ لأنه يبين عن ربه ، وليس بعد بيانه بيان ، ومن أعرض عن هذا التفسير ، فلا يحق له أن يقول في كتاب الله كلمة واحدة ، وكان من الأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

إن دراسة السنّة النبوية والإلمام بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك حياة صحابته الذين عاينوا التنزيل ، وعرفوا مناسبات النزول لكثير من الآيات ، فضلا عن دراسة البيئة المادية والمعنوية التي نزل فيها القرآن - ضرورة لا غنى عنها لمن يفسر كتاب الله ، على أن يكون حذرا في قبول بعض المرويات ، ولا يأخذ منها إلا ما كان صحيحا لا شبهة فيه من وضع ونحوه .

ثامنا : إن الدعوة إلى التجديد لا تقتضي نبذ القديم كله ؛ لأن أولى مراحل التجديد هي قتل القديم بحثا وفهما ، فما كان منه ملائما لعصرنا ولا يعكس ثقافة خاصة ، أو هوى مذهبيا فهو زاد علمي نعض عليه بالنواجذ ، وما لم يكن كذلك عذرنا أصحابه ، واعترفنا لهم بفضل السبق على ما كان منهم من

عثرات وهنات ، وليس من المنهجية العلمية أن نحكم على تراث الأجيال الماضية بمفاهيم وموازين عصرنا ، فلكل عصر قيمته الفكرية وموازينه العلمية . وقد لاحظت أن بعض الذين يدعون إلى التجديد في التفسير وغيره من العلوم الاسلامية يتهمون القدامى بما لا يليق أن ينسب إليهم ، فهم على كل حال خلفوا لنا تراثا علميا - وإن شابته بعض الشوائب - ما زال شامخا لم يستطع جهد المعاصرين أن يحجب قوته وتأثيره ، بل إنه في الحقيقة ما زال عالة عليه .

إن القدماء أدوا واجبهم نحو كتاب الله على ما لهم من ميول مذهبية أو اتجاهات فكرية ، وعلينا أن نحاول أداء الواجب كما فعل السلف دون الوقوع فيما وقعوا فيه ، ولا يدفعنا الحرص على التجديد إلى تشويه عطاء هؤلاء العلماء الذين لم يدخروا وسعا في خدمة كتاب الله ؛ وفقا لثقافتهم وأوضاع عصرهم .

تاسعا : إن العمل التفسيري يحتاج إلى دراسات متنوعة ، يتعلق بعضها باللغة العربية وعلومها ، ويتعلق بعضها الآخر بالعلوم التاريخية والجغرافية والاجتماعية والنفسية والطبيعية .. الخ حتى يتوافر لهذا العمل كل أسباب الدقة والصحة ، ولما كان التبحر في هذه العلوم جميعها لا يبلغ إليه إنسان في عمره المحدود كان التعاون بين العلماء ضرورة مفروضة ، وكان العمل الجماعي في التفسير أهدى سبيلا من العمل الفردي .

عاشرا : والعمل التفسيري بعد هذا ينبغي أن يكون قوة محركة للعمل ، ودعوة صادقة للتطبيق ، وليس مجرد معلومات جافة باردة لا تعرف طريقها إلى الحياة الواقعية .

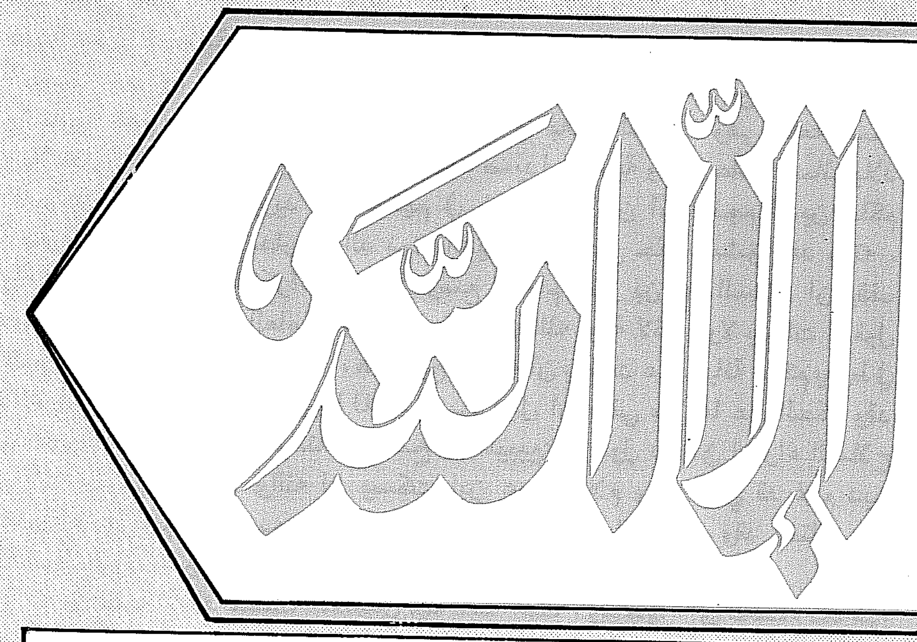
والمفسر الذي يعيش القرآن سلوكا عمليا ، وشعورا جياشا بالعاطفة الاسلامية ، شعورا ينبثق عنه العمل الذي لا يعرف الكلل من أجل أن تعلو كلمة الله في الأرض - هذا المفسر هو الذي يقدر على أن يكون تفسير القرآن على يديه روحا تبعث في الانسان الحركة الدافعة لطاعة الله والاستمساك بدينه والدعوة إليه وليس ترفا عقليا أو متعة ذهنية ، فالعلم في الاسلام ليس غاية في ذاته ، إنه وسيلة لخشية الله ، وسيلة للعمل الذي يقرب من الخالق ، ويعمر الأرض ، ويحمي رسالة الخير فيها ، ولا يفهمن أحد أنه يصبح من أجل ذلك لونا من المواعظ أو الدردشة التي تسبح في عالم من الشطحات والتهويمات ، وإنما هي الدراسة التي تجمع بين الفكر والفؤاد ، وتربط بين العقل والضمير ، وتثير الذهن كما تثير الشعور ، إنها تلك الدراسة التي تربى الانسان تربية خاصة فلا تكون حقائق العلم أمامه مجرد نظريات وقوانين جافة لا تشدها إلى فاطر الأرض والسماء مشاعر اليقين وروح الإيمان ، ومن هنا تكون الحقيقة العلمية - أيا كان لونها - في خدمة العقيدة ، تشد أزرها ، وتدفع عنها رياح الشك ، أو نزغات المروق والعصيان .

وبعد فتلك هي المبادىء العامة التي دلت عليها آراء العلماء على تباينها حول منهج جديد للتفسير ، منهج يستجيب لتطورات الفكر ، ويواكب أحداث الحياة وظروف العصر ، وفي الوقت نفسه لايجافي التراث ، أو يشيح بوجهه عنه ، إنه المنهج الذي يجمع بين الأصالة والمعاصرة على هدى وبصيرة .



مرت على العالم الاسلامي في القرن الخامس والسادس والسابع الهجري فترات محزنة اشتدت فيها الفتن والمحن من الداخل والخارج ، ولكن لم يخل هذا الجو الحالك من شموع تضيء الطريق وتبدد الظلام ، ونجوم زاهرة يهتدى بها التائهون في الليل الدامس وقمم شامخة يلجأ اليها الخائفون الهاربون من سيول الظلم والفساد ان تجرفهم ، ومن قوافل الشر والفتنة ان تهلكهم فيعتصمون بها ، وقد تصدت هذه القمم لكل انواع الظلم والاستبداد ، وسلطت أنوارها الكاشفة على دياجير الظلام فتبين للناس طريقهم الصحيح فيتجنبون الوقوع في الحفر والمستنقعات .

من هذه القمم الامام ابو محمد عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي الملقب بسلطان العلماء والمشهور بالعزبن عبدالسلام ، فقد كان رضوان الله عليه إماما في الدين والفقه ، قويا في الحق زاهدا في الدنيا مخلصا لأمته ودينه ، وتشهد فتاويه واجتهاداته الفقهية على الفهم العميق للدين والبعد عن التعصب المذهبي ، والإحاطة التامة بمرامي الشريعة وأهدافها ، فعلى الرغم انه شافعي المذهب فإنه تحرر من ربقة التقليد الأعمى ، واتجه نحو الاجتهاد في كثير من المسائل الفقهية معتمدا على قوة الدليل ورجحان الحجة في القول الآخر ، وأرجع الفقه كله الى اعتبار المصالح ودرء المفاسد ، وندد بأولئك الذين يتعصبون لمذاهبهم من الفقهاء على الرغم من ضعف الدليل في مذهبهم وقوته في المذهب الآخر ، فقال في كتابه قواعد الأحكام : (ان من العجب العجيب ان الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ أمامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعا ، ومع هذا يقلده فيه ويترك من



للأستاذ / عبد القادر بن محمد العماري

الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبه جمودا على تقليد إمامه ، بل يتحلل لدفع ظواهر الكتاب والسنة ، ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالا عن مقلده) . وهو يدعو الى ترك هؤلاء المقلدين وعدم إضاعة الوقت في مناقشتهم فيقول : (فالبحث مع هؤلاء ضائع مفض الى التقاطع والتدابر من غير فائدة تجديها ، وما رأيت أحدا يرجع عن مذهب إمامه إذا ظهر له الحق في غيره ، بل يسير عليه بضعفه وبعده فالأولى ترك البحث مع هؤلاء الذين اذا عجز أحدهم عن تمشية مذهب إمامه . قال : لعل إمامي وقف على دليل لم اقف عليه ولم اهتد اليه ، ولم يعلم المسكين ان هذا مقابل بمثله ، ويفضل لخصمه ما ذكره من الدليل الواضح والبرهان اللائح ، فسبحان الله ما اكثر من أعمى التقليد بصره ، حتى حمله على مثل ما ذكر ، وفقنا الله لاتباع الحق أينما كان وعلى لسان من ظهر) .

وعندما تولى الخطابة في الجامع الأموي بدمشق من قبل الملك الصالح اسماعيل في ربيع الآخر سنة ٦٣٧هـ . وكان منصب الخطابة في الجوامع الكبيرة في العالم الاسلامي ومنها الجامع الأموي بدمشق منصبا خطيرا مرموقا ، فلا يتولاه الا كبار علماء العصر ، فأول ما قام به الامام العز بن عبدالسلام ان ابطل صلاتي الرغائب والنصف من شعبان ، اللتين اعتاد الناس إقامتهما في الجامع ، لأنه لم ترد بهما سنة صحيحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يلبس الجبة السوداء ولم يدق على السيف اثناء الخطابة ولم يلتزم السجع في الخطابة ، والغى

الثناء على الملوك والسلاطين فيها ، وبعد سنة واحدة من تولي الامام العز بن عبدالسلام الخطابة ، اي في سنة ٦٣٨هـ . قام الملك الصالح اسماعيل الذي ولاه الخطابة بخطوة خيانية في حق الاسلام والوطن ، وهي تحالفه مع الصليبيين ، وتسليمه لهم بعض المواقع الاستراتيجية في بلاد الشام ، وهي قلعة صفد وبلادها ، وقلعة شقيف وبلادها ، ونصف صيدا وطبرية وجبل عامل وسائر بلاد الساحل ، وذلك لانه يريد مساعدتهم في خلافه مع ابن أخيه نجم الدين حاكم مصر ، لأن اسماعيل حارب والد نجم الدين ووثب على حكم دمشق بعد موته ، وأمام هذه الخيانة النكراء ، هل في وسع الامام العز بن عبدالسلام ان يقف صامتا ، وهو سلطان العلماء الذي لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يسكت في قول كلمة الحق في أقل الأمور شأنا ، هل يبيح لنفسه أن يسكت على خيانة حاكم يفرط في بلاد المسلمين ، ويسلم ثغورها للأعداء من أجل أن يبقى متربعا على الحكم وقد تمادى هذا الحاكم في خيانته ، فسمح للصليبيين بدخول دمشق لشراء السلاح وآلات الحرب ..؟؟ لا والله لن يسكت ابن عبدالسلام وهو الذي قد فهم دين الاسلام على وجهه الصحيح ، وقد اصبح مشعلا ينير الطريق ، وقد اختلط حبه للاسلام والمسلمين بلحمه ودمه .

فعندما ازداد غضب المسلمين مما فعله الملك ، وتوجهوا الى العلماء كما هي عادتهم عند كل مصيبة تصيبهم ويطلبون منهم الحل ، لأنهم هم القادة الحقيقيون للجماهير ، كانت أول خطوة خطاها ابن عبدالسلام أن أصدر فتواه أولا : **بتحريم التعاون مع الصليبيين ، وتحريم بيع السلاح لهم** ، وقاد المعارضة القوية ضد السلطان ، وأرسل الى نجم الدين حاكم مصر رسالة يحثه فيها على الجهاد ، ويدعوه الى أن يتحرك بجيوشه الى الشام ، وحذره عن التخاذل والقعود عن الجهاد في سبيل الله وأخذ يجتمع بأنصاره ويحثهم على مواصلة المقاومة ، حتى اذا كان يوم الجمعة وأمتلأ الجامع الأموي الكبير على سعته بالناس ، وقد أنتظروا ماذا سيقول الامام في خطبته عن هذا الحدث الجلل والخطب الفادح الذي يهدد بلاد المسلمين ، وعندما دخل الامام ورقي المنبر ، تطلعت اليه الانظار وأشرأبت اليه الأعناق ، فبعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي عليه الصلاة والسلام ، ذَكَّرَ الناس بالجهاد وفضله ، وكيف أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه جاهدوا المشركين حتى علت كلمة الله ، وبلغت دعوة الاسلام الى المشرق والمغرب ، وأورث الله المسلمين البلاد وجعلهم خلفاء الأرض ما أقاموا الدين واستقاموا على طريقته ، فلما غيروا ما بأنفسهم غير الله عليهم فسلط الأعداء على بلادهم ينقضون أطرافها ويستأثرون خيراتها ، ويسومون أهلها الخسف والهوان ، ويذيقونهم ألوان العذاب ابتلاء من الله ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ، وأن آخر هذه الأمة لا يصلح الا بما صلح به أولها ولم يصلح أولها الا بالجهاد في سبيل الله ، ثم ذكر ما أوجب الله على المسلمين من طاعة أولى الأمر منهم ، ليستقيم به معاشهم ومعادهم ، وما أوجب على أولى الأمر من النصح

للاسلام وأهله والقيام بحماية بلادهم وسد ثغورهم حتى يأمنوا على دينهم ، فأيما سلطان أو أمير أو ملك فرط في حفظ بلاد المسلمين وعرضها للوقوع في أيدي الكافرين ، فقد أبرأ ذمة الله والمسلمين ، وخلع بيده طاعتهم له وظلم نفسه ، وعلى المسلمين أن ينصروه ظالما كما ينصرونه مظلوما ، ونصر الظالم دفعه عن ظلمه ، والحيلولة بينه وبين ما أراد من أن تضيع بلادهم وكسر شوكتهم ، وتحكيم الأعداء في رقابهم ، وتمكين هؤلاء من القضاء على ما في قلوبهم من عزة الدين ونخوة الاسلام ، ثم تلا قوله تعالى : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يُوَفَّ إليكم وانتم لا تظلمون)** . الأنفال ٦٠ .

وبين ما فرض الله على المسلمين من اعداد الأسلحة وآلات القتال ورباط الخيل . واتخاذ الأساطيل في البحر وسائر وسائل القوة ، وتحققوا مصداق قول الله تعالى : **(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)** المنافقون : ٨ ، ثم خلص من هذا فذكر تحريم بيع السلاح للعدو تحريما باتا لا رخصة فيها ولا استثناء ، وندد بعلماء السوء الذين يفتون الناس بالباطل ويحرِّفون الكلم عن مواضعه ، ويشترون بآيات الله ثمنا قليلا ، ويجبنون عن الجهر بكلمة الحق ويخافون الملوك ولا يخافون ملك الملوك وقال : « أيما مسلم باع لعدو سلاحا أو أعان على بيعه لهم ، فقد خان الله ورسوله وخان المسلمين » وتلا قوله تعالى : **(ومن يتولهم منكم فإنه منهم)** . المائدة : ٥١ ، مرددها ثلاثا .

وفي الخطبة الثانية : جعل يدعو أن يعز الاسلام وأهله ومن دعائه : اللهم أبرم لهذه الأمة ابرام رشد يعز فيه أولياؤك ويذل فيه أعداؤك ، ويعمل فيه بطاعتك وينهي فيه عن معصيتك ، والناس يضجون بالتأمين والدعاء ، وخرج الناس من المسجد ولا حديث لهم الا خطبة العز بن عبدالسلام وأشفقوا على مصيره ، وقد كان الملك غائبا عن البلاد ، فكتبوا اليه بما قاله ابن عبدالسلام في خطبته ، فكتب الى نائبه بعزله عن الخَطابة ، وألقاء القبض عليه وسجنه ، حتى يرجع الى دمشق ويرى فيه رأيه ، وكان أنصار الإمام قد نصحوه بأن يغادر البلاد وأبدوا استعدادهم لمساعدته على الهرب ، فامتنع وقال : والله لا أهرب ولا أختبيء وانما نحن في بداية الجهاد ، وقد وَطّنتُ نفسي على احتمال ما ألقى في هذا السبيل ، والله لا يضيع أجر الصابرين ، فقبض على الشيخ وسجن ، فثار الناس ، وكان قد أوصاهم قائلا : غيروا بأيديكم ما لم أقدر على تغييره بلساني ، وادفعوا هذا المنكر من بيع السلاح الى الأعداء الكافرين وابطشوا بمن يغشى منهم سوقكم للابتياع واحتسبوا عند الله أجركم ، فانتشرت الاضطرابات في البلاد وحوادث الاغتيال لأعداء الاسلام من الصليبيين الذين يدخلون في حماية الملك لشراء السلاح ، حتى تطور الأمر الى أن يقتلوهم جهرة في الأسواق ، وألزم الأفرنج الملك بدفع دية كل من يقتل من رجالهم ، فزادت ــ التكاليف على الملك ، وخشي من حلفائه أن ينقضوا

العهد معه فاضطر لاطلاق سراح الشيخ ابن عبد السلام وأمره بالإقامة في بيته لا يتصل بأحد ، ولم تتوقف الاغتيالات ضد الافرنج ولا هدأت النفوس فنفاه الملك الى خارج البلاد ، فخرج قاصدا مصر ، وعرج على الكرك ، قد أرسل الملك بعض خواصه ليلحق بالشيخ ويلاطفه ويحاول الاتفاق معه على العودة واصلاح الأمور ، وأن يعود الى مناصبه ، وكان مما قال له الرسول ، فما عليك الا أن تعتذر للسلطان وتقبّل يده لا غير ، فقال له الشيخ : والله يامسكين ما أرضاه أن يقبّل يدي فضلا عن أن أقبّل يده ، ياقوم : أنتم في واد وأنا في واد ، الحمدلله الذي عافاني مما ابتلاكم به ، وفي أثناء إقامته في الكرك اتصل بصاحبها الملك الناصر داود ، فطلب منه التعاون مع ملك مصر نجم الدين لإزاحة الملك اسماعيل من الشام وطرد الصليبيين حتى أقنعه بذلك ، ولما وصل الى مصر عمل كل ما وسعه من حث الملك نجم الدين على تخليص الشام من الأعداء وإزاحة الملك اسماعيل عن دمشق فوجد قبولا لدى نجم الدين ونجحت مساعيه ، فما طفق نجم الدين الذي عرف بالنشاط والإخلاص للاسلام أن يجرد الحملة تلو الحملة الى الشام ، ويبعث القواد من مماليكه ، فاستولى على غزة والسواحل والقدس ثم سلمت له دمشق وهرب الملك الصالح اسماعيل من دمشق ، ومما يجدر ذكره انه بعد ذلك وقع اسماعيل في الأسر عندما اشترك في غزو مصر ، عندما اصبح الحكم فيها للملك عز الدين أيبك ، أعدم الملك الصالح بموجب فتوى من الشيخ ابن عبد السلام جزاء خيانته لله ولرسوله ، وبيعه بلاد المسلمين للصليبيين .

وفي مصر قام الشيخ على عادته في الجهر بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اذ ما كان يأتي من الشام ليسكت في مصر ، فعندما رأى استبداد بعض المماليك وسطوتهم نظر فوجد أن هؤلاء المستبدين انما هم لازالوا أرقاء ولم يعتقوا بعد ، وقد نُصّب هو قاضيا للقضاء من قبل السلطان نجم الدين أيوب فبدأ يبطل العقود التي يعقدونها من بيع وشراء وزواج وطلاق ، فتعطلت مصالحهم وضاقت بهم الحياة ، وكان من جملة هؤلاء المماليك الذين لم يثبت عتقهم نائب السلطنة فاستشاط غضبا وثار واجتمع المماليك وارسلوا الى الشيخ يستفسرونه ماذا ينوي بهم ، فرد عليهم بأنه قد حكم برقهم لأنه لم يثبت عتقهم ، وانهم يعتبرون ملكا لبيت مال المسلمين ، وان الطريق الصحيح للحل هو ان يعقد مجلسا وينادي عليهم لبيت مال المسلمين ، ويحصل عتقهم بطريق شرعي ، ولما رأوا إصرار الشيخ على ذلك رفعوا الأمر الى السلطان ، فطلب السلطان منه أن يتركهم وشأنهم فلم يرجع الشيخ عن رأيه ، فغضب السلطان وقال : « لا يجوز لابن عبد السلام أن يحكم هذا الحكم القاسي على امراء الدولة ونائب السلطنة ، وليس ذلك من اختصاصه » . ولما رأى الشيخ أن السلطان قد اعترض على حكمه ، أقال نفسه من القضاء وخرج هو وعائلته من البلاد قاصدا الشام ، وانتشر الخبر في البلاد فجاء الناس ومشوا خلف الشيخ في مظاهرة كبيرة يودّعونه وهو يغادر القاهرة ، ويشدون من أزره ، وعلى رأس هذه المظاهرة العلماء والتجار ولم يتخلف صبي ولا امرأة ولا صغير ولا كبير

الا لحق بالمظاهرة ، وقد سبب ذلك انزعاجا للسلطان ، إذ وقف جميع الناس مع الشيخ ، حتى قيل للسلطان متى راح ابن عبدالسلام ذهب ملكك ، فركب السلطان بنفسه ولحقه واسترضاه ، وطيّب خاطره ، فرجع واتفق معه على ان ينادي على الأمراء في المزاد ، وحاول نائب السلطنة ان يبعد عن نفسه وجماعته مهانة العرض أمام الجمهور والمناداة عليهم بالبيع ، فأرسل اليه يلاطفه فلم يرجع عن حكمه ، فاشتد غضب هذا النائب ، وصاح كيف ينادي علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض ؟ والله لأضربنه بسيفي هذا فركب بنفسه على فرسه وأخذ معه جماعته ، وجاء الى بيت الشيخ والسيف مسلول في يده ، وطرق الباب فخرج ولد الشيخ ، ورأى من الوزير ما رأى ، فعاد الى أبيه يخبره وهو خائف على والده ، فما انزعج الشيخ ولا أكترث بالأمر وقال : « ياولدي ابوك أقل من أن يقتل في سبيل الله » . ثم خرج الى خارج بيته بقامته السامقة وشخصيته المهابة التي فرضت نفسها على الآخرين ، فما أن صادف وجهه وجه نائب السلطنة حتى ذعر النائب وارتعد وسقط السيف من يده وبدلا من ان ينفذ نائب السلطنة وعيده على الشيخ بكى أمامه واستعطفه وجرت بينهما هذه المحاورة :

- قال نائب السلطنة : ياسيدي خبر أي شيء تعلمه ؟
- قال الشيخ : أنادي عليكم فأبيعكم
- قال النائب : فيم تصرف ثمننا ؟
- قال : في مصالح المسلمين
- قال النائب : من يقبضه ؟
- قال : أنا

فتم له ما أراد ، ونادى على الأمراء واحدا واحدا وغالى في ثمنهم وقبضه وصرفه في وجوه الخير ودفعوا الثمن عن بعضهم بعضا وأعتقوا .

وهناك قضية أخرى كانت سببا في توتر العلاقة بين السلطان والشيخ ابن عبدالسلام وهي قضية تتعلق بوزير السلطان معين الدين ابن شيخ الشيوخ ، ويعد من اكبر الوزراء المقربين عند السلطان وهو الذي فتح له دمشق وكان نائبا له عليها ، أقدم هذا الوزير على بناء غرفة له على سطح المسجد المجاور لبيته ليتخذها مجلسا له ، يقابل فيه اصدقاءه ، فأنكر عليه ذلك الشيخ ، وأمره بهدم ما بناه فلم يفعل فشكى أمره الى السلطان ، فتغاضى عنه ، فغضب الشيخ على السلطان وقال فيه كلاما شديدا ، ومضى بنفسه وأولاده يحملون المساحي والفؤوس وهدم البناء ونقل ما على السطح ، ثم أعلن أنه قد أسقط شهادة الوزير ، فلا تقبل له شهادة ، لأنه اتخذ من هذا المجلس الذي أنشأه على سطح المسجد محلا للطرب (نادي للموسيقى) وعزل نفسه عن القضاء وقال قولته المشهورة : « إنه لن يتولى القضاء لسلطان لا يعدل في القضية ولا يحكم بالسوية » . وقد حاول الوشاة والحساد أن يوغروا صدر السلطان عليه فقالوا : إنه لا يثنى عليه في الخطبة كما يفعل غيره من خطباء الجوامع ، وانما يدعو له دعاء قصيرا فردهم السلطان بغيظهم وقال لهم :

دعوه فاني الى دعائه القصير لأحوج مني الى الثناء الطويل من غيره وما عزلته عن القضاء وانما عزل نفسه ، ولو قبل أن يعود لأعدته ، وما يملأ عيني من العلماء غيره ، فإياكم أن تعودوا بالسعاية عندي بابن عبد السلام ، وقد أشتد المرض بالملك الصالح نجم الدين ، فقرر الانتقال الى دمشق بناء على نصيحة الأطباء للاستشفاء بهوائها ، وكانت حملاته وانتصاراته قد أقلقت الصليبيين وأشعرتهم بالخطر على اماراتهم بالشام ، فأرادوا أن ينتهزوا فرصة بعده عن عاصمة ملكه ليغيروا على مصر بسفنهم من البحر ، وكاتبوا لويس التاسع ملك فرنسا في ذلك ، وأتفقوا معه على أن يبحر الى الشرق ويقود بنفسه حملة صليبية كبيرة بأساطيل عظيمة وجيوش عديدة ، يهجم بها على مصر ، ولما سمع المسلمون بذلك انتابهم الجزع والفزع ، وهنا خرج الشيخ ابن عبد السلام من عزلته ، فتزعم حركة الدعوة الى الجهاد ، وحض الأمراء على الاستعداد للقتال ونسى ما بينه وبين السلطان من الخصومة فكتب إليه أن يسرع بالرجوع الى مصر ، وكان مما قاله في كتابه (إن الاسلام في خطر وصحة السلطان في خطر ، والاسلام باق والسلطان فانٍ في الفانين ، فلينظر السلطان أيهما يؤثر) . فلما قرأ السلطان كتابه بكى ، وعجَّل بالرحيل الى مصر محمولا على محفة من شدة المرض .

وعندما أقبلت الجيوش الصليبية الأوروبية والافرنج من أهل الشام واحتلوا دمياط ، وأشتدت المعارك بينهم وبين المسلمين كان الإمام ابن عبد السلام يثير الحماس في الجماهير المسلمة حتى تمكن المسلمون من دحر الأعداء وردهم على أعقابهم واسروا ملك فرنسا لويس التاسع مع أخويه شارلس والفونس كما قتل أخوه الثالث الكند اردتو ، وكان بطلا مغامرا ، وقد توفي الملك الصالح الذي كان مريضا أثناء هذه المعارك .

وفي سنة ٦٥٨هـ . زحف التتار على بغداد بقيادة طاغيتهم هولاكو وقتلوا الخليفة أشنع قتلة وانتهكوا الأعراض ونهبوا الأموال ولم يتركوا شيئا إلا دمروه ، واخذوا يتقدمون نحو دمشق ، وتدفق اللاجئون حتى أن كثيرا منهم وصل الى مصر ، وتأكد أهل مصر أن التتار آتين اليهم لا محالة ، وشاع الاعتقاد أن التتار قوم لا يغلبون ولا يقف أمامهم جيش ، وكان الملك على مصر هو المنصور بن عز الدين ، وهو صغير السن مشغول عن شؤون الملك باللهو واللعب وحوله بطانة فاسدة ، ولذلك فقد رأى الإمام ابن عبد السلام أن أول خطوة لمواجهة هذا الخطر هو ازاحة هذا الملك الغر عن الحكم وتوليه الأمير قطز الذي عرف بالشجاعة والبطولة أثناء المعارك مع الصليبيين ليحل محل الملك فعقد ابن عبد السلام اجتماعا مع قطز للتشاور في الأمر وتدارس الظروف التي تحيط بالموقف ، فقد فوجىء العالم الاسلامي بما حدث في بغداد عاصمة المسلمين ، سفكت فيها الدماء وخربت المساجد والمدارس ويقول المؤرخون ان التتار عمدوا الى خزائن الكتب العظيمة وألقوها في نهر دجلة حتى جعلوا منها جسرا مرت عليه خيولهم ، وتلون ماء دجلة بلون الحبر ومكثوا أربعين يوما يعيثون في الأرض فسادا ، حتى احصى

الطاغية هولاكو جثث القتلى فبلغوا مليوني قتيل ، وتردد الأمير قطز في قبول فكرة خلع الملك المنصور ليحل محله ، لأن والد الملك عز الدين أيبك هو استاذه وولي نعمته ، ولكنه وازن بين الوفاء لأستاذه والوفاء لأمته ، ورأى استحالة العمل مع بقاء الملك المنصور في الحكم في مثل هذا الموقف العصيب الذي يقتضي سرعة البت في الأمور ، فعقد مجلسا في القلعة عند الملك المنصور ضم الوزراء والأمراء والعلماء والقضاة وأهل الحل والعقد ، وحضره سفير الناصر صاحب دمشق وتليت في المجلس رسالة من الناصر الى الملك المظفر يستنجد فيها بعسكر مصر لصد التتار عن بلاده بعد ان يئس من اجابة هولاكو الى طلبه الصلح ، وقد عقد المجلس بسبب هذه الرسالة ، وفي أثناء الاجتماع شعر الحاضرون بضعف الملك وعدم صلاحيته للحكم في هذه الظروف ، وكان الشيخ ابن عبد السلام حاضرا باعتباره من العلماء فاقترح بصراحة واضحة لا لَفَّ فيها ولا دوران ان يتنحى الملك المنصور عن الحكم ويتولى مكانه الأمير سيف الدين قطز ، فاندهش الحاضرون من شجاعة الشيخ وصراحته فأشفق عليه أصحابه ومحبوه وخافوا أن يصيبه سوءا من السلطان والأمراء الذين لا يؤيدون قطز وحصل الاضطراب في المجلس وعارض الاقتراح اكثر الأمراء ، فاضطر الأمير قطز الى فض الاجتماع ، وخشي الأمير على حياة الشيخ فرتب له حراسة حتى أوصلوه الى بيته ، وظلوا يحرسونه أينما ذهب ، وتمكن بعد ذلك الامير قطز من القبض على الملك وأخيه قاقان واعتقلهما في برج القلعة ، واستولى على الحكم وجمع الأمراء وقال لهم : ما قصدت إلا أن نجتمع على قتال التتار ولا يتأتى ذلك بغير ملك قادر واذا خرجنا وكسرنا العدو فالأمر اليكم أقيموا في السلطنة من شئتم ، وإذا كان منكم من يرى نفسه أقوى مني في الاطلاع بهذا الأمر فليتقدم إليَّ لأحله محلي ويعفيني من هذه التبعة العظيمة ويتحمل مسؤولية حفظ بلاد الاسلام أمام الله ، فسكتوا ولم يجب أحد منهم بل نظر بعضهم الى بعض فخرجوا وتم الأمر له ولقب بالملك المظفر .

اتجه بعد ذلك الملك المظفر للاستعداد للقتال ، وأخذ يفكر في تدبير الأموال اللازمة لتقوية الجيش اذ ليس في خزينة الدولة ما يكفي للقيام بكل ما تتطلبه حاجة الجيش فاراد أن يفرض ضريبة على الأملاك والأفراد من العامة لجمع المال اللازم فعقد لذلك مجلسا حضره العلماء والقضاة والأفراد من العامة والوزراء والأعيان وفي مقدمة هؤلاء الشيخ ابن عبد السلام ، فاستفتى الملك العلماء في جواز أخذ هذه الضريبة ، فسكت العلماء الحاضرون جميعهم ، لأنهم خافوا إن أفتوا بها أن تغضب العامة ، وإن امتنعوا أن يغضب الملك فتدافعوا الفتيا ولم يقل أحد منهم رأيه ما عدا ابن عبد السلام فقد صدع برأيه وفتواه الحاسمة وهي أنه يجب أولا أخذ الأموال من الأمراء وكبار رجال الدولة وعليهم أن يحضروا ما لديهم من ذهب وفضة وما عند نسائهم من حُلي ومجوهرات ، فاذا تساووا مع العامة واحتاج الأمر بعد ذلك إلى زيادة فلا بأس أن تفرض الضريبة على العامة ، فحار الملك في الأمر لأن ذلك سيصدمه مع الأمراء ، فأرسل الى الشيخ ابن عبد السلام وشرح له صعوبة

الأخذ من الأمراء ، وطلب منه أن يغير رأيه ، فلم يرجع ابن عبد السلام عن فتواه ، ولم يقبل أن يغير رأيه ، وقال : لا أرجع في فتواي لرأي ملك أو سلطان وذَكّره بالعهد الذي قطعه على نفسه أن يقوم بالعدل وينظر لمصلحة المسلمين وأغلظ عليه حتى ظن الحاضرون أن السلطان سيقبض عليه ولكن السلطان بكى من شدة ما تأثر من كلام ابن عبد السلام ، فقام اليه وقبله على رأسه وقال : بارك الله لنا ولمصر فيك ان الاسلام ليفخر بعالم مثلك ، لا يخاف في الحق لومة لائم ، وعندما سمع الأمراء بذلك وتأكدوا أن السلطان سيلزمهم بفتوى ابن عبد السلام وسيأخذ عليهم أموالهم ، اجتمعوا واتفقوا على مقاومة السلطان اذا هو أقدم على تنفيذ هذه الفتوى ، ولو أدى الأمر الى قتله ، ولما بلغ ذلك السلطان جمعهم وذَكَّرهم بنعمة الله عليهم ، فقد كانوا فقراء لا يملكون شيئا ، بل جيء بهم من أسواق الرقيق فغنوا من أموال الأمة وامتلأت خزائنهم بالذهب والفضة ، ومنهم من يجهز بناته بالجواهر واللآلئ ، واتخذوا الأواني من الفضة كل ذلك والأمة صابرة عليهم لأنهم يقومون بمهمة الدفاع عن بلادهم ، وقال لهم : أن العدو على الأبواب قد أقبل يريد القضاء عليهم وعلى ما يملكون وعلى شرف الأمة ودينها ، وليس في بيت المال ما يكفي لتجهيز الجيش وقال : إننا كنا نريد أن نأخذ من أموال الأمة لبيت المال ، ولكن الشرع الشريف أفتانا أنه لا يجوز لنا ذلك حتى ننزل نحن معشر الأمراء عما كنزناه ، فإذا أحصينا ذلك ولم يَكْفِ كان لنا حينئذ أن نأخذ من أموال الأمة وقد طلب منهم المساعدة على تنفيذ فتوى الشرع الشريف لأن امتثال أمر الشرع هو سبيل الانتصار على العدو فرد الأمراء بأنك تريد أن نموت جوعا ، فقال : إنكم لن تموتوا جوعا وأنتم جنود الأمة فعليها إعاشتكم من صلب مالها وتعهد لهم بإعاشتهم وإعاشة أبنائهم وأهلهم بما يصون حرماتهم ، يقتطع ذلك بالمعروف من بيت مال المسلمين ، وقال لهم : إني سأكون أول من ينزل عما يملكه من ذهب وفضة ، وأحضر حُلِي زوجته وسلَّمه لبيت مال المسلمين وأقسم لهم أنه لن يأخذ من بيت المال إلا ما يكفيه ولن يزيد نصيبه على نصيب أي فرد منهم ، وبعد أن أنهى السلطان حديثه معهم طلبوا أن يمهلهم ليفكروا في الأمر ولما لاحظ عليهم التعنت والامتناع ، قال لهم : لن أمهلكم إلا ساعات تتشاورون هنا في هذا المجلس بينما أوعز لعسكره مسبقا بأن يذهبوا الى بيوتهم ويكسروا خزائنهم ويحضروا ما لديهم من ذهب وفضة ومجوهرات ، وألقى القبض على رؤسائهم ، ولما أحضرت أموال الرؤساء وجدت غير كافية ، فأمر الملك بإحصاء أموال الناس وأخذ زكاتها ، وأخذ كراء شهرين من الأملاك والأموال المؤجرة ، وفرض دينارا على رأس كل فرد قادر من أهل مصر ، فاجتمع من المال حوالي ستمائة ألف دينار ، فصرفت على الجيش فكثر عددا وازداد قوة بما وُفِّرَ له من السلاح والجياد ، وأنشأ الشيخ ابن عبد السلام بالاتفاق مع الملك ديوانا للدعوة للجهاد في سبيل الله ، وخصص له الدعاة الأكفاء من الخطباء ليشرحوا لجماهير المسلمة ما حل بإخوانهم في بغداد ويحثوهم على الجهاد والبذل والعطاء في سبيل دفع هذا ا لخطر العظيم ، وكان

الشيخ ابن عبد السلام لا يجيز أحدا من الخطباء إلا إذا حفظ سورة التوبة والأنفال عن ظهر قلب ، وأخذ الناس يرددون آيات القتال في المساجد والمنتديات وَعَمَّ الحماس للجهاد جميع الناس حتى الفسقة كفوا عن ارتكاب المعاصي ، ولم يبق للناس حديث الا حديث الجهاد وتحرك الجيش الاسلامي من مصر للقاء العدو ، وكانت موقعة عين جالوت العظيمة يوم الجمعة في خمس من شهر رمضان المعظم ، كان النصر فيها حليف المسلمين وحلت الهزيمة بالتتار وشتت جيشهم ومزق شر ممزق ، وقد أصيب الجواد الذي يركبه قطز أثناء المعركة فخرج مترجلا والسيف بيده ، فقيل له ارجع حتى تركب جوادا آخر ولا تعرض نفسك للقتل اذ ليس من مصلحة الاسلام أن يقتل سلطان المسلمين فقال : إني أجد ريح الجنة وأن للاسلام رَبّاً لن يضيعه ، وعندما تولى بيبرس الحكم في مصر سار في الملك سيرة حسنة ، ووطد علاقته بالإمام ابن عبد السلام فلا يرد له رأي وجعل اليه الأشراف على المدرسة الصالحية بجانب القضاء ، وعندما مرض طلب منه السلطان أن يعين من يريد من أولاده في مناصبه فامتنع أن يعين أحدا من أولاده في أي منصب كان فيه ، وقال الملك : لا أجد منهم من يصلح لذلك مع أن ابنه عبد اللطيف كان عالما فقيها ، ولكن كان ذلك تورعا وتنزّها من الإمام إذ رفض أن يرشح ابنه .

وبعد ذلك فهل لنا أن نتساءل بعد أن رأينا هذه المواقف الشجاعة للإمام العز بن عبد السلام لماذا لا تكون مواقف علماء الاسلام على هذا المنوال ، اذا كانت هذه المواقف يفرضها الإسلام ويأمر بها القرآن ويدعو اليها الرسول صلى الله عليه وسلم .

ونقول إن الاسلام هو الذي فرض على الإمام أن يقف هذه المواقف ، وأن شخصيته هي التي ارتفعت الى مستوى الاسلام ، وما يدعو اليه ولذلك نرى تفسيره للآية « **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** » البقرة/ ١٩٥ ـ يختلف عما يفهمه بعض الناس ، فهو يقول في رسالته « ملحة الاعتقاد » : (والمخاطرة بالنفوس مشروعة في إعزاز الدين ولذلك يجوز للبطل أن ينغمر في صفوف المشركين ، وكذلك المخاطرة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة قواعد الدين بالحجج والبراهين مشروعه ، فمن خشي على نفسه سقط عنه الوجوب وبقى الاستحباب ، ومن قال : أن التغرير بالنفوس لا يجوز فقد بعد عن الحق ، ونأى عن الصواب وعلى الجملة فمن آثر الله على نفسه آثره الله ، ومن طلب رضاء الله بما يسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ومن طلب رضاء الناس بسخط الله ، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ، وفي رضاء الله كفاية عن رضاء الناس) .

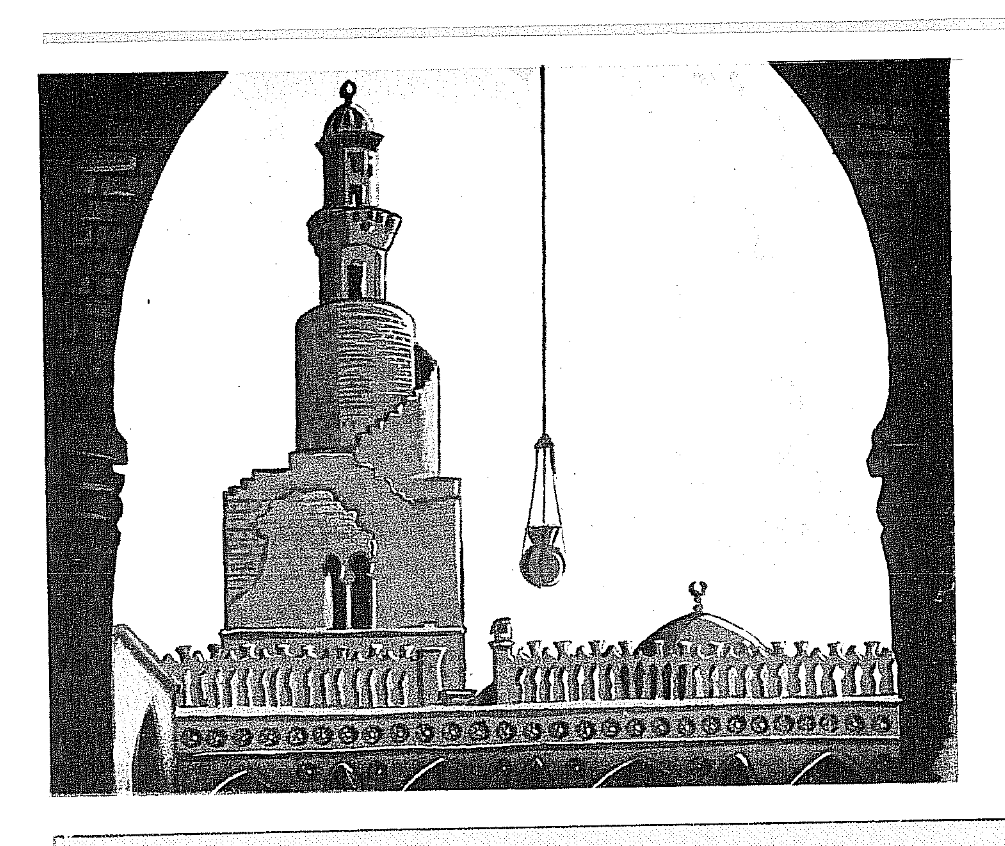
وقد توفي رحمه الله عن عمر يقارب ثلاثة وثمانين عاما ، في اليوم التاسع من شهر جمادي الآخر سنة ٦٦٠ هـ . وقال الملك بيبرس حينما شيعت جنازته وخلفها الجماهير الغفيرة : (اليوم استقر امرى في الملك لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس اخرجوا عليه لا نتزعوا مني الملك) . رحم الله الإمام العز بن عبد السلام وجزاه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .



حينما بنى محمد صلوات الله وسلامه عليه مسجده في المدينة ، لم يتخذه دارا للعبادة فحسب تؤدي فيه الفروض الخمسة بل جعله خلية ناشطة تحقق أكثر من هدف ديني واجتماعي وثقافي ، وكان في مقدمة هذه الأهداف اتخاذ المسجد مركزا لتعليم أبناء المسلمين أمور دينهم وتثقيفهم .

ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال « من جاء مسجدي هذا لم يأته الا لخير يتعلمه او يعلمه فهو بمنزلة المجاهدين في سبيل الله » رواه ابن ماجة والبيهقي ، واصبح مسجد النبي مكانا يتلقى فيه الطلاب أحكام الشرع ، يتعلمون فيه أمور الدين في حلقات تعقد لهذا الغرض كانت تتسع أحيانا حتى تضم المئات .

ولما جاء عمر بن الخطاب ورأى كثرة الصحابة الذين استشهدوا في معارك الفتوح خشى أن يجهل المسلمون تعاليم دينهم فأمر بعض ذوى العلم من المسلمين أن يلقوا على الناس في المساجد أيام الجمع دروسا في أمور الدين ، وما تزال حلقات المستمعين منذ صدر الاسلام حتى



للأستاذ / محمد ابراهيم الصيحي

الآن قائمة في معظم المساجد يتلقون فيها كل ما يتصل بأمور دينهم ، وأصبح المسجد الحرام في مكة والمسجد النبوي في المدينة ومساجد البصرة وبغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة بمثابة مراكز إشعاع ديني وثقافي قوي .

وَيُعَدُّ الجامع الأزهر في القاهرة مثلاً ناطقاً في هذا المضمار فقد كان انشاء هذا المسجد يهدف الى نشر الاسلام ، وغرس مبادئه في نفوس المصريين وانفق الخلفاء عليه ببذخ لتشجيع الطلاب على الانتظام في الدراسة ولم يترددوا في تقديم المأوى والطعام والشراب لهم دون مقابل ، وبطبيعة الحال لم يضنوا على الاساتذة فأجزلوا لهم العطاء والمنح والخلع فأصبح المسجد مقصداً لأبناء العالم الاسلامي كله .

ولم يكتف الخلفاء بذلك إذ انشأ أحدهم مكتبة قيّمة ألحقها بالجامع الأزهر ضمت اكثر من ٤٠ غرفة خاصة بالكتب ، واحتوت على اكثر من ١٨,٠٠٠ مجلد ، كما أُنشئت مكتبة أطلق عليها اسم « دار العلم » وفي المساجد الاسلامية المختلفة تخرَّج

مئات الآلاف من الطلاب ، حملوا مشاعل العلوم - وبخاصة الدينية منها - ويسوقنا الحديث الى الكلام عن المكتبات في الوطن العربي ، ودورها في النهضة الفكرية والثقافية في الاسلام .

فنقول : كان إقبال المسلمين على التعليم بعد ظهور الاسلام امرا طبيعيا فبالعلم يمكنهم تفهّم تعاليم هذا الدين واداء رسالتهم كاملة في ترغيب الأمم الأخرى في الدخول في الدين الجديد وبمرور الوقت أقبل المسلمون على قراءة كل ما يقع تحت أيديهم من كتب عربية او غير عربية فقد ترجموا مئات الكتب في شتى الموضوعات والعلوم ، ونشطت مع حركة الترجمة هذه ، حركة أخرى قوية بنّاءة هي حركة التأليف ، وظهرت نهضة علمية قوية حمل العلماء المسلمون لواءها في حماس وثقة وساعدت صناعة الورق على إذكاء حماس العرب حين تضخم انتاجهم العلمي ، بل لقد ساعدت هذه الصناعة على حدوث انقلاب فكري هائل إذ سهل تداول الكتب العديدة المترجمة او المؤلفة على السواء .

وكان من الطبيعي ان تظهر نواة مكتبات عربية .. ما لبثت أن نمت لتصبح بمرور الوقت مكتبات كبيرة ثم بدأت تتعدد وتنتشر في أرجاء العالم الإسلامي ، إما في قصور الخلفاء والأمراء وإما في المكتبات العامة التي تفتح ابوابها لكل راغب في القراءة والاطلاع .. ولم يضن الخلفاء عليها بمال او جهد بل زودوها بمختلف المؤلفات الثمينة ويسّروا أسباب الراحة لروادها .

وقد كرس الخُليفة العباسي المأمون (١٩٨/٢١٨هـ) شطرا كبيرا من وقته وماله لدعم المكتبات ، وظهر ذلك واضحا في اهتمامه بالدار التي بدأ الرشيد بإنشائها في بغداد والتي تبناها المأمون بعد ذلك في حماس وإخلاص منقطعي النظير ونعني بها « بيت الحكم » او « دار العلم » فقد أمر المأمون بتزويدها بكل ما وصل اليه من مخطوطات اجنبية مترجمة وشجع المأمون طلاب العلم على التردد عليها للقراءة ودبّر لهم سبل الإقامة واسباب الراحة فذهب الى حد إقامة جناح ملحق بالدار يضم عددا من رواد الدار ينالون فيه قسطا من الراحة ، كما كان يقدّم لهم الطعام والشراب ولم يقتصر انشاء المكتبات العامة على بغداد بل تعداها الى مختلف العواصم العربية الهامة ففي القاهرة أنشأ الفاطميون مكتبة القصر الشرقي بعاصمتهم حوت آلاف الكتب في الفقه واللغة والدين والحديث والتاريخ والفلك والكيمياء ، وألحقت بالمكتبة قاعات للمناظرة وأخرى للكتابة كما أنشأ الخليفة العزيز الفاطمي مكتبة كبيرة ألحقها بالجامع الأزهر . اما الحاكم بأمر الله فقد أقام مكتبة ضخمة أسماها « دار العلم » زودت بما يحتاج اليه المترددون عليها من ادوات الكتابة كالأوراق والأقلام وقد قُدّر عدد الكتب في هذه المكتبة بأكثر من ٥٠٠,٠٠٠ مجلد كان من بينها نحو ستة آلاف كتاب في الفلك

والهندسة وحدهما . وقد أسدت هذه المكتبة خدمات جليلة للنهضة العلمية في مصر والعالم الاسلامي كله إذ كان يقصدها من يشاء من طلاب العلم والمعرفة للتزود بما فيها من علم وفن .

وقد أدت مكتبة قرطبة في الأندلس دورا كبيرا في خدمة العلم والثقافة وهي المكتبة التي كانت تضم نحو ٤٠٠,٠٠٠ كتاب في شتى العلوم والفنون ولم يأل الخلفاء وبخاصة المنتصر جهدا في تزويدها بكل طريف وجديد من الكتب مهما كلفهم الأمر . رُوى أنه لما تقرر نقلها من مبناها القديم الى مبنى آخر اكثر اتساعا وفخامة شُيِّدَ خصيصا لها استغرقت عملية النقل هذه ستة شهور كما ذُكِرَ للدلالة على ضخامتها وأن فهارس دواوين الشعر وحدها في المكتبة استغرقت ٤٤ كراسة .

وانشئت مكتبات أخرى في مختلف عواصم العالم العربي والاسلامي كما عُرف نظام المكتبات الملحقة بالجامعات او المدارس على غرار ما هو حادث اليوم .

وقد تبارى الأثرياء في إقامة المكتبات في قصورهم وكانوا يرون ذلك مدعاة للفخر ودليلا على اعتزازهم بالعلم والثقافة وكانوا يفتحون أبوابها للعلماء والدارسين وقد قُدِّر عدد المكتبات العامة في اسبانيا بنحو سبعين مكتبة عامة أدت واجبها على الوجه الأكمل بفضل النظام الدقيق الذي وضع لها .

إن المتتبع للوائح هذه المكتبات ونظام الاستعارة الداخلي والخارجي الذي عرفه وطبّقه العرب في مكتباتهم ليدهش حقا من مدى الدقة التي اتسمت بها أعمالهم . فكانت الاستعارة الداخلية سهلة ميسورة إذ وضعت الكتب في متناول القارىء على الأرفف دون أن يحجزها عن القراء حاجز كما هو متبع الآن في أحدث المكتبات العامة . أما نظام الاستعارة الخارجية فقد عرفه العرب ايضا ولكنه كان قاصرا على طلاب العلم الموثوق بهم وكان يطلب عادة من بضعهم تقديم ضمان مالي كاف ، كما كان نظام الاستعارة الخارجي يقضي بتحديد فترة لا تتجاوز شهرين يرد المستعير الكتاب خلالها . ومن الطريف أنه وجد في مكتبة قرطبة نسخة خطيّة من كتاب « العبر ، والمبتدأ والخبر » وقد كتب مؤلفه ابن خلدون على غلافه بخط يده هذه العبارة » لا يجوز إعارة هذا الكتاب إعارة خارجية إلا اذا كان المستعير شخصا موثوقا به وأميناً . على أن يدفع ضمانا ماليا » .

وكان يشرف على المكتبة ويقوم على إدارتها وخدمة الرواد والقراء فيها جهاز فني واداري مهمته تقديم كل عون ممكن للقارئ ، ويقوم على رأس هذا الجهاز أمين المكتبة وسمي « الخازن » يعاونه عدد من النساخ وبعض المناولين ، وكان أمين المكتبة يقوم بعمل فني خاص بسبب إلمامه بما في المكتبة من كتب وأسماء مؤلفيها ومحتويات كل منها ، أما مهمة المناولين فهي إرشاد القارىء الى موضع الكتاب الذى يريده ، او

إحضاره اليه حيث جلس لهذا الغرض .

وقد عرف العرب نظام تصنيف الكتب ، فقسّموها الى أقسام حسب العلوم والفنون ، وسجلوا على غلاف كل كتاب اسمه واسم مؤلفه ليسهل على القارىء التقاط الكتاب الذي يريده دون عناء وهو نفس المتَّبع في أرقى مكتباتنا الآن .

ولم تأل الدولة جهدا في تزويد قاعات المكتبات بالخزائن والمناضد والمقاعد ، كما وفرت للقراء المحابر ، والأقلام والأوراق .

ولا شك في أن انتشار المكتبات العامة في أرجاء العالم الاسلامي في ذلك الوقت واتباعها هذه الأنظمة ، وفتح ابوابها لكل قارىء وتسخير كل هذه الامكانات لخدمته ، دليل ناطق على تقدم العرب الفكري والعلمي ، ومدعاة للفخر ، ويسجل لهم ولتاريخهم بمداد من نور .

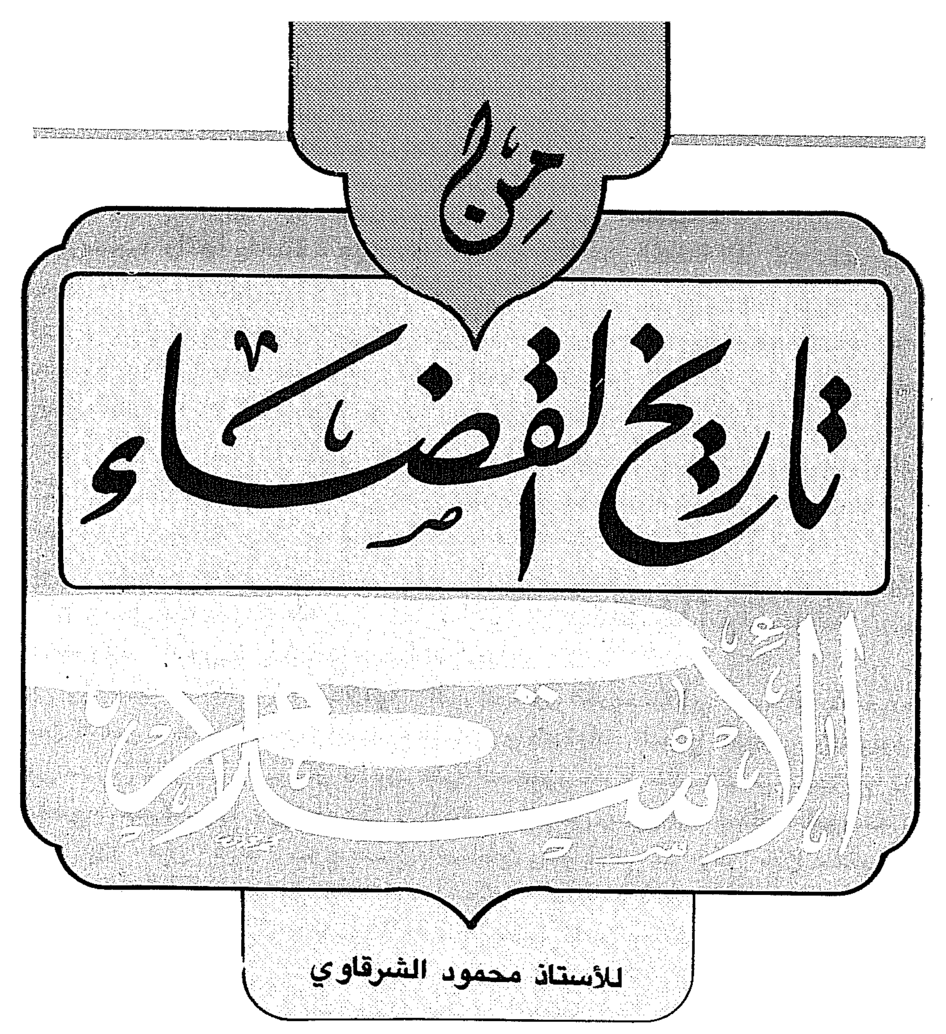
بقى ان نتساءل : « وماذا كان مصير هذه المكتبات الضخمة ؟ ونجيب في مرارة عميقة وأسى بالغ ، أن مصير أغلب مكتباتنا العربية كان قاتما وكئيبا ، فقد ذهبت مكتبات الفاطميين في القاهرة ضحية أعمال الفتن عندما عَمَّتْ المجاعة في أواخر دولتهم ، وكانت النتيجة أن نهبها الثوار من الجنود المرتزقة الأجانب ، والقوا بعدد كبير من الكتب الثمينة في النيل وأحرقوا عددا آخرا منها أما ما تبقى بعد ذلك فقد اندثر معظمه نتيجة الإهمال أو عدم الصيانة .

وفي الأندلس وبعد خروج العرب منها ، قامت حركة انتقامية مجنونة ضد كل ما هو عربي تزعمها غلاة المتعصبين من رجال الدين المسيحي وكانت وجهة نظرهم تتلخص في ان هذه الكتب تحوي في جملتها الكفر .

وأن هذه الكتب مجتمعة ليست خيرا من الانجيل الذي يغني عنها فلا داعي إذن لها . وكانت النتيجة تدمير المكتبات وحرق كل محتوياتها .

وفي بغداد نُكِبَ العالم الاسلامي بهولاكو الذي اجتاح عاصمة العباسيين « ٦٥٦ » هـ - ودمر رجاله مع ما دمروا مكتبات بغداد ومصنفاتها النادرة ، بكل ما فيها من علم وفن ، وألقوا ببعضها في نهر دجلة حتى لوَّن ماء النهر بالسواد نظراً لاختلاط المداد به .

ولم يكن ذلك نهاية المطاف بل كان مرحلة قاتمة من مراحل الثقافة العربية والنهضة العلمية التي تعثرت بعض الوقت ، ثم لم تلبث ان تبعتها مرحلة البعث التي ازدهرت ونعيش عصرها الذهبي الآن في مختلف الدول العربية فقد تطورت الحياة الثقافية والنهضة التعليمية مع انتشار آلاف المدارس التي تضم الملايين من راغبي العلم الى جانب عشرات الجامعات العربية في كل مكان تحمل مشعل النور والحضارة في جميع الأقطار العربية ، لتواكب الركب العلمي الزاحف وتلاحقه ولم تبخل هذه الدول على جامعاتها ومعاهدها المتخصصة بمال او جهد من أجل تحقيق هذا الهدف ومن أجل بناء الانسان العربي الجديد الذي أثبت بحق جدارةً في جميع ميادين العلم والمعرفة .



كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتولى أمور القضاء في الأمة الاسلامية وكانت الطريقة التي يعتمدها في القضاء تنحصر في تنفيذ قول الله تعالى : « **فاحكم بينهم بما أنزل الله**) المائدة/٤٨ .

(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) النساء/٦٥ .

وكان الرسول الكريم يحكم بين الناس بما ينزله الله عليه من الوحي ، ويحضر المتخاصمان اليه مختارين ، فيسمع كلام كل منهما ، وكانت طريقته هي الإثبات بالبينة وباليمين وبشهادة الشهود وبالكتابة وغيرها ، وكان يقول :

« البينة على المدعي و اليمين على المدعى عليه » رواه الترمذي ، والبينة في الشرع ، اسم لما يبين الحق ويظهره ، بمعنى أن المدعي ملزم بإظهار ما يبين صحة دعواه ، فإذا ظهر صدقه بإحدى الطرق حكم له ، وروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال : « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر » وكان عليه الصلاة والسلام لا يحابى أحداً من المتخاصمين ، فقد ورد في

الأثر : « فاذا جلس بين يديك الخصمان ، فلا تقض حتى تسمع كلام الآخر كما سمعت كلام الأول ، فإنه أحرى أن يتبين لك وجه القضاء » .

وسنورد واقعة واحدة ـ على سبيل المثال ـ تدلنا على الكيفية التي كان يقضي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو في الواقع النموذج الذي يجب أن يحتذى : ورد في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم : جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ في مواريث بينهما قد درست ليس بينهما بينة ، فقال رسول الله « إنكم تختصمون إليّ وإنما أنا بشر ولعل بعضكم ألحن بحجته أو قد قال : لحجته من بعض فإني أقضي بينكم على نحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها إسطاما في عنقه يوم القيامة » : فبكى الرجلان ، وقال كل واحد منهما : حقي لأخي ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أما إذ قلتما فاذهبا فاقتسما ، ثم توخيا الحق ، ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه » .

ولما انتشرت الدعوة الاسلامية ، أذن الرسول الكريم لبعض الصحابة بالقضاء بين الناس ، طبقا للكتاب والسنة والقياس والاجتهاد . أخرج البغوي عن ميمون ابن مهران قال : كان أبوبكر اذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به ، وإن لم يكن في الكتاب وعَلِمَ من رسول الله في ذلك الأمر سنة ، قضى بها ، فإن أعياه ، خرج فسأل المسلمين وقال أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع عليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله فيه قضاء فيقول أبوبكر : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا ، فإن أعياه أن يجد فيه سنة عن رسول الله جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم ، فإن أجمع رأيهم على أمر قضى به . وكان عمر بن الخطاب يفعل ذلك فإن أعياه في القرآن والسنة نظر هل كان فيه لأبي بكر قضاء فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به ـ وإلاّ دعا رؤوس المسلمين فاذا اجتمعوا على أمر قضى به .

وفي عهد عمر بن الخطاب كثر فتح الأمصار واتسع نطاق العمران فأصبح من العسير على الخليفة أو نائبه أن يجمع مع النظر في الأمور العامة الفصل في الخصومات ففصل عمر القضاء من الولاية وعهد به الى شخص آخر غير الوالي .

قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه : أول من دفعه الى غيره وفوض به عمر بن الخطاب رضي الله عنه فولى أبا الدرداء قضاء المدينة ، وولى شريح بن الحارث الكندي قضاء الكوفة وولى أبا موسى الأشعري قضاء البصرة ـ لقد أنشأ عمر وظائف القضاء وتخير لها العدول الأكفاء ، وعلّمهم كيف يتصرفون حين يلتبس عليهم الأمر فأحسن التعليم .

كان يكتب لأحدهم : « اذا جاءك شيء في كتاب الله فاقض به ، ولا يلفتنك عنه الرجال ، فإن جاءك أمر ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض بها ، فإن جاءك أمر ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله

فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به . فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن في سنة من رسول الله ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أي الأمر شئت . إن شئت أن تجتهد رأيك وتقدم فتقدم ، وإن شئت أن تؤخر فتأخر ، ولا أرى التأخير الا خيرا لك » . يقول المبرد في « الكامل » : ورسالة عمر بن الخطاب في القضاء الى أبي موسى الأشعري جمع فيها جمل الأحكام ، واختصرها بأجود الكلام ، وجعل الناس بعده يتخذونها إماما ، ولا يجد محق عنها معدلا ، ولا ظالم عن حدودها متحيصا ، وهي :

« إن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم اذا أُدلي اليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلاّ صلحا أحلّ حراما أو حَرَّم حلالا . لا يمنعك قضاء قضيته اليوم ، فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ، أن ترجع الى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة . ثم اعرف الأشباه والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك ، واعمد الى أقربها الى الله ، وأشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهي إليه ، فإن أحضر بينته أخذت له بحقه والا استحللت عليه القضية ، فإنه أنفى للشك ، وأجلى للعمى . المسلمون عدول بعضهم على بعض ، الا مجلودا في حد ، أو مجربا عليه شهادة زور ، أو ظنينا في ولاء أو نسب . فإن الله تولى منكم السرائر ، ودرأ بالبينات والأيمان ، وإياك والغلق ، والضجر ، والتأذي بالخصوم ، والتنكر عند الخصومات ، فإن الحق في مواطن الحق ليعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله . فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته » .

القضاء فريضة : فرض بمعنى أوجب وجوبا لازما كما في اللسان ، والاسم فريضة فكان القضاء واجبا وجوبا لازما وهذا الوجوب مستفاد من قوله تعالى : (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق) سورة ص/ ٢٦ وفي قوله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام : (فاحكم بينهم بما أنزل الله) والقضاء هو الحكم بين الناس بالحق فهو ضروري لمساس الحاجة اليه لإنصاف المظلوم من الظالم وقطع المنازعات التي هي سبب الفساد .

وقوله سنة متبعة : أي طريقة مسلوكة في الدين يجب اتباعها على كل حال .

والسنة في اللغة الطريقة .

الإدلاء : رفع الخصومة الى القاضي .

والفهم : إصابة الحق فمعناه عليك بذل الجهود في اصابة الحق اذا أُدلي اليك . وقيل اسمع كلام كل واحد من الخصمين وافهم مراده وهكذا تطلب الرسالة من

القاضي أن يستوعب ما يلقى عليه في الدعوى وأن يصغى الى ما يقال من الحجج مخافة ركوب متن الشطط والانحراف عن طريق العدالة .

آس : أي سَوِّ بين الخصوم أي أن القاضي يسوي بينهم اذا تقدموا اليه على اختلاف مللهم . والتسوية تكون في النظر الى الخصمين والإقبال عليهما في جلوسهما بين يديه حتى لا يقدم أحدهما على الآخر .

ادعى رجل على علي بن أبي طالب عند عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وعلي جالس فالتفت اليه عمر وقال له : يا أبا الحسن قم فاجلس مع خصمك . فقام فجلس مع خصمه متناظرا . وانصرف الرجل ورجع علي الى مجلسه فتبين لعمر التغير في وجه علي فقال : يا أبا الحسن مالي أراك متغيرا أكرهْتَ ما كان ، قال : نعم : قال : وماذاك ؟ قال : كنيتني بحضرة خصمي «أي قلت لي يا أبا الحسن فأخذ عمر رأس علي رضي الله عنهما فقبله بين عينيه.

والحيف : هو الظلم . فاذا قدم الشريف طمع في ظلمه أي في أن تكون الحكومة له ، ولانكسر بهذا التقديم قلب خصمه الضعيف فيخاف الجور وييأس من عدله ، وربما يتمكن الشريف عند التقديم من التلبيس على القاضي ، ويعجز الضعيف عن إثبات حقه بالحجة والقاضي هو المتسبب لذلك باقباله على أحدهما وتركه التسوية بينهما في المجلس .

كان بين أبي بن كعب وعمر بن الخطاب منازعة وخصومة في حائط . فقال : بيني وبينك زيد بن ثابت فأتياه ، فطرقا عليه الباب ، فخرج وقال : يا أمير المؤمنين ألا أرسلت الى حتى آتيك ؟

فقال عمر : في بيته يؤتى الحَكَمُ . فأخرج زيد وسادة فألقاها عمر وقال : هذا أول جورك ، وأبى أن يجلس عليها .

وهكذا أبى عمر بن الخطاب أن يجلس على وسادة ، وزيد بن ثابت يحكم بينه وبين خصمه حتى لا تكون هناك مفاضلة بين أحد الخصمين والآخر . وطالبت الرسالة المدعي باحضار البينة وعندما تحضر البينة يستطيع القاضي أن يحكم بمقتضاها على حسب قواعد الشريعة الاسلامية الغراء . واذا طلب امتداد الأجل حتى يستحضر البيّنة فلا مانع من منح هذا الأجل بحسب ما تقضيه الحال ، وهذا الأمر موكول لاجتهاد القاضي .

فاذا انقضت المدة وانقضى الأجل وأتى بحجة ناقصة غير معتمد عليها شرعا فالحكم عليه بأن لا حق له .

وأشارت الرسالة الى الشهود حين ذكرت : « المسلمون عدول في الشهادة الا مجلودا في حد ، أو مجربا عليه شهادة الزور ، أو ظنينا في ولاء أو نسب»فمن كانت صفته من هذا اللون فإن شهادته غير مقبولة ، ولا يمكن للقاضي أن يحكم بمقتضاها .

وطالبت الرسالة بضرورة كظم المشاعر والعواطف ، وعدم الضيق والضجر .

كما دعت الرسالة الى الصلح ، اذا التبس على القاضي الأمر وتطرق اليه الشك وتسرب اليه الغموض والإشكال وخاف تنفيذ الأحكام أو تقطيع الوشائج والأرحام .

وفي ذلك يقول عمر في موضع آخر

« ردوا الحكم بين ذوي الأرحام حتى يصطلحوا ، فإن فصل القضاء يورث الضغائن » .

لقد أرست هذه الرسالة العمرية قواعد القضاء في الاسلام لما تضمنته من نصائح غالية للقضاة تهديهم سواء السبيل ، وتحول بينهم وبين اقتراف المنكر أو الجنوح نحو الباطل ، والانحراف عن العدالة .

وقد اختار الخلفاء المسلمون القضاة أحسن اختيار ، ولم يعيّنوا في منصب القاضي إلاّ كل من وقفوا على أخلاقه وسيرته ، بل انهم كانوا يمتحنون القضاة قبل أن يسندوا اليهم هذا المنصب الرفيع .

كتب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الى عامله في مصر ، ينير له الطريق الى السياسة العليا في اختيار القضاة وصفاتهم :

« .. ثم اختر ليحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ، ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة ، ولا يحصر من الفيء الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه ، وأوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم ، وأجبرهم على تكشف الأمور ، وأصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه إطراء ، ولا يستميله إغراء ، ثم أكثر تعاهد قضائه ، وأفسح له في البذل مما يزيل علته ، وتقل معه حاجته الى الناس ، واعطه من المنزلة لديك مالا يطمع فيه غيره من خاصتك ، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك » .

وقال عمر بن عبد العزيز اذا كان في القاضي خمس خصال فقد كمل : علم بما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم على الخصم ، واقتداء بالأئمة ومشاركة أهل العلم والرأي .

على هذه القاعدة كان اختيار القضاة . وكان قاضي قضاة المتوكل يحيى بن أكثم يتولى امتحان من يترشح للقضاء بنفسه حتى لا يعين في منصب القاضي إلا من اثبتت التجارب ، وأثبت ماضيه أنه جدير به .

جاء في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة : « أن يحيى بن أكثم كان يمتحن من يريدهم للقضاء فقال لرجل : ما تقول في رجلين زوّج كل واحد منهما الآخر أمه . فولد لكل واحد من امرأته ولد ، ما قرابة ما بين الولدين فلم يعرفها . فقال يحيى : كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه .

وليس هذا الامتحان شططا من العمل أو بدعة جديدة أتى بها المسلمون المتأخرون ، فقد روى أبوداود والترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث

معاذا الى اليمن قال له : بم تقضي . قال بكتاب الله . قال : فإن لم تجد . قال : فبسنة رسول الله . قال : فإن لم تجد . قال : فبرأيي
وليس الرأي هنا إلا الاجتهاد وقياس الأمور بأشباهها أو العمل بقواعد الشريعة العامة ، وهو ما يسمى الآن بقواعد العدل الطبيعي . ولا يقدر على مثل هذا إلا العلماء الحذاق الذي عندهم بصر بما تضمنه كتاب الله وسنة رسوله ولما أراد ابن هبيرة تولية اياس أرسل اليه للامتحان فسأله بقوله : أتقرأ القرآن . قال نعم . قال : أتفرض الفرائض . قال : نعم . قال : أتعرف من أيام العرب شيئا . قال : نعم . قال : أتعرف من أيام العجم شيئا قال : أنا بها أعرف . فولاه القضاء .

وجاء في كتاب « نفح الطيب » لأبي العباس المقري : كانوا في عاصمة الخلافة في الأندلس لا يقدمون أحدا للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره ، وتعقد له مجالس المذاكرة ويكون ذا مال في أغلب الأحوال » .

وهكذا كان الامتحان عنصرا من عناصر التعيين في مناصب القضاء كما كان التعيين بالمعرفة السابقة ، أي بطول الخبرة ، دون تحيز أو محاباة أو بشهادة الثقة ، أي أن تشهد له جماعة من الثقات بطول إتباع في فهم كتاب الله والسنة ، وغير ذلك من أمور الشرع الشريف .

وقد كان القضاة المسلمون يحكمون بالعدل والقسطاس المستقيم دون خوف من لومة لائم ، بل إنهم كانوا لا يترددون في الحكم على الخليفة نفسه ، إن لم يستطع إحضار البينة .
يساوم عمر بن الخطاب خليفة المسلمين رجلا على فرس ، ثم يركبه ليختبره ، فيصاب الفرس بعطب أثناء جريانه ، فيرده عمر الى صاحبه فيأبى الرجل ، فيتحاكمان الى شريح القاضي ، ويستمع شريح الى حجة كل منهما ثم يقول : يا أمير المؤمنين خذ ما ابتعت ، أو رد ما أخذت .
فيقول عمر : نعم القضاء قضيت .
ويرى علي بن أبي طالب درعا له على يهودي . فيقول : درعي . وينكر اليهودي أن الدرع لعلي ، فيتحاكمان الى قاضي الكوفة . فيقول القاضي يا أمير المؤمنين لا أكذبك ولكن ليس لك بينة ، فالدرع لليهودي ، فيولي عليّ ضاحكا ، وهو يقول : أضاع قاضي المسلمين درع أمير المؤمنين . ويعجب اليهودي لهذه المثالية . فيسرع وراء عليّ قائلا : يا أمير المؤمنين والله انها لدرعك وجدتها يوم خيبر فأخذتها ، فهي لك ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . فيقول علي : إذن فالدرع لك هدية. وتتوغل جيوش المسلمين في فارس وما وراء النهر . حتى تدخل مدينة سمرقند فيرسل اهلها الى عمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين أن القائد الاسلامي قتيبة الباهلي قد دخل مدينتهم عنوة ، فيرسل عمر الى والي خراسان يأمره بعرض هذه القضية على القاضي « جميع بن حاضر البلخي » فقضى القاضي بأعجب حكم في التاريخ . قضى بإخراج الجيش الاسلامي من «سمرقند» لأنه دخل المدينة عنوة .

«وهو حكم لم تعرفه الدنيا إلا للقضاء الإسلامي». عدالة شامخة لا تعرفها العدالة الأرض، عدالة حتى في ميادين الحروب وساحات النضال! وتتسع رقعة الدولة الإسلامية، وتمتد امتدادها التاريخي العظيم، فيتخذ العباسيون نظماً جديدة للقضاء تلائم الحياة المتطورة.

وفي طليعة ما ابتكروا وظيفة قاضي القضاة، وهي أشبه بوظيفة وزير العدل، وأول من لقب بهذا اللقب أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم في عهد الخليفة هارون الرشيد، يقول المقريزي:

«فلما قام هارون الرشيد بالخلافة ولي القضاء أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم أحد أصحاب أبي حنيفة بعد سنة سبعين ومائة، فلم يقلد في بلاد العراق وخراسان ومصر إلا من أشار به القاضي أبو يوسف، وأصبح لقاضي القضاة من بعده الحق في تعيين القضاة بالعراق، ثم امتد ذلك إلى تعيين قضاة الأقاليم». واتسع اختصاص القضاة فضم إليهم الشرطة والقصاص والحسبة ودار الضرب والمال فتركزت في أيديهم كل القوى التي تهيمن على مصائر الدولة وتتصل بشؤون الناس. وكان القضاة يمنحون رواتب سخية حتى يتفرغوا للأحكام بعد أن يطمئنوا على معاشهم وأرزاقهم.

وقد اتسعت أرزاق القضاة أولي عمر بن الخطاب يقول محمد بن سعد في الطبقات الكبرى: إن عمر رزق عياض ابن غنم حين ولاه حمص كل يوم ديناراً وشاة واحدة. وكان راتب القاضي في مصر ألف دينار يقول «السيوطي» في كتابه حسن المحاضرة: ثم ولي عبد الرحمن الخولاني وجمع له القضاء وبيت المال، فكان يأخذ رزقه في السنة ألف دينار.

وفي الدولة العباسية كان راتب القاضي في المدينة المنورة: أربعة آلاف دينار. ثم عرف النظام الاسلامي ديوان المظالم وهو هيئة قضائية عليا، يقول عنها ابن خلدون ما نصه: «وهي ولاية ممتزجة من سطوة السلطة ونصفة القضاء، وتحتاج إلى علو يد، وعظيم رهبة، تقمع الظالم من الخصمين، وتزجر المعتدين، وإليها النظر في البينات والتقرير واعتماد الامارات والقرائن، وتأخير الحكم إلى استجلاء الحق، وحمل الخصم على الصلح واستحلاف الشهود، وذلك أوسع من سلطة القاضي».

وقد نظر الرسول صلى الله عليه وسلم المظالم في الشرب الذي تنازعه الزبير بن العوام رضي الله عنه ورجل من الأنصار، فقد روى أصحاب السنن: «أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند النبي صلى الله عليه وسلم في شِرَاج (الشَّرْج مسيل الماء) الحَرَّة (أرض ذات حجارة نخرة سود) التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سَرِّح الماء يمر، فأبى عليه، فاختصما عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير: «اسْقِ يا زبير! ثم أرسل الماء إلى جارك» فغضب الأنصاري فقال: أن كان ابن عمتك! فتلون وجه النبي

صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : اسْقِ يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجَدْر » أخرجه البخاري في الشرب .

ويقول الماوردي في الأحكام السلطانية : ولم ينتدب للمظالم من الخلفاء الراشدين إلا في القليل النادر ، لأنهم في الصدر الأول مع ظهور الدين عليهم ، بين من يقوده التناصف إلى الحق ، أو يزجره الوعظ عن الظلم ، وإنما كانت المنازعات تجري بينهم في أمور مشتبهة ، يوضحها حكم القضاء ، فإن تجور من جفاة أعرابهم متجور ثناه الوعظ أن يدبر ، وقاده العنف أن يحسن ، فاقتصر خلفاء السلف على فصل التشاجر بينهم بالحكم والقضاء تعيينا للحق في جهته لانقيادهم إلى إلزامه ، واحتاج عليٌّ رضى الله عنه حين تأخرت إمامته ، واختلط الناس فيها ، وتجوروا إلى فضل صرامة في السياسة ، وزيادة تيقظ في الوصول إلى غوامض الأحكام ، فكان أول من سلك هذه الطريقة واستقل بها ، ولم يخرج فيها إلى نظر المظالم المحض لاستغنائه عنه ، ثم انتشر الأمر بعده حتى تجاهر الناس بالظلم ، ولم تكفهم زواجر العظة عن التمانع والتجاذب ، فاحتاجوا في ردع المتغلبين وإنصاف المغلوبين الى نظر المظالم الذيِيمتزج به قوة السلطة بنصفة القضاء ، فكان أول من أفرد للظلامات يوما يتصفح فيه قصص المتظلمين ، من غير مباشرة للنظر ، عبد الملك بن مروان الذي كان يستعين بقاضيه ابن إدريس الأزدي فيما أشكل عليه ، فكان ابن إدريس هو المباشر وعبد الملك هو الآمر .

وكان عمر بن عبد العزيز أول من ندب نفسه للنظر في المظالم فردها ، وراعى السنن العادلة وأعادها .

وكانت المحكمة العليا تعقد في المساجد ، ويحاط صاحبها بخمس جماعات ولا ينتظم عقد جلساتها إلا بحضورهم وهم :

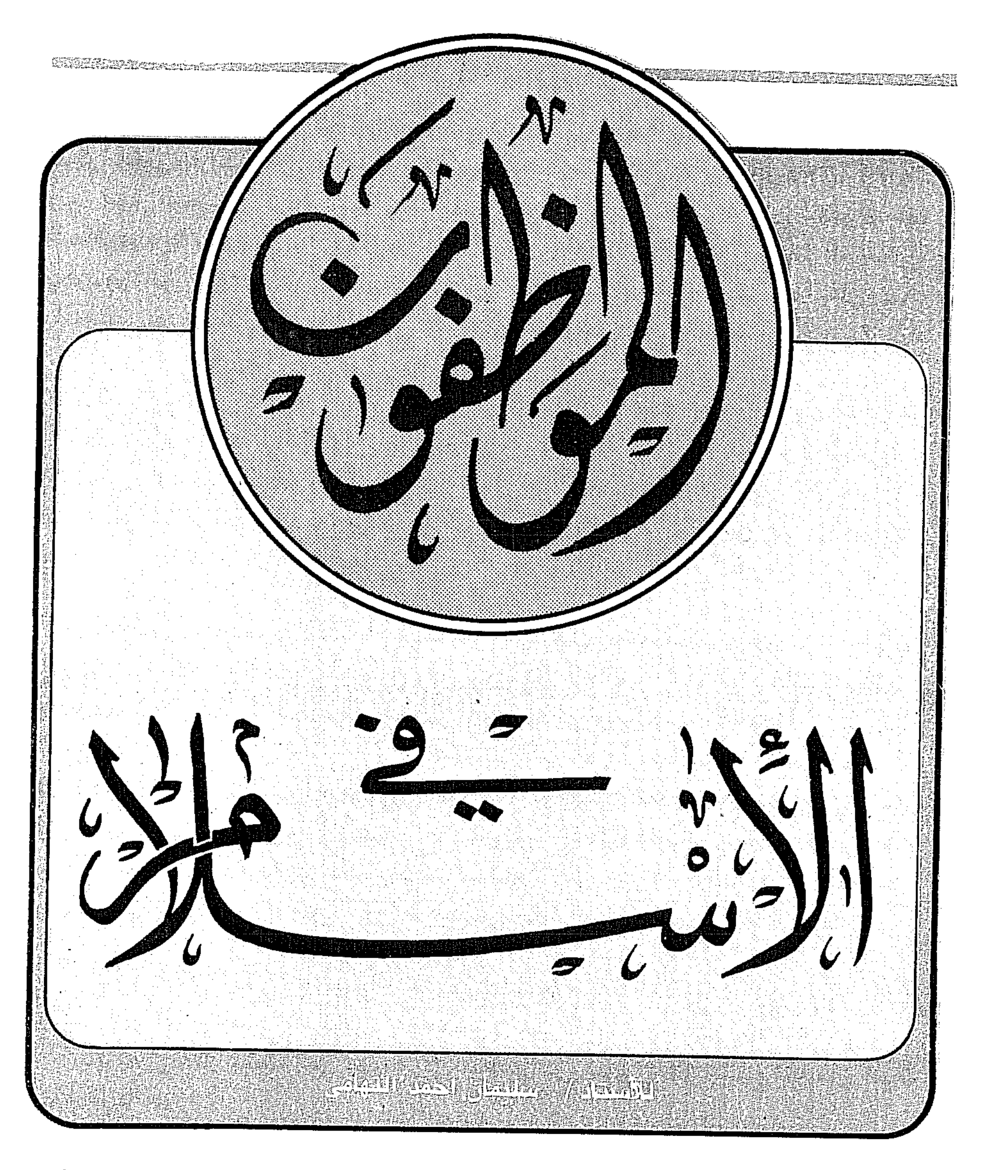
أولا : الحماة والأعوان : وكانوا من القوة بحيث يستطيعون التغلب على من يلجأ إلى العنف أو يحاول الفرار من وجه القضاء .

ثانيا : الحكام : ومهمتهم الإحاطة بما يصدر من الأحكام لرد الحقوق إلى أصحابها ، والعلم بما يجري بين الخصوم ، فيلمون بشتات الأمور الخاصة بالمتقاضين . وكان القضاة يستفيدون من وراء حضورهم هذه الجلسات ، إذ كانوا يستطيعون تطبيق الأحكام على ما يعرض أمامهم من القضايا في جلساتهم .

ثالثا : الفقهاء : وكان يرجع إليهم صاحب المظالم فيما أشكل عليه من المسائل الشرعية .

رابعا : الكتّاب : ويقومون بتدوين أقوال الخصوم وإثبات مالهم وما عليهم من الحقوق .

خامسا : الشهود : ومهمتهم إثبات ما يعرفونه عن الخصوم ، والشهادة على أن ما أصدره القاضي من الأحكام لا ينافي الحق والعدل ، وبذلك أصبح القضاء قوة عليا واسعة النفوذ ، واسعة الاختصاص تمد يدها وعدالتها إلى كل متمرد عليها ، أياً كان بأسه وسلطانه .



ان الاسلام شرع نظاما للحكم ، وجعل دعامته الرئيسية الفرد المسلم لأنه أساس المجتمع المتحضر ، ولبنة من لبناته فلا يصح قيام مجتمع متحضر بدون الفرد الصالح ، ولو أن كل مجتمع راعي في نظامه الأخذ بما شرع الاسلام لَعَمَّ الخير ، وساد الاصلاح .

والنظام الذي أقره الاسلام وراعى فيه المصلحة العامة أخذ به الفكر الحديث ، ففي مجال الاختيار والتعيين كان الاسلام قائما على مبدأ تكافؤ الفرص والمقدرة الفنية والسمات الشخصية للعامل .

وقد أخذ الموظفون في الاسلام قسطا وافرا من العناية بنظامهم ، ومن العدل أن نذكر بعض ما أخذ به النظام الاسلامي فيما يخص ادارة شئون افراده وموظفيه . وقد أخذ النظام الاسلامي بقسط كبير فيما يتعلق بالفحص الطبي للأفراد عند الحاقهم بوظائفهم ، من ذلك أن الشبان الذين يراد الحاقهم بالوظائف العسكرية يجردون من ثيابهم للاطلاع على عيوبهم من الوجهة الطبية حتى اذا كان هناك بالجسم عيب يحول دون احسان العمل أبعد صاحبه عن الخدمة العسكرية .

وقد كان للسن اعتبار خاص في هذا الموضوع ، وهذا حرص من أولي الأمر على أن من يتولى وظائف الدولة يجب أن يكون مسئولا مسئولية كاملة ، والحكومات في العصور الحديثة تشترط سنا معينة لا يقبل طالب الوظيفة قبلها ، لأن أي تقصير أو عبث بالمصالح العامة منهم يصيب ضرره عليها ويكون التقصير صادرا منهما وليس في الدنيا حكومة رشيدة تقبل أن ينسب اليها لوم أو تقصير .

ومن أعجب ماتحويه المكتبة الاسلامية ماجاء في تاريخ الطبري من أن « عمر بن الخطاب » كان يتعقب الموظفين في سيرتهم الخاصة وفي تصرفاتهم كذلك ، وينصحهم الى مافيه المصلحة ولو كان على حساب مصلحتهم الخاصة ، ومن ذلك أن « حذيفة بن اليمان » تزوج أجنبية فطلب اليه عمر أن يطلقها مع أنه تزوجها على شريعة الله ، لكن عمر يرى أن زواجهما إضرار ببنات العرب وتضييق عليهن حيث قال عمر « ان في نساء الأعاجم خلابة ، فان أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم وهذا شعور الحاكم الذي يعتبر نفسه مسئولا عن رعيته ، فالذكور لهم حظهم ، والإناث لهن نصيبهن وهذا هو ما يسمى بالشعور الوطني في هذه الأيام .

واذا أمعنت النظر فيما يفعله عمر وفيما يفعله ولاة الحكومات العصرية ، فانك واجد تشابها في منع الموظفين السياسيين من الزواج بالاجانب .

وقد عزل عمر عامله على ميسان (النعمان بن عدي) لأنه سمع أنه قال أبياتا جاء فيها :ـ

لعل أمير المؤمنين يسوءه تنادمنا في الجوسق المتهدم

فقال عمر :ـ انه ليسوءني ، وعزله مع أنه يعلم عن يقين أن ذلك لم يكن ، وانما هو قول شاعر ، وهذا احتياط وبعد نظر فيما يتعلق بوظائف الحكم ، اذ هي بعيدة كل البعد عن الهفوات التي تلفظ بها عامله .

وقد كانت لسياسة عمر هذه لها عظيم الأثر فيمن خلفه من ولاة المسلمين حيث أنهم كانوا يحملون الموظفين اثم تقصيرهم وإخلالهم بواجبهم ومسئوليتهم فيما يتولون من أعمال العامة .

فالموظف الذي يعفي نفسه من المسئولية عليه مسئولية ذلك، قال ابو يوسف للرشيد: وإذا صح عندك من العامل او الوالي تعد بظلم وعسف وخيانة لك في رعيتك واحتجاز شيء من الفيء، أو سوء سيرته فحرام عليك استعماله والاستعانة به وأن تقلده شيئا من أمور رعيتك أو تشركه في شيء من أمرك، بل عاقبه على ذلك عقوبة تردع غيره من أن يتعرض لمثل ما تعرض له، وإياك ودعوة المظلوم فان دعوته مجابة [illegible]

والمسلمون كانوا ينتقون الموظفين الأكفاء لتولي الوظائف ففي طبقات ابن سعد أنه كان من عمال عمر (عمير بن سعد) وفيه يقول عمر: وددت لو أن لي رجلا مثل عمير بن سعد أستعين به على أعمال المسلمين (ولاه عمر على حمص وتوفي سنة ٤٥ هـ) [illegible]

ومن أقواله على منبر حمص: لا يزال الإسلام منيعا ما اشتد السلطان، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذا بالعدل [illegible]

ومن أهم ما يلزم لأداء العمل هو الحيطة في إختيار الموظف وانتقاء الصالح منهم الذي يتمتع بكفاءة وأمانة في أداء العمل، بحيث يكون هذا العمل موافقا لما أحله الله ومطابقا لتشريعاته [illegible]

كما جاء في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم» رواه ابو داود [illegible]

ومن اداب الموظف لزوم العفاف والصيانة فيما يتولاه من أعماله والتعفف عن المطامع الذميمة، والمطاعن الوخيمة، والترفع عن المكاسب اللئيمة فان ذلك يحقق القرب من الله سبحانه وتعالى، والحظوة عند السلطان يقرب من كان بعيدا على من كان قريبا، ومن لا مكانة له ولا حرمة على من كان له مكانة وحرمة لديه ما دام كفئا وبذلك يتمتع الموظف بحسن السيرة لدى الرعية [illegible]

والإسلام قد وضع نظاما خاصا لرواتب الموظفين لها قواعد منسقة تنسيقا عادلا فلا يُعطى عامل الا على قدر عمله، ولا يمنح أقل من كفايته، ومن دواعي زيادتها أن يبدي الموظف في عمله كفاية وحكمة قال الله سبحانه وتعالى: **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** (الزلزلة ٧ و ٨) [illegible]

وقد روى ابن سعد في طبقاته ان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى أئمة المسلمين بعده بموظف أحسن صنيعا في بعض الأمور فكتب له بهذا كتابا وختمه فظل الموظف يأخذ من خلفاء المسلمين حتى عهد عمر بن عبد العزيز [illegible] ورواتب الموظف كان يتناسب مع مركز الموظف وما يتخذه لنفسه من هيئة في

نفوس الناس . ولعل من أصدق الشواهد على ذلك ما يروي أن المعتضد بلغه أن عامله على فارس أظهر أبهة في ولايتهوأنفق مالا طائلا ، فوقعت له بذلك هيبة في نفوس الرعية . فزاد المعتضد رزق عامله ليستعين به على مروءته ؟

وقد روي أبو داود : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أتاه الفيء قسمه في يومه ، فأعطى الآهل حظين وأعطى العزب حظا ، فهو يراعي الحالة الاجتماعية ، ومن يعولهم الموظف من افراد اسرته ، وهذا هو ماتوصلت اليه نظم الموظفين الحديثة بعد كثير من العناء والمشقة والجدل والمراء على الرغم من أن الاسلام كان سابقا لها ومتقدما عليها .

والنظام الضريبي له أصل في الاسلام وبخاصة « ضريبة الدخل » فقد كانت الزكاة المستحقة على أصحاب الأعطيات تخصم من أعطياتهم قبل ان يستولوا عليها ولا يسلم إليهم إلا مابقي بعد خصم الزكاة ، هداهم الى هذا فطرتهم واستقامة فكرهم ، حيث أن مؤلفي علوم المالية الحديثة لم يتوصلوا الى ما انتهوا اليه الا بعد ان اجتازوا مافيها من التعقيد وصولا الى ماوصل اليه الفكر الاسلامي العريق . وقد رأى خلفاء المسلمين إنصاف الموظفين بوضع نظام عادل لرواتبهم ، فأمير المؤمنين علي كرم الله وجهه يوصي أحد عماله أن يسبغ الأرزاق على الموظفين ، فإن ذلك قوة لهم على إصلاح انفسهم ، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحجة عليهم ان خالفوا الأمر او ثلموا الأمانة .

ولعمر بن عبد العزيز محاورة في ذلك تدل على مبلغ حرصه على إنصاف الموظفين قيل له : ترزق الرجل من عمالك مائة دينار ومائتي دينار في الشهر واكثر من ذلك ؟ فيقول : أراه لهم يسيرا ان عملوا بكتاب الله وسنة نبيه وأحب ان افرغ قلوبهم من الهم بمعايشهم » .

وكان أهم ماجرت عليه الإدارة في عهد المأمون التوسعة على العمال يراد بهذا حفظ حقوق الرعية والسلطان .

ولعمري ان ذلك حزم وبعد نظر ، وحسن بصر وبصيرة بالأمور ، فان من تولى أمور الناس وأعطى الفصل فيها وتصريفها يجب أن يكون مرزوقا موسعا عليه ، ولا يشعر بضيق ولا تلذعه حاجة ، لأن الشعور بالضيق فتنة ولذع الحاجة مدرجة للخيانة ، فتمتد يد الموظف الى ما في أيدي الناس ، وتتطلع عينه الى المعونة بما يملكون .

ومن أحق بهذا الحزم من المأمون ، وهو من هو علما وحكمة ؟ وهو الذي رفع منزلة (الفضل بن سهل) وعقد له على الشرق طولا وعرضا ، وجعل عمالته ثلاثة آلاف درهم !

ورواتب الموظفين تجري عليهم من بيت المال لأنهم في عمل المسلمين ، أرشد بهذا أبو يوسف الرشيد ففي كتاب الخراج أن الرشيد قال : يجري على القاضي اذا صار إليه ميراث من المواريث . فأجاب قاضيه ابو يوسف : لا إنما يعطي للقاضي رزق من بيت المال ، ليكون قيما على الفقير والغني ، والصغير والكبير ، ولا

يأخذ من مال الشريف ولا الوضيع اذا صارت اليه مواريثه رزقا .

ونظام المعاشات والمكافآت في الاسلام معروف : فقد أجرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قيس بن مالك الأرحبي من همزان لما استعمله على عربهم وعجمهم ومواليهم ، فأقطعه من ذرة(نسار) مائتي صاع ومن زبيب (خيوان) مائتي صاع ، جار له ذلك ولعقبة من بعده ابدا ، أبدا أبدا .

وعمر بن عبد العزيز أمر أن يرفعوا اليه كل يتيم ومن لا أحد له ممن قد جرى على والده الديوان ، فأمر لكل خمسة بخادم يتوزعونه بالسوية ، وفرض للعوانس الفقيرات

وكان لا يُفرض للمولود حتى يفطم ، فنادى معاوية لا تعجلوا أولادكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود في الاسلام .

وراعى الاسلام العجزة من موظفي الدولة ومنحهم رعاية اجتماعية ، فقد كتب عمر بن عبد العزيز الى أمصار الشام ان يرفعوا اليه كل أعمى في الديوان ، أو مقعد أو من به فالج او من به زمانة تحول بينه وبين القيام الى الصلاة ، فأمر لكل أعمى بقائد ، ولكل اثنين من الزمنى بخادم ، وعلى هذا النحو كانت رعاية الولاة العادلين لمصالح الموظفين بل للمسلمين أجمعين .

وليس بعزيز على من يشعر بأنه مسئول أمام الله عن كل صغيرة وكبيرة من أمور رعيته أن يسد حاجتهم بل ليس بعزيز عليه أن يغنيهم ، وأن يلبث ساهرا لا تغمض له عين وفي رعيته جوعان حتى يشبع ، أو ظمآن حتى يروي ، لا يقصد بذلك الا وجه الله وطاعته فيما ولاه .

عن ابي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتي بالرجل المتوفى،عليه الدين فيسأل : هل ترك لدينه فضلا ؟ فان حدث أنه ترك لدينه وفاء صلى،والا قال للمسلمين : صلوا على صاحبكم فلما فتح الله عليه الفتوح قال :ـ أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن توفى من المؤمنين فترك دينا فعليَّ قضاؤه ، ومن ترك مالا **فلورثته** » رواه البخاري ومسلم وأبو داود .

جاءت أمرأة من العراق الى عمر بن عبد العزيز وشكت عيلتها وفقرها ، وقالت ان زوجها لحق بربه وترك بنات خمسا وطلبت ان يفرض لهن : فقال ما أسم الأولى ؟ فقالت : فلانة . قال فرضت لها كذا . فقالت الحمد لله يا أمير المؤمنين ثم قال والثانية ؟ قالت : فلانة . قال :ـ فرضت لها . كذا قالت : الحمدلله يا أمير المؤمنين . ثم سألها عن الثالثة . ففرض لها . فحمدت الله ثم الرابعة ففرض لها . فحمدت الله : ثم قالت : والشكر لأمير المؤمنين ، بقيت الخامسة واسمها فلانة : فقال لها عمر : لا اننا لا نفرض لها ، فقد فرضنا لاخواتها حين أوليت الحمد أهله أما الآن فقد أوليت الحمد غير أهله ، فمرى الأربع أن يفضلن على الخامسة !!! ولم يفرض لها لأن المرأة اتجهت لغير الله .

هذه مقتطفات من النظام الاسلامي في ادارة دفة حكمه ، والذي طبقت شهرته الآفاق وصار مضرب الأمثال للنظم الحديثة .

وقفة تأمل

إلى من يهمه الأمر

● يعيش على التناقضات بين الإسلامي والأوضاع الغربية التي لا تتفق مع منطق ولا عقل .. بل هي على النقيض مما يدعو إليه الدين الإسلامي الحنيف.

● وحديثنا هنا سوف يقتصر على بعض الظواهر الاجتماعية التي تمس شباب الأمة الإسلامية .. وتكاد تعصف بهم فيعانون من التيه في دروب الحياة المظلمة .. ويقعون فريسة للصراع النفسي داخل مجتمعات غير متوازنة .. فالبون شاسع بين النظرية والتطبيق .. بين المبادئ والقيم العليا التي يحرص عليها الإسلام والواقع الذي يعيشه المسلمون.

● فالإذاعات .. وإن كانت ترسل بعض البرامج الإسلامية الهادفة .. إلا أن معظم ماتبثه ضار وغير مفيد .. مما يصرف الشباب عن حياة الجد والعمل إلى حياة اللهو والفساد فكم نشاهد من شباب يركب سيارة ويفتح المذياع على أعلى صوته ليستمع إلى أغنية خليعة تشغله عن الانتباه إلى مخاطر الطريق فيحدث مالا تحمد عقباه.

● والتلفازات تعرض على المشاهدين مايضر بالصغار والكبار وما يصرف عن الاستفادة بالوقت في عمل مفيد أو قراءة نافعة أو اكتساب علم جديد .. فكم من طفل حاول أن يمثل ما شاهده على شاشة التلفاز فكانت فجيعة أهله فيه .. وإن أنس لا أنس هذا الولد الذي لف الحبل حول عنقه

وربطه من أعلى .. ثم تدلى في ساحة البيت .. فكان ان فارق الحياة ..

● والأفلام الخليعة كم دمرت من شباب .. وأضاعت مستقبلهم .. فحاولوا الارتواء من الحرام .. وتعرضوا لحرمات الناس .. وبعضهم حاول تقليد الأبطال .. فأقدم على السرقة بطرق حديثة من غير عوز ولاضرورة ولاحاجة .. الا مجرد اللهو .. والتقليد .. والاحساس بالضياع .

● عجيب حال مجتمعنا المسلم . ندعو الشباب الى العفة والنزاهة .. والبعد عن مزالق الشيطان ، ودروب الأشقياء .. والتمسك بالشرف والفضيلة .. ثم نيسّر أمامه سبل الحرام . ونوفر له الشياطين يدعونه الى الهدى ائتنا .. حتى ينسى الشاب ان هدى الله هو الهدى .

● الشارع غيرمسلم .. فالمرأة شبه عارية .. والافلام في دور السينما تدعوه الى الانحراف . وأفلام الفيديو داخل البيوت حتى الصباح وأكثرها من الممنوع .. فكيف يمكن الاصلاح ؟!

● والعقبات الكأداء قائمة في طريق الشباب الراغب في الوصول الى تحقيق أمانيه بالحلال فكم من عقود زواج فسخت أمام أزمة الاسكان .. وكم من خطبة لم تصل الى صورة عقد الزواج بسبب غلاء المهور .. وكم من أسر تفككت بسبب ارتفاع تكاليف الحياة .

ضيق وعسر وشدة وألف عائق وعائق في طريق المباح .. ويسر وسهولة وورود خبيثة وألف شيطان يدفع الى المسلك الحرام .

فكيف يمكن ان تتحول دعوات المصلحين الى واقع محسوس والانفصام النكد قائم بين الدين ومثله .. والحياة ومافيها ؟

● ان في الأمة قادرين على تذليل الصعاب .. ان في الأمة مسئولين عن اوضاعنا المتردية .. وان في الأمة من وضع الله في أيديهم اتخاذ القرار .. فالى من يهمهم الأمر من المصلحين والمربين والقادة نوجه هذا الكلام داعين اياهم ان يقفوا وقفة تأمل فيما نحن فيه .. وان يعملوا بما وهبهم الله على اصلاح الواقع ، والأخذ بيد الشباب الى بر الأمان .. فهم مستقبل الأمة وعدتها ، ورجال الغد ، وعلى سواعدهم تبنى الأمجاد .

والله الموفق .

فهمي عبد العليم الامام



يؤمن النصارى في زماننا المعاصر بألوهية روح القدس لأنه في نظرهم حل على السيدة مريم بنت عمران والدة المسيح عليه السلام عندما جاء اليها في مكان عبادتها وبشرها بحمله ثم ولادته بعد ذلك دون اتصال منها بأي واحد من البشر .

كما يعتقدون ثانيا أنه هو الذي حل على المسيح عليه السلام عند تعميده في نهر الاردن

وأنه ... حل على الحواريين تلامذة المسيح وأصحابه بعد ان ذهب عنهم ... العالم .

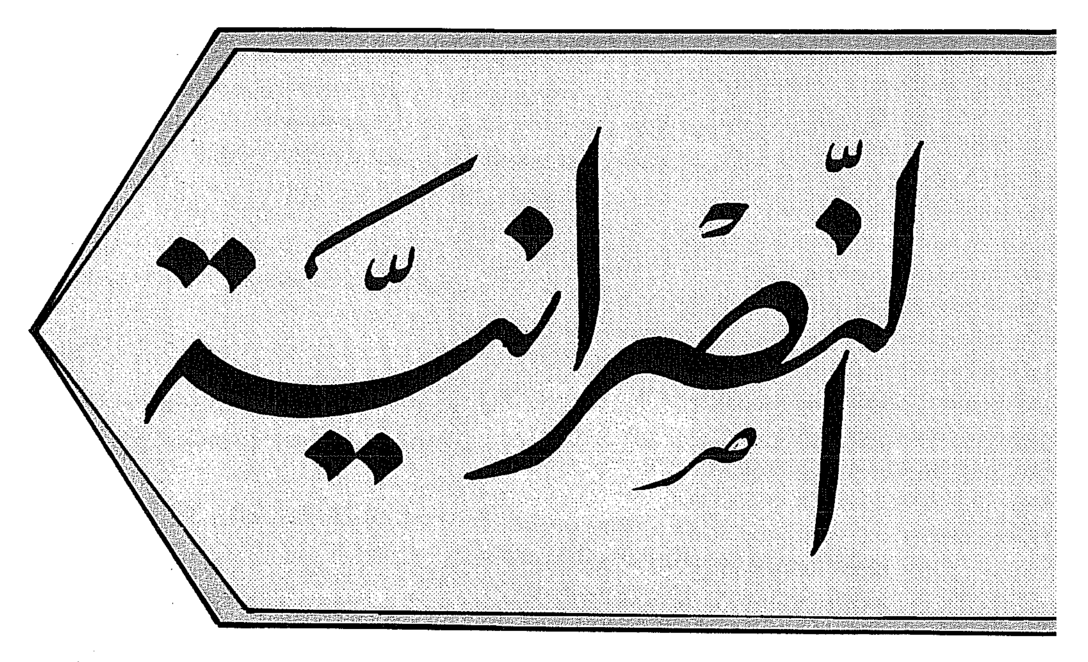
و... ذلك بالنصوص الآتية من كتابهم المقدس .

النص ... : ورد في إنجيل لوقا بالاصحاح الأول عدد ٢٦ ـ ٣٥ وهو :ـ

« وفي ... السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة ... عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها ـ الرب معك مباركة انت في النساء ... وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع ... فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست اعرف رجلا فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك » . وكلمة يسوع تعني المسيح .

النص الثاني : ورد في انجيل مرقس في الاصحاح الأول عدد ٩ ، ١٠ وهو :

« وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل ، واعتمد من يوحنا في الاردن



وللوقت وهو صاعد من الماء رأي السماوات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلا عليه » .

النص الثالث : وقد رود في سفر أعمال الرسل في الاصحاح الأول عدد ٨ وهو القول المنسوب للمسيح إلى تلاميذه : « كلكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لي شهودا في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض » . وكلمة أورشليم تعني مدينة القدس .

مجمع نيقية يضفي القداسة على روح القدس في القرن الرابع الميلادي :

تكشفت قداسة روح القدس فجأة لدى النصارى عند انعقاد مجمع نيقية المسكوني سنة ٣٢٥ ميلادية فقد ألغى عقيدة التوحيد التي كانت سائدة لدى طوائف النصرانية خلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد ، وبدلا منها فرض ذلك المؤتمر عليهم عقيدة الثالوث المكون من الأقانيم الثلاثة وهي :-

١) الآب ويعنون به الله

٢) الابن ويعنون به المسيح

٣) والروح ويعنون به الروح القدس

ولما كان أعضاء ذلك المؤتمر يهمهم في البداية استقرار مبدأ ألوهية المسيح ضمن عقيدة الثالوث لذلك فقد تركوا موضوع ألوهية روح القدس دون مناقشة فلم يثبتوها أو ينفوها بل أجلوا القطع في أمرها لفرصة أخرى .

تقرير ألوهية روح القدس بعد ذلك :

بعد فرض عقيدة الثالوث أو التثليث انقسمت طوائف النصارى حول طبيعة الأقنوم الثالث - وهو روح القدس الى طائفتين :-

الطائفة الأولى :

ويتزعمها بطريرك الاسكندرية المبتدع والمدافع عن عقيدة الثالوث ويفسرها بمفهومه الكنسي فيقول : إن المسيطر على العالم قوى ثلاث هي كما قدمنا آنفا

١) المكون الاول : وهو الله ويسمونه الآب
٢) العقل : ويقصدون به المسيح ويسمونه الابن
٣) النفس العامة : ويقصدون به الروح القدس

الطائفة الثانية :

ويتزعمها مقدونيوس أسقف القسطنطينية وكان يعلن أن الروح القدس ليس إلها ولكنه مخلوق مصنوع ، وكان يشايعه في ذلك أسقف آخر كبير هو الأسقف أوسابيوس .

انعقاد مجمع القسطنطينية الاول :

وحسما لهذا الخلاف بين الطائفتين عقد الامبراطور الروماني تاوديوس الكبير مجمع القسطنطينية الاول سنة ٣٨١ ميلادية ولم يحضره من جميع أنحاء الامبراطورية إلا ١٥٠ أسقفا فقط ، والعجيب في الأمر أن هذا المؤتمر لم يجتمع ليناقش بل ليتخذ قرارا مبيتا قبل اجتماعه سرعان ما وافقوا عليه وهو :

أولا : تقرير ألوهية روح القدس ، وبذلك اكتمل في نظرهم بنيان الثالوث المقدس
ثانيا : لعن من يقول بغير ذلك

وبناء على قرار المؤتمر المذكور أعلن حرمان الأسقفين مقدونيوس وأوسابيوس وأسقط من كل منهما رتبته .

ابن البطريق المؤرخ النصراني يشرح قرار ذلك المؤتمر بتأليه روح القدس :

يقول ابن البطريق « زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا الذين اجتمعوا في نيقية الإيمان بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد وثبتوا أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاثة خواص »

انتهى كلام ابن البطريق .

كيف تقررت ألوهية روح القدس في مؤتمر القسطنطينية المذكور :

قدم بطريرك الاسكندرية تفسيرا عجيبا الى المجتمعين في ذلك المؤتمر سرعان ما وافقوا عليه عقيدة لهم ولطوائف النصرانية وهذا التفسير هو بنصه الآتي :
« ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله وليس روح الله شيئا غير حياته فاذا

قلنا إن روح القدس مخلوق فقد قلنا إن روح الله مخلوق ، واذا قلنا إن روح الله مخلوقة قلنا إن حياته مخلوقة ، واذا قلنا إن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حي واذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به ومن كفر به وجب عليه اللعن » .

نقد الأساس الذي وافق عليه مجمع القسطنطينية في تقرير ألوهية روح القدس :

من النظر إلى السلسلة السابقة التي قدمها بطريرك الإسكندرية يتضح لنا بأن مقدمة هذه السلسلة وهي أن روح القدس هي روح الله التي تقوم بها حياته مقدمة خاطئة لا تسندها نصوص الكتاب المقدس عندهم ولا يوافقه عليها أهل العلم بذلك الكتاب وما دامت المقدمة خاطئة فلا بد وأن تكون النتيجة التي انبثقت عنها خاطئة وهي تلك التي وافق عليها مؤتمر القسطنطينية الأول عن روح القدس .

التفسير الواضح لروح القدس أو روح الله من واقع الكتاب المقدس لليهود والنصارى

الرأي الواضح الذي لا غموض فيه هو أن روح القدس أو روح الله ملك من الملائكة خلقه الله واتخذه ليكون رسولا بينه وبين من يريد أن يلقي عليه وحيا من خلقه كالأنبياء والمرسلين .

وقد يكون بمعنى الوحي نفسه أو بمعنى التأييد والثبات من الله ولنستدل على ذلك بنصوص الكتاب المقدس في عهديه القديم والجديد طبقا للآتي :

أولا : في كتاب العهد القديم والذي يضم أسفار موسى الخمسة وأسفار أنبياء بني اسرائيل .

١ ـ ورد في سفر العدد في الإصحاح ١١ عدد ٢٥ قوله حكاية عن موسى عليه السلام : « وأخذ من الروح الذي عليه وجعل على السبعين رجلا فلما حلت عليهم الروح تنبأوا ولكنهم لم يزيدوا » أي فلما نزل عليهم الملك بالوحي تنبأوا .

٢ ـ تضمن السفر السابق الاشارة إليه في الإصحاح ١١ عدد ٢٩ قوله أيضا : « يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء اذا جعل الرب روحه عليهم » أي تأييده وثباته لهم .

٣ ـ وردت في الزبور ٥١ عدد ١١ قوله على لسان داود عليه السلام « وروحك القدوس لا تنزعه مني » أي بمعنى الوحي أو التأييد والثبات من الله .

٤ ـ وشبيه بذلك ما ورد بسفر أشعيا في الاصحاح ٦١ عدد ١ قوله « روح السيد الرب علي » .

٥ ـ وما ورد في سفر الأيام الثاني في الإصحاح ٢٤ عدد ٢٠ قوله : « ولبس روح الله زكريا »

٦ ـ وما ورد في سفر نحميا في الإصحاح التاسع عدد ٢٠ قوله : « وأعطيتهم روحك الصالح لتعلمهم » .

ثانيا : في كتاب العهد الجديد والذي يضم الاناجيل الأربعة المنسوبة الى متى ومرقس ولوقا ويوحنا والرسائل الملحقة بها نذكر الآتي :

(١) ورد في انجيل لوقا في الاصحاح الأول عدد ١٥ قوله عن النبي يوحنا : « لأنه يكون عظيما أمام الرب ... ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس » النبي يوحنا يعني النبي يحيى بن زكريا عليهما السلام .

(٢) جاء في الانجيل السابق الاشارة اليه في الاصحاح الثاني عدد ٢٥ قوله عن سمعان التقى وكان من أهالي مدينة القدس : « وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان ... والروح القدس كان عليه » .

(٣) ورد في سفر رؤيا يوحنا في الإصحاح الثامن عدد ٩ قوله عن المؤمنين بالمسيح عليه السلام : « إن كان روح الله ساكنا فيكم » .

هل اكتفى رجال الكنيسة بذلك القرار الثالوثي على هذا الوضع ؟ :

لم يكتف بعض رجال الكنيسة بذلك الثالوث على هذا الوضع السابق شرحه فهم لم يقتنعوا بألوهية روح القدس وأنه منبثق من الآب « أي الله » بل تراهم كأنهم تصوروا منافسة على زعمهم بين الله جل جلاله وبين المسيح عليه السلام لذلك عقدوا مجمعا آخر هو مجمع طليطلة سنة ٥٨٩ ميلادية انتهوا فيه إلى أن روح القدس منبثق من الإبن ايضا : « بمعنى/ انه منبثق ايضا من المسيح » مع أن هذا مناقض لما قالوه سابقا وللنصوص الأولى المشار إليها في صدر المقال من أنه هو الذي حل على العذراء مريم لدى البشارة لها ، وعلى المسيح عند العماد فمتى يفيق هؤلاء الغافلون ؟

ولم تقبل ا لكنيسة اليونانية هذه الزيادة الجديدة وكذلك الكنيسة القبطية بمصر لم تقبلها ولا تزال عبارة : « ومنبثق من الابن أيضا » موضع خلاف بين الكنيسة اليونانية والقبطية من جهة وبين الكنيسة الكاثوليكية من جهة أخرى وسببا لعدم الالتقاء بينهما .

الدكتور أحمد شلبي أستاذ علم مقارنة الأديان بجامعة القاهرة يعلق على **قرارات المجامع الكنسية** :

ويقول الدكتور أحمد شلبي عن تلك المجامع الكنسية وعما تصدره من قرارات عجيبة في تقرير الألوهية : « وهكذا اتخذت تلك المجامع سلطة صنع الآلهة » فيا للعجب العجاب .

ما يقوله الفيلسوف والمفكر اللاهوتي الهولندي سبينوزا عن الروح القدس **أو روح الله** :

يقول ذلك الفيلسوف إن كلمة روح في اللغة العبرانية تعني الذهن أو حكم

الذهن ، ولهذا استحقت الشريعة نفسها بمقدار تعبيرها عن الفكر الالهي أن تسمي روح الله وفكره .

فاذا قلنا روح الله في النبي ، أنزل الله روحه في البشر ، والبشر ملىء بروح الله أو بالروح القدس ، فهذه عبارات لا تعني سوى أنه كانت للأنبياء فضيلة خاصة فوق المعتاد ، وأنهم كانوا يثابرون على التقوى دواما ، وكانوا بالإضافة إلى ذلك قادرين على إدراك فكر الله أو حكمه بمعنى أن روح القدس يعني الفكر الصائب المستقيم المستوحى من الله .

النبي الإسرائيلي أشعيا يؤيد في سفره ما ذهب إليه الفيلسوف والمفكر سبينوزا من تفسير :

وذلك في قوله : « ويخرج قضيب من جذع يبس ويحل على روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ويخافه الرب ، ولذته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه بل يقضي بالعدل للمساكين » أنظر سفر أشعيا في الإصحاح ١١ عدد ١.

الروح القدس في عقيدة الاسلام :

هو الملك « جبريل عليه السلام » اصطفاه الله لينزل بالوحي على رسله وأنبيائه ، وإطلاق روح القدس عليه لأنه ينزل بالقدس أي الطهر من الله والمراد به الوحي ـ الذي يطهر نفوس البشر من الجهل والإثم ، أو لطهره من الأدناس البشرية فهو من إضافة الموصوف إلى صفته .

وهو الذي نزل بالقرآن الكريم على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى يصف نزوله بالقرآن عليه صلى الله عليه وسلم : **(قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين)** النحل/ ١٠٢

ومن أوصافه أيضا أنه الروح الأمين فهو أمين على وحي الله المنزل من السماء قال تعالى في وصفه : **(نزل به الروح الأمين.على قلبك لتكون من المنذرين)** الشعراء/ ١٩٣ و ١٩٤

ولهذا الملك من القوة العظيمة ما لا يعلمه إلا الله فلقد قام بتعليم القرآن الكريم وتلقينه للنبي صلى الله عليه وسلم بماله من قوة وبأس وشدة قال تعالى : **(إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى)** النجم/ ٤ ـ ٦ وكثيرا ما كان يحدث للنبي صلى الله عليه وسلم مشقة شديدة في التلقي من ملك الوحي جبريل عليه السلام .

حدثت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول ، قالت عائشة

رضي الله عنها وقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا

ماذا يعني إضافة لفظ الروح إلى الله بوجه عام :

إن إضافة لفظ الروح إلى الله هي إضافة تشريف أو تعظيم وليس هذا من مبتكرات اللغة العربية وحدها بل هو قديم جدا ومتعارف عليه عند العبرانيين ويدلل على ذلك الاستاذ / ابراهيم الحوراني وهو من علماء أهل الكتاب ومفسريهم فيقول في أبحاثه التي ضمنها كتابه السنن القويم في تفسير أسفار الكليم : " اعتاد العبرانيون أن ينسبوا إلى الله ما يريدون تعظيمه طبقا لما يلي :-

١) ورد بسفر التكوين في إصحاح ١ عدد ٢ قوله عن الريح العظيمة : « روح الله يرف على وجه الماء »

٢) ورد بالسفر السابق الإشارة إليه في إصحاح ٢٣ عدد ٦ عن بني حث وقولهم لابراهيم عليه السلام لما نزل عليهم بفلسطين : « أنت رئيس من الله » أي رئيس عظيم .

٣) ذكر مزمور ٣٦ عدد ٦ قوله : « عدلك مثل جبال الله » أي مثل جبال عظيمة .

٤) ورد في سفر صموئيل الأول إصحاح ٢٦ عدد ١٢ قوله : « لأن سبات الرب وقع عليهم » أي وقع عليهم نوم ثقيل عميق

انتهى كلام الأستاذ ابراهيم الحوراني

ماذا تعني اضافة الروح الى الله في القرآن الكريم

هي اضافة تشريف وتفضيل وتعظيم ومثاله

١) قال تعالى عن خلق آدم عليه السلام وأمر الملائكة بالسجود له بعد أن نفخ فيه من روحه **(فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)** الحجر/٢٩

٢) قال تعالى عن الناقة التي طلبها قوم صالح عليه السلام آية لهم **(فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها)** الشمس/١٣

٣) وقال سبحانه عن البيت الحرام في مكة المكرمة **(وعهدنا إلى ابراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود)** البقرة/١٢٥

ولما كان من معاني الروح الرحمة والنعمة من الله على عباده لذلك كان المسيح عليه السلام رحمة من الله لقومه ونعمة عظيمة منه عليهم إذ كان يرشدهم الى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة سمي روحا من الله قال تعالى **(إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه)** النساء/١٧١

وقد تكون الروح بمعنى الوحي الذي يجيء به ملك الوحي لأنه يحيي القلوب

الميتة من جهالاتها قال تعالى : (**وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا**) الشورى/ ٥٢ .

فالقرآن الكريم وهو الوحي المنزل من الله باحيائه تلك القلوب كان سببا للحياة الأخروية الموصوفة في قوله تعالى : (**وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون**) العنكبوت/ ٦٤ .

وقد تكون بمعنى جبريل عليه السلام قال تعالى : (**فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا**) مريم/ ١٧ روى أنه كان موضعها في بيت العبادة لبني إسرائيل ، فبينما هي في خلوتها أتاها جبريل عليه السلام في صورة إنسان كامل لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقي إليها من كلمات ربها .

فالاضافة الى الله كلها إضافة تشريف وتفضيل وتعظيم

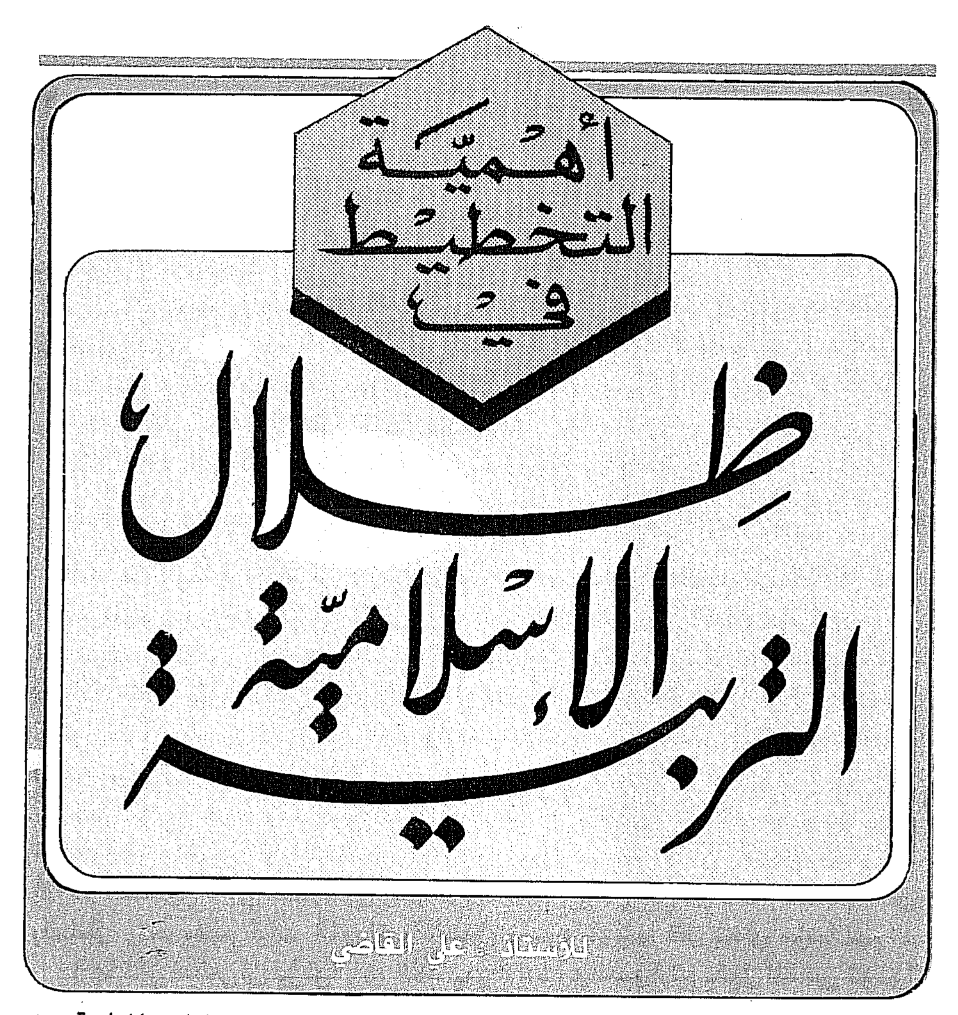
الإسلام يشهد ببراءة المسيح عليه السلام من زعم النصارى

فما صح وما استقام أن المسيح وهو بشر اصطفاه الله لتبليغ الرسالة الى قومه الاسرائيليين وأعطاه الكتاب الذي يرشدهم إلى عبادة ربهم وأعطاه الحكمة وحسن التصرف في الأمور ، وأعطاه النبوة العاصمة من الخطأ ثم يتنكر لربه الذي اختاره لهداية خلقه فيقول للناس كونوا عبادا لي إشراكا مع الله أو إفرادا ، ولكن يقول لهم كونوا علماء عاملين كاملين في العلم والعمل لانكم تعلمون الناس الكتاب وتدرسونه فأولى بكم أن تتبعوه ولا تحيدوا عنه .

كما أنه ما صح وما استقام أن يأمرهم أن يتخذوا الملائكة : « ومنها روح القدس » ، والنبيين أربابا فلا يليق به وهو رسول من عند الله أن يأمرهم بالكفر بعد إذ هم مسلمون ، أي مخلصون ومنقادون لربهم ، ولكن نتج كل ذلك بخلطهم الحق بالباطل وتحريفهم آيات التوراة والإنجيل وسوء تأويلها قال تعالى مؤنبا لهم :ـ **(ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون)** آل عمران/ ٧٩ و ٨٠ .

مراجع أخرى

١) كتاب المسيحية ـ مقارنة الاديان ـ للدكتور احمد شلبي .
٢ ـ المرجع السابق .
٣) كتاب محاضرات في النصرانية للمرحوم الشيخ محمد ابو زهرة .
٤) المرجع السابق .
٥) كتاب النصرانية والاسلام ـ عالمية الاسلام ودوامه الى قيام الساعة لكاتب هذا المقال .
٦) كتاب المسيحية ـ مقارنة الاديان ـ للدكتور أحمد شلبي .
٧) المرجع السابق .
٨) كتاب رسالة في اللاهوت والسياسة تأليف سبينوزا ترجمة الدكتور سعد حنفي .
٩) صحيح البخاري .
١٠) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار الكليم نقلا عن كتاب سلاسل المناظرة الاسلامية النصرانية للاستاذ عبد الله العلمي الغزي الدمشقي أستاذ دروس تفسير القرآن في الجامع الأموي بدمشق سابقا .
١١) كتاب المفردات في غريب القرآن لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني .



ما المقصود بالتخطيط :

يقصد بالتخطيط العملية المنظمة التي يتم بها اختيار احسن الحلول للوصول الى اهداف معينة ـ وقد يكون التخطيط طويل المدى او متوسط المدى ـ او قصير المدى ـ وقد يكون في الشؤون الاقتصادية او العسكرية او الثقافية او غير ذلك مما يهم الأمة في مستقبل حياتها .

والتخطيط ـ في جوهره ـ موازنة بين القدرات والامكانات المتاحة على اختلاف أنواعها وما يراد ان يحقق من أهداف وتطلعات وآمال .

خصائص التخطيط :

للتخطيط خصائص كثيرة اهمها ثلاث :

اولا : انه يتضمن النظر الى المستقبل وآماله بالنسبة لفرد او مجموعة من الناس أو للدولة او لمجموعة من الدول التي تسير على منهج واحد في نوع من

أنواع التخطيط في ضوء الامكانات المتاحة سواء أكانت هذه الامكانات اقتصادية أم بشرية أم غيرها .
ثانيا : انه يعني العمل الايجابي الهادف الذي يقوم على اساس متين من الفهم والجدية الكاملة في العمل .
ثالثا : انه يعني التنظيم في علاقات الافراد بعضهم ببعض ، وبالأنظمة الاجتماعية المختلفة ، في ضوء ادراكه للعلاقة بين الأسباب والنتائج .

من هنا كان لابد - عند التخطيط لعمل ما - ان تتوفر له البيانات الكافية للموضوع الذي يخطط له والاحصاءات التي تلزم - مع العناية الكاملة بأن يكون كل ذلك على درجة كبيرة من الصحة والدقة حتى يكون التخطيط قائما على اساس سليم .

انواع التخطيط :

والتخطيط له انواع كثيرة - وقد تبنت كل دولة ما يناسبها من انواعه على حسب تقدير المسؤولين في كل دولة .

فهناك التخطيط الالزامي : الذي يشمل كل قطاع من قطاعات الدولة فيفرض عليه الالتزام بما تحدده الخطة من الأهداف .

وهناك التخطيط الحر - وهو الذي تقوم فيه الدولة بدراسات تنبؤية في الاقتصاد والتكنولوجيا ، ثم تترك المؤسسات ورجال الاعمال يتصرفون بحرية حسب ظروفهم .

وهناك التخطيط الباني : وهو الذي تحدد الدولة بموجبه الأهداف ثم تضع المؤشرات الى ما ينبغي اتخاذه لتخطيطها تاركة للمؤسسات حرية التصرف والمبادرة التلقائية .

وهناك التخطيط التشجيعي : وهو الذي تكتفي فيه الدولة بالالتجاء الى بعض الاساليب في الثواب والعقاب - عن طريق الضرائب وغيرها - من اجل تحقيق اهداف الخطة بدلا من ان تقوم بالتنفيذ .

أهمية التخطيط :

ويأتي سؤال لماذا تهتم الدولة في كل قطاعاتها بالتخطيط ؟

والجواب : ان التخطيط يساعد مساعدة فعالة على تحقيق الاهداف - مع الاقتصاد في الوقت والجهد والمال .

ولكي يكون التخطيط سليما فلابد وان يحقق الاهداف التي تنسجم مع المجتمع وقيمه واخلاقه ومعتقداته - والا فان المجتمع سيكون في حرب داخلية وبذلك يخسر المجتمع من هذا التخطيط .

ومن ذلك ما نلاحظه في نظمنا التعليمية في جامعاتنا اذ ان الخطة والمحتوى واردتان من الخارج ولا تتفقان مع قيم الشعب ومعتقداته - ومن هنا ينشأ الصراع بين خريجي الجامعات وبقية طوائف الشعب للاختلاف على القيم والمعتقدات احيانا - وهذا ما يحدث في معظم دول العالم الاسلامي .

العوامل التي تؤثر في التخطيط :

واهم العوامل التي تؤثر في

التخطيط ما يأتي:

اولاً : العوامل الاقتصادية :

ويقصد بها الامكانات المادية المتاحة لانفاقها على الخطة التي يراد تنفيذها - وقد تكون هذه الامكانات من ميزانية الدولة او من تبرعات الافراد او من الاقتراض الداخلي او الخارجي او غير ذلك - وقد تكون مزيجا من هذا كله .

ثانيا : العوامل الاجتماعية :

ويقصد بها السكان ومدى استعداد المجموعة التي ستقوم بتنفيذ ما خطط لها سواء أكان ذلك من الناحية الجسمية أم العقلية أم التعليمية أم الثقافية أم النفسية - ثم معدل النمو السكاني الآن بالنسبة الى مستقبل الايام .

ثالثا : العوامل السياسية : ويقصد بها الاسلوب الذي تسير عليه الدولة وهل هو اسلوب شيوعي او اسلوب رأسمالي او اسلوب اسلامي ؟ لان هذا يؤثر على التخطيط كما يؤثر على التنفيذ .

والتخطيط يستلزم وصف الموقف الحالي وتقويمه في الناحية التي يراد عمل التخطيط لها ثم دراسة الواقعية والفاعلية .

التخطيط في الاسلام :

التخطيط في الاسلام ينبع اولا من عقيدة المسلم التي ينبغي ان تكون اسسها ومفاهيمها واضحة في ذهن المخطط لتحقق رسالته في هذه الحياة - فالمسلم لا يبدأ من فراغ ولا يسير الى هدف مجهول او هدف مقتصر على الناحية المادية وحدها - فالمسلم خليفة الله في الارض امر بعمارتها ونشر العدالة والامن فيها - ولذلك فلابد وان يلتزم المخطط بمنهج الله تعالى (**وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**) الانعام / ١٥٣ .

فاذا ما سار في هذا الطريق واعتصم بالله فهذا اول خطوات النجاح (**ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم**) آل عمران / ١٠١ .

والاقتصاد في الاسلام جانب مهم في التخطيط الاسلامي ولكنه ليس الجانب الأهم - لأن النظر الى هذا الجانب وحده سيأتي بمشكلات جديدة تحتاج الى حلول تأخذ الوقت والجهد وهذا ما يحدث في الغرب .

والتجربة من اسس التخطيط السليم - والاسلام يدعو اليها والرسول عليه الصلاة والسلام يقول في مسألة تأبير النخل (انتم اعلم بشؤون دنياكم) كما روى مسلم - وانطلق ، المسلمون يجربون ويكتشفون الى الحد الذي جعلهم قادة في هذا الميدان يقول رينيه ميليه « **لقد جاء المسلمون بميدان في البحث جديد - بدأ يتفرع من الدين نفسه هو مبدأ التأمل والبحث - وقد مالوا الى العلوم وبرعوا فيها وهم الذين وضعوا اساس علم الكيمياء** » .

كما ان الدكتور فرنتور ونتال يقول (**إن اعظم نشاط فكري قام به المسلمون يدلنا جليا في حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختياراتهم - فانهم كانوا يبدون نشاطا واجتهادا عجيبين حين يلاحظون ويمحصون وحين يجمعون ويرتبون ما تعلموه من التجربة**).

وقد ضرب القرآن الكريم مثلا للتخطيط السليم الذي قام على اسس منطقية فامكن بذلك تلافي مجاعة كانت تهدد الناس جميعا بالهلاك - لولا التخطيط السليم الذي قام به يوسف عليه السلام وهو امين على الخزائن - وذلك حين فسر الرؤيا التي جاءت على لسان ملك مصر في قوله تعالى (**وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر**) سورة يوسف/ ٤٣ . وتولى يوسف عليه السلام تفسير الرؤيا فقال (**تزرعون سبع سنين دأبا**) يوسف/ ٤٧ . متتابعة مجدين بلا انقطاع في عمل مستمر وهي السنوات السبع المرموز اليها بالبقرات السمان - فما حصدتم فاتركوه في سنبله لان هذا يحفظه من السوس والمؤثرات الجوية واحتفظوا به للسنوات العجاف التي رمز اليها بالبقرات العجاف - وهذه طريقة سليمة لحفظ المحصول سليما طوال هذه المدة - الا قليلا مما تأكلون فجردوه من سنابله ويكون الحب لكم والتبن لدوابكم - ثم تأتي من بعد ذلك سبع شداد لا زرع فيهن يأكلن ما قدمتم لهن - وكأن هذه السنوات هي التي تأكل بذاتها كل ما يقدم لها لشدة نهمها وجوعها الا قليلا مما تحفظونه وتصونونه من التهامها - ثم تنقضي هذه السنوات العجاف المجدبة التي تأتي على ما خزنتم وادخرتم من سنوات الخصب تنقضي ويعقبها عام رخاء فيه يغاث الناس بالزرع والماء وتنمو كرومهم يعتصرونها خمرا - كما تنمو السمسم والخس فيعتصرونها زيتا .

وقد عم القحط كل مصر ووصل الى بلاد كنعان التي يسكن فيها يعقوب واولاده - وقد تولى يوسف عليه السلام التخطيط لهذه الفترة التي تبلغ خمس عشرة سنة وتولى التنفيذ الدقيق طوال هذه الفترة - وقد كان يوسف عليه السلام لا يعطي للرجل اكثر من حمل بعير - حتى يستطيع ان يجتاز هذه السنوات العجاف بسلام .

وكان عليه السلام القدوة المثلى في التنفيذ - فكان لا يشبع نفسه ولا يأكل هو والملك والجنود الا اكلة واحدة في وسط النهار - وهذه ميزة في التخطيط الاسلامي فالمسؤول عن التخطيط او التنفيذ لابد وان يكون اول الملتزمين بالتنفيذ - بل وان يكون قدوة في ذلك فلا يأخذ اكثر من غيره - بل يأخذ اقل من غيره حتى يكون الرضا بما يعمله كاملا - ولعل هذا الالتزام هو الذي جعلهم يجتازون هذه المحنة القاسية بنجاح كامل .

والهجرة مثال للتخطيط الكامل

المتكامل ـ تولاه النبي صلوات الله وسلامه عليه في مرحلة من أهم مراحل الدعوة الاسلامية وأخطرها .

فقد بدأ النبي صلوات الله وسلامه عليه يخطط للهجرة إلى المدينة التخطيط الدقيق الذي لا يترك كبيرة ولا صغيرة في طوق البشر أن يعملها إلا عملها ـ فقد استبقى النبي عليه الصلاة والسلام معه أبا بكر وعليا كجزء من الخطة فلكل منهما دوره الهام .

وبدأ أبو بكر يقوم بدوره المرسوم له فابتاع راحلتين حبسهما في داره يعلفهما استعدادا لهذه الرحلة واستأجر دليلا خبيرا بالصحراء ليستعين به في هذه الرحلة الشاقة وهو عبد الله بن أريقط ـ وكان مشركا ـ ولكنه كان أمينا على الأسرار ـ ودفع إليه الراحلتين ـ فكانتا عنده لميعادهما .

وقد حدد النبي عليه الصلاة والسلام دور كل من الأشخاص الذين وضعت الخطة على أساس اشتراكه في التنفيذ .

فمهمة عبد الله بن أبي بكر ـ وهو غلام حاذق سريع الفهم ـ أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما ـ ثم يأتيهما إذا أمسى في الغار ليبلغهما بأخبار ذلك اليوم وبهذا يكونون على علم بكل تحركات قريش ـ فهو بذلك كان يقوم بدور رجل المخابرات .

ومهمة عامر بن فهيرة مولي ابي بكر ـ ان يرعى غنمه نهاره ـ ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار ـ فيقوم بمهمة مزدوجة الأولى : أن يتتبع أثر عبد الله بالغنم فيعفى عليه والثانية ان يحتلب الرسول عليه الصلاة والسلام وأبو بكر من الغنم وأن يذبحا .

ومهمة علي بن ابي طالب مزدوجة أيضا : الأولى ، أن ينام مكان النبي عليه الصلاة والسلام ليعمى الأمر على قريش والثانية أن يؤدي الودائع التي كانت عند النبي صلوات الله وسلامه عليه لأهل قريش .

وكانت مهمة عبد الله بن أريقط ان يكون دليلهما في هذه الخطة ذلك لانه كان خبيرا بالصحراءوموطن ثقة .

ومن التخطيط الذي اتبعه النبي عليه الصلاة والسلام في الهجرة سرية الخطة كلها ـ السرية التامة ـ فلم يكن يعرف بالخطة الا النبي عليه الصلاة والسلام وصاحبه والدليل ـ حتى ان أبناء أبي بكر كانوا لا يعرفون شيئا عن وجهتهما ـ ولم يعلموا الا بعد الوصول الى المدينة تقول أسماء : مكثنا ثلاث ليال ما ندري أين وجهة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن استمعنا الى صوت يتردد في مكة منشدا :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا
فأفلح من أمسى رفيق محمد

قالت اسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن وجهته الى المدينة .

ومع أن المدينة تقع شمال مكة الا أن التخطيط الدقيق جعلهم يتجهون

إلى الجنوب لتضليل المطاردين .

وهكذا نجحت هذه الخطة النجاح الكامل فوصل النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة بسلام حيث أدى رسالته كاملة ـ بل ان الهجرة اصبحت مبدأ للتاريخ الإسلامي ـ لما لذلك من أهمية كبرى في حياة المسلمين .

الاحصاء والتخطيط :

والاحصاء عامل هام في التخطيط ـ لأنه يبين الامكانات المتاحة لتنفيذ ما يراد تنفيذه ـ وقد استخدم النبي عليه الصلاة والسلام الاحصاء في المدينة لمعرفة الامكانات الموجودة حتى يرسم الخطة على أساس سليم ـ وقد روى البخاري أنه صلوات الله وسلامه عليه أمر بعض أصحابه ـ بعد الهجرة إلى المدينة ـ أن يحصر عدد الذين يلفظون بالإسلام فكان عددهم خمسمائة وألفا ـ وقد كان يعرف عدد المهاجرين منهم وعدد الأنصار ـ وعلى هذا الأساس بدأ يخطط للغزوات والسرايا حتى أتم رسالته .

خاتمة :

والآن ـ ونحن في مطلع القرن الخامس عشر الهجري ـ ونحن نريد أن نبدأ صفحة جديدة في التخطيط وفي التنفيذ تعيد للمسلمين مجدهم وللإسلام عزته ـ فإن علينا أن نفكر في تخطيط جديد كامل متكامل يجعلنا نسير في طريق تحقيق الهدف الذي نريد ان نصل اليه .

لا بد وأن نخطط لتربية المجتمع الإسلامي تربية تقوم على أساس فهم المسلم لرسالته التي تجعله يحطم الصهيونية والا ستعمار في كل صوره وأشكاله ـ ثم تجعله يحمل رسالته الى الدنيا كلها ليخرج من فيها من عبادة العباد الى عبادة الله ـ كما قال ربعي ـ لرستم قائد الروم ـ ثم يحقق رسالته باعتباره خليفة لله في الأرض يحق الحق ويبطل الباطل وينشر العدل ويعمر الأرض .

ولذلك فلا بد من وضع خطة ليتوافق المجتمع الإسلامي مع الاختراعات التكنولوجية المختلفة المتنوعة والمتطورة ـ على ان يستوعبها ويستخدمها في حدود قيمه الاسلامية والاسار في طريق يتحول به عن هدفه الأسمى ويصبح المجتمع الاسلامي حائرا كالمجتمعات الغربية منصرفا عن القيم والأخلاق وفاقدا لأهم عناصر السعادة .

وإعادة تربية المجتمع الإسلامي تكون في جميع المجالات ـ المجال التربوي والمجال السياسي والمجال العسكري والمجال الاقتصادي والمجال الثقافي وما الى ذلك ـ حتى يكون كاملا متكاملا .

بهذا يمكن للمجتمع الإسلامي ان يستعيد مكانته وأن يؤدي رسالته الإسلامية وأن ينقذ نفسه من موجات التحلل والضياع التي تسير إليها المجتمعات الغربية ـ ثم ينقذ منه هذه المجتمعات أيضا .

وبهذا يرضى المجتمع الإسلامي عن نفسه ويرضى عنه كل مجتمع في هذه الحياة ويرضى الله تعالى عنه .

ذلك عيسى

قال تعالى : ﴿ قال إني عبدُ الله آتانيَ الكتاب وجعلني نبيا . وجعلني مباركاً أينما كنتُ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمتُ حيا . وبراً بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا . والسلامُ عليَّ يومَ ولدتُ ويومَ أموتُ ويومَ أبعثُ حيا . ذلك عيسى بنُ مريمَ قولَ الحقِّ الذي فيه يمترون . ما كانَ لله أن يتخذَ من ولدٍ سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ من سورة مريم .

اجود الناس .. واحلم الناس

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه : « إني لأعلم أجود الناس ، وأحلم الناس .
أجود الناس : من أعطى من حرمه .
وأحلم الناس : من عفا عمن ظلمه »

ضروريات في نظر الاسلام

كتب عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ إلى عماله : أن اقضوا عن الغارمين .
فكتبَ إليه : إنا نجد الرجل له المسكن والخادم ، وله الفرس ، وله الأثاث في بيته .
فكتب عمر : لا بد للرجل من المسلمين من مسكن يأوى إليه رأسه ، وخادم يكفيه مهنته ، وفرسٍ يجاهد عليه عدوه ، وأثاثٍ في بيته ، ومع ذلك فهو غارمٌ فاقضوا عنه ما عليه من الدين .
هكذا الحال في عهد عمر بن عبد العزيز .. يعتبر المسكن ، والخادم ، والفرس ، والأثاث من الضروريات التي لا غنى للانسان عنها ، ولا يُلزم ببيعها وفاءً لدينه ، مادام بيت مال المسلمين يستطيع القضاء عنه .. مجتمعٌ إسلاميٌ فاضلٌ !!

أدب الضيافة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، فما كان بعد ذلك فهو صدقة ، ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يحرجه » .

هكذا الحياة

قال الشاعر :

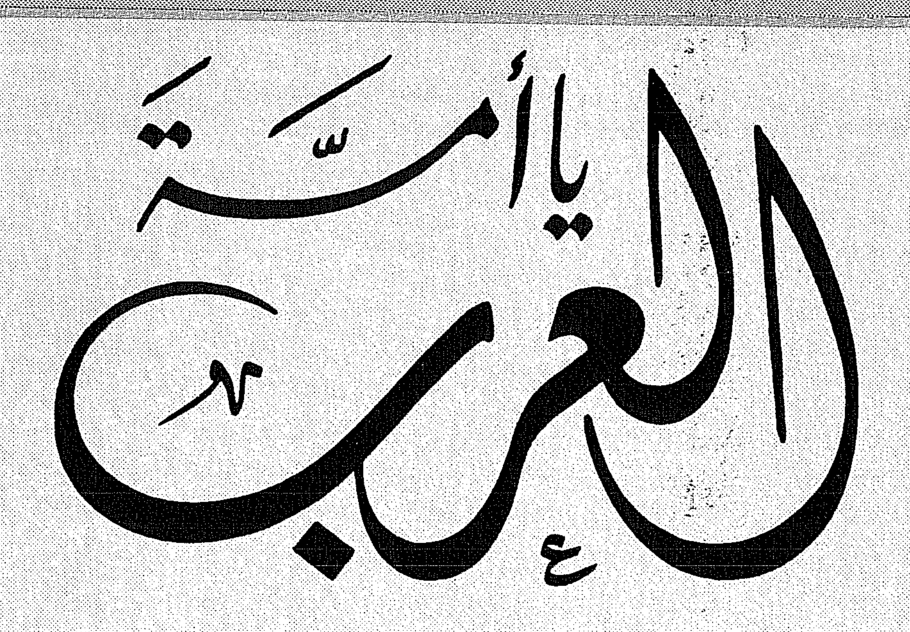
حكم المنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا يُرى الانسان فيها مخبرا حتى يُرى خبرا من الأخبار
طبعت على كدر وانت تريدها صفوا من الأقذاء والأكدار
ومكلِّف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار
والعيش نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيالٌ سار
والنفس إن رضيت بذلك أو أبت منقادة بأزمّة الأقدار

المصالحة مع الله

قيل لراعٍ عابدٍ وُجِدَتْ الذئابُ بين غنمه ، وهي لا تؤذيها : متى اصطلحتْ الذئابُ مع غنمك ؟
قال : منذ أن اصطلح الراعي مع الله .

عز الطاعة

قال علي ـ كرَّم الله وجهه ـ : من أراد الغنى بغير مال ، والكثرة من غير عشيرة ، فليتحول من ذل المعصية إلى عز الطاعة .



للأستاذ/ محمد السيد الداودي

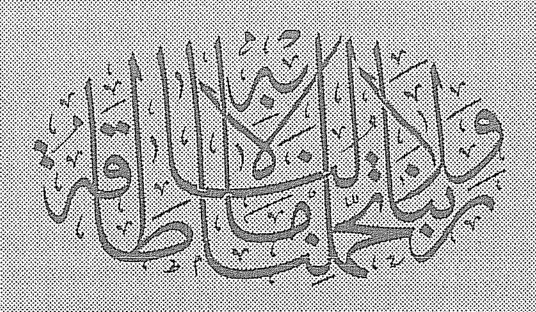
نسجته من غشاء القلب أوزانا ... وضعته في مجال الفخر ألحانا
ورحت أشدو به في كل آونة ... فقد بنى لي في دنياه إيوانا
قام الهزار يحاكيه وينشده ... فارتد من فوره بالغيظ ملآنا
وعاد يلهث لا جوعا ولا عطشا ... لكنها محنة ردته حيرانا
ماذا أصابك ؟ قال الصوت مختنق ... فلست أحسن إفصاحا وتبيانا
من بعد شدو وتطريب وتسرية ... أرى على منبري سجنا وسجانا

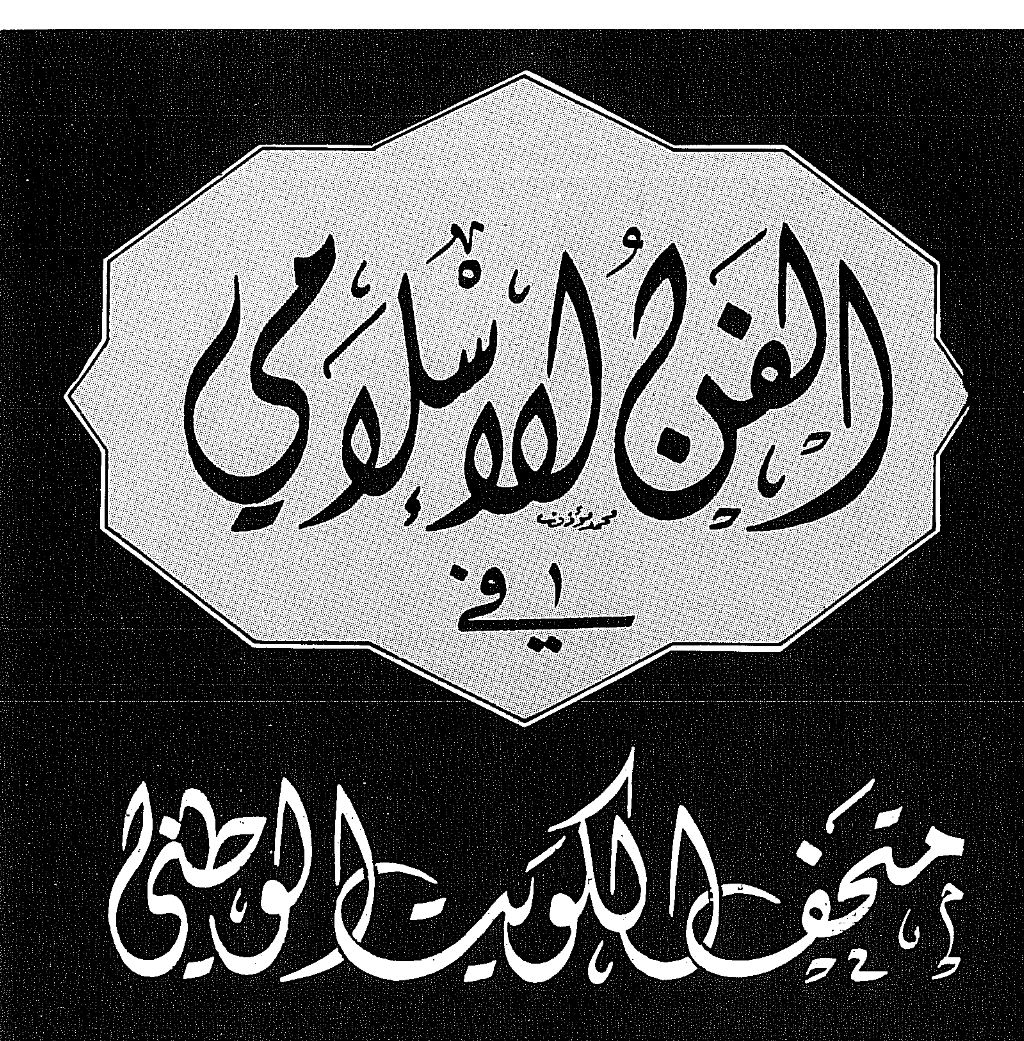
ما بال حبات عقد اللؤلؤ انفرطت ... وبعثرتها رياح الحقد نيرانا
ومزقت شرعة الأهواء وحدتها ... فأذعنت لمصير السوء إذعانا

يـأيـهـا المـلأ الأعلـون إن لكم … مجدا يسير به التاريخ نشوانا
فما لكم في إنتكاسات مروعة … أكان مجدكمو زورا وبهتانا ؟
ألم تروا « يعربا » أرسى قواعده … ألم تروا في بناء العز « قحطانا » ؟
ألم تروا سيد الأكوان يبهره … نورا ويملؤه هديا وإيمانا ؟

★ ★ ★

عودوا إلى مجدكم وابنوا معالمه … حبا وودا وإخلاصا وعرفانا
وطهروا من ظلام الحقد أنفسكم … ترقوا على هامة الجوزاء عقبانا
وفي حمى الدين والأخلاق متسع … لكم إذا تبتغون المجد عنوانا
ما للخطوب أطاحت عزم وحدتكم … وصيرتكم أحاديثا وسلوانا
وأشمتت بكم الأعداء فاستبقوا … إلي المكايد آسادا وذؤبانا
هلا اجتمعتم فوحدتم مشاربكم … فالخصم يرقبكم سرا وإعلانا
وأنتم الصيد أمسى في حبائله … فكيف تمسون أسماكا وحيتانا
بعتم كرامتكم والسوق كاسدة … يا ليتها صادفت في السوق أثمانا
ألم تفيقوا وجل القوم في سنة … لما أصاب « فلسطينا » و « لبنانا »
سطا العدو عليهم سطو مقتدر … وبات للقتل والتدمير يقظانا
أهكذا وكتاب الله في يدنا … تفوح آياته روحا وريحانا ؟
يهدي إلى الحق في أضواء منطقه … فيستحيل خراب النفس عمرانا
يا قاتل الله صهيونا وشيعه … كم عاث في الأرض إفسادا وعدوانا
إن يشك أحياؤنا يوما نذالته … فقد شكا غدره من قبل موتانا
فلا رعى الله « شاميرا » وسالفه … ولا رعى الله قبرا ضم « ديانا »

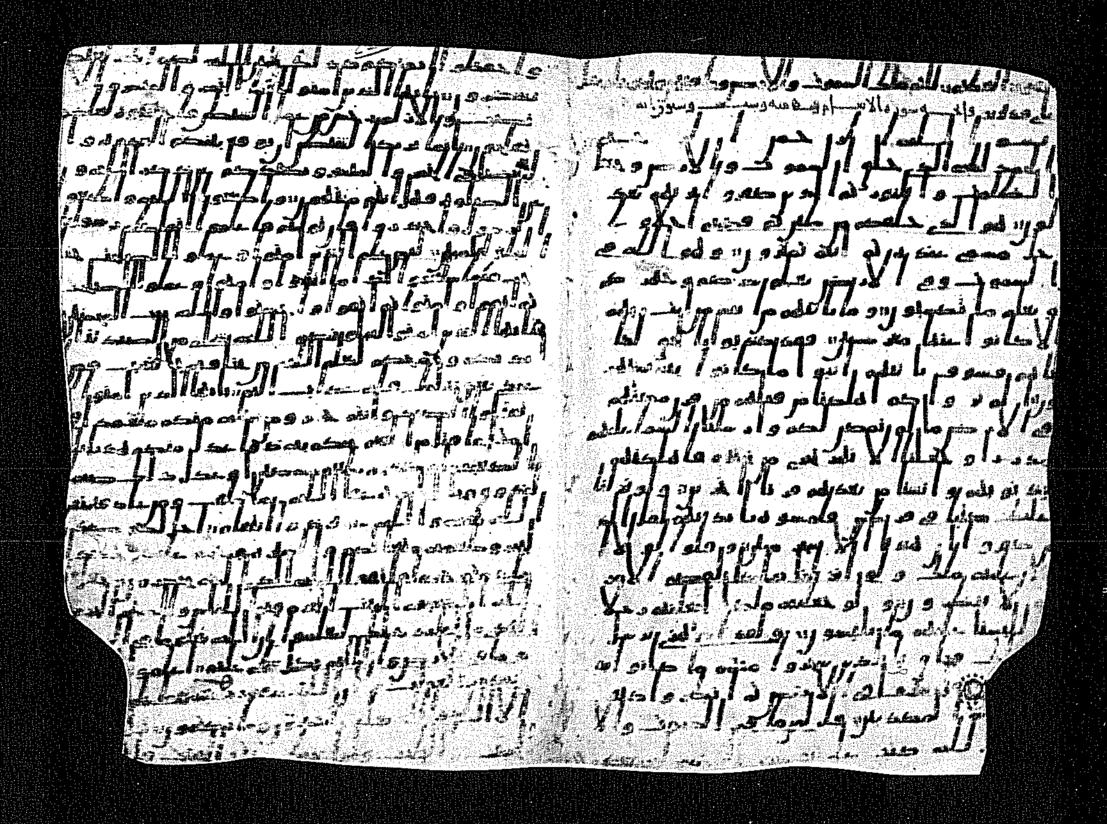




استطلاع : نبيل الخانجي

اسباب كثيرة تحفزك الى التأمل الهادىء ، حين تقف ـ بعيدا عن تيار الحياة الصاخب ـ امام الآثار العريقة للفن الاسلامي في متحف الآثار الاسلامية بالكويت ، الذي لا يبعد سوى بضع عشرات من الامتار عن شاطىء الخليج وأمواجه اللازوردية .

أمجرد تأمل ؟.. إنه في الحقيقة أبعد من حد التأمل . إنه قراءة عميقة ومعاناة حية للخطوط والألوان والزخارف والأشكال .. أو ـ بصورة عامة ـ للابداع الدؤوب الذي عالج التراب والمعدن والخشب وسائر أنماط المادة ، وطوعها للتصور الشامل الذي جاء به الاسلام عن الكون والحياة والانسان ، وعبر بها عن مغامرة الخيال المتأنق النازع إلى الجمال في النفس البشرية ، وتفجر بها عن دوافع الابداع التي نفختها في روح الانسان إرادة الخالق العظيم .. سبحانه !



صفحتان من مصحف كريم مخطوط وهما من اقدم قطع المجموعة . كتبتا بالحبر على رق .
مكة أو المدينة القرن الثاني الهجري . يبدأ النص من أواخر سورة المائدة الى الآية ١٢ من الأنعام

الخطوط التي تتدفق في لين ، وتنساب متداخلة في حركة لا نهائية .
والزخارف التي تستشعر فيها نبض الطبيعة ، وسوانح الفطرة ، وعنفوان الخيال ، كلها معا .

والنمنمات والنقوش التي تحكي لك عناد الصبر ورهافة الحس يتجليان في يد صناع

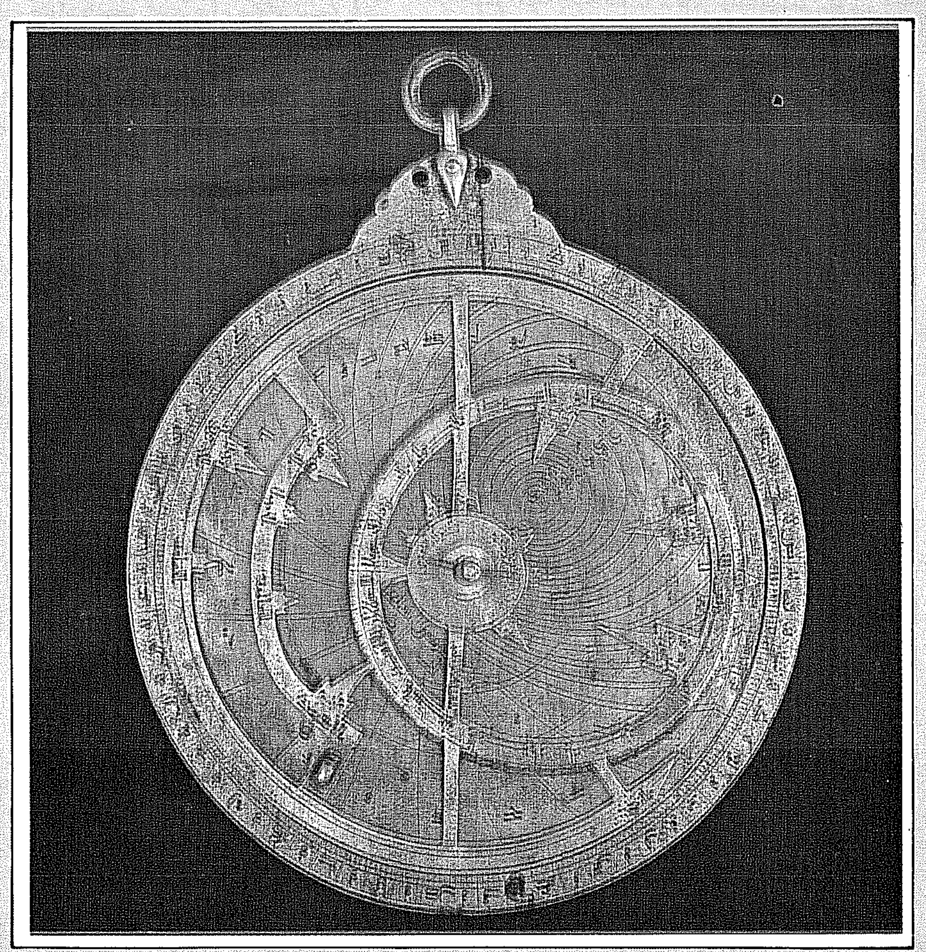
والألوان التي تشع بالحياة في آثار آتية من زمن الموت !

وفوق ذلك كله .. هذا العبق التاريخي الذي يحيط بالفن امامك ، ثم يستحوذ عليك أنت ، ثم يغمرك .. ويغمرك .. فتحس بأنك تنضو عنك ملاءة الحاضر ، وتجتاز حجب الزمن ، وتنصت في ذهول ونشوة وأسر الى هينمات الماضي الموغل في القدم والتراب والعدم ..!

بين الولوع والهمة :

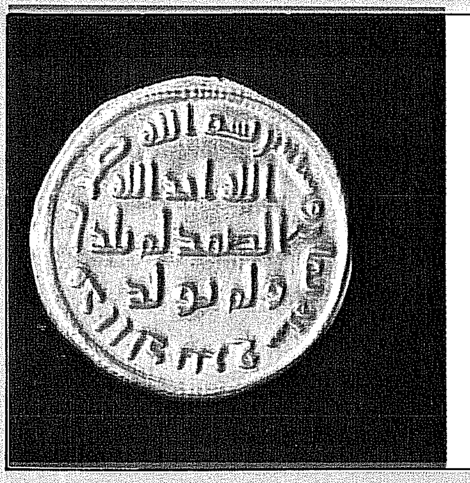
أكثر من عشرين ألف قطعة من آثار الفن الاسلامي تم جمعها في تسع سنوات فقط .. إنه لزمن قصير نسبيا ، وبخاصة إذا كان الجهد المبذول في ذلك جهد رجل واحد ، بيد أن الولوع جمر الهمة ، ولنستمع الى ما يرويه لنا صاحب هذا الجهد الشيخ ناصر صباح الأحمد الصباح في مجموعته عن الفن الاسلامي في متحف الكويت الوطني :

« بدأ اهتمامي بالتراث الاسلامي عندما أرسلني والدي لتلقي العلم في القدس الشريف ، حيث أتيح لي أن أزور الأماكن المقدسة ، وأن أتذوق عظمة تصميماتها المعمارية ، وجمال زخارفها ، كما اغتنمت الفرصة أثناء إقامتي هناك لملاحظة جدران المدينة وبواباتها وشبكة المياه فيها ، مما يشهد على توفر المعارف الفنية والمهارات التقنية لدى الحرفيين



اسطرلاب من البرونز . العراق . عليه تاريخ ٣١٥ – هـ





وجهان لدينار من الذهب . سورية . دمشق . ٧٨هـ من اقدم قطع المجموعة

المسلمين .

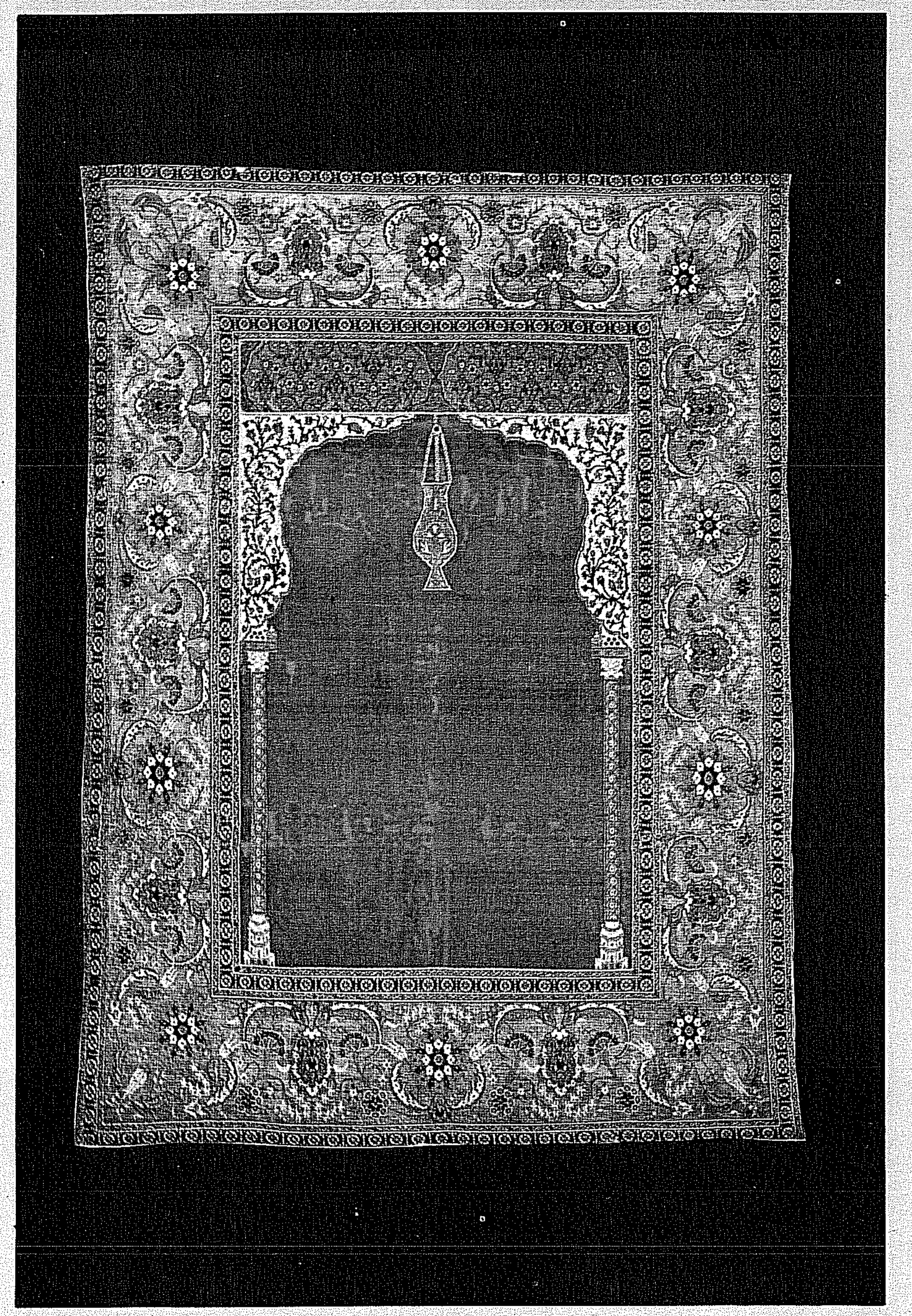
وقد ظلت رؤياي عن الماضي الاسلامي مجرد رؤيا . عززتها زياراتي الكثيرة لعدد من المدن التاريخية الأخرى في دنيا الاسلام ، ومنها دمشق الأمويين وبغداد العباسيين وقاهرة الفاطميين وقونية السلاجقة ، علاوة على فاس وغرناطة والقيروان وصنعاء ودلهي وبخارى ، وهي قليل من كثير . غير ان زوجتي حصة بما تتميز به من حماسة وتصميم شجعتني على تحويل هذه الرؤيا إلى واقع ، والبدء في اقتناء روائع الفن الاسلامي ، واعتبارا من عام ١٩٧٥ حين اقتنيت أولى القطع في مجموعتي ظلت أبواب حبي للفن الاسلامي مفتوحة ، إلى أن تمكنت من جمع اكثر من ٢٠,٠٠٠ قطعة من مختلف الأنواع .

أما قراري وقرار زوجتي حصة بوضع مجموعتنا الفنية تحت رعاية متحف الكويت الوطني فقد اتخذ إثر مشاورات ومناقشات مع كثير من الزملاء والأصدقاء .. » .

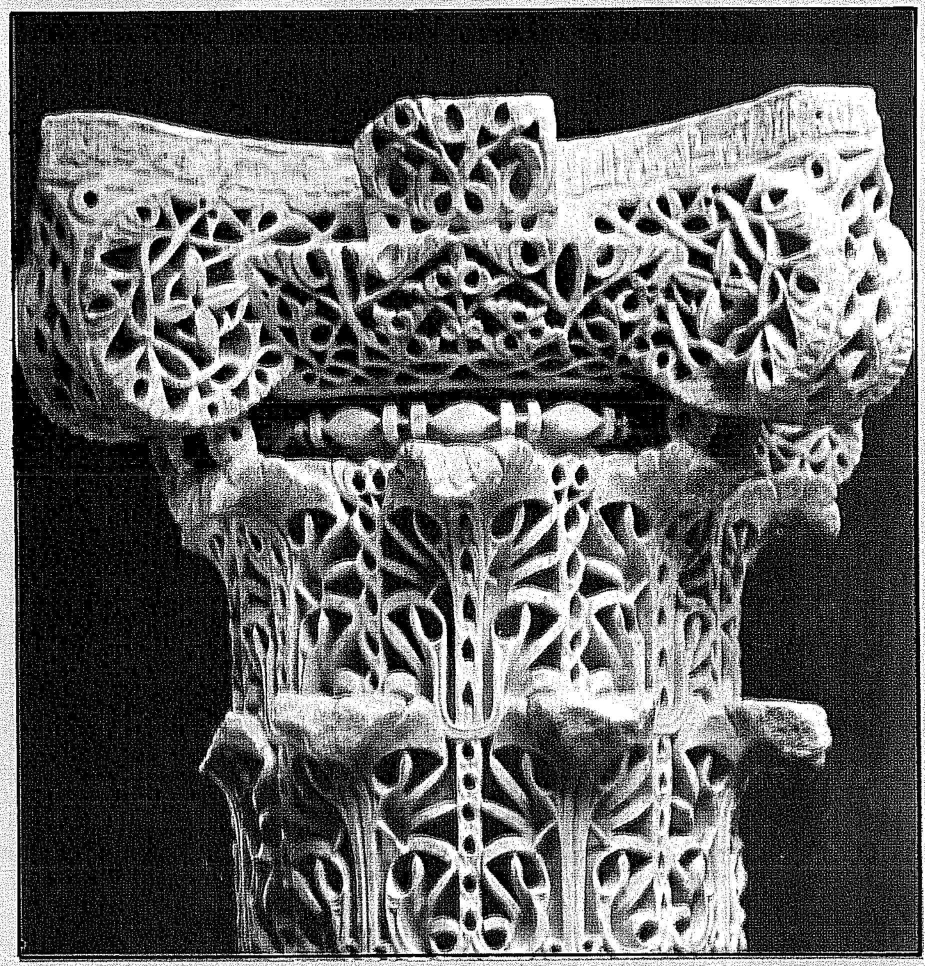
المتحف ودار الآثار : بواكير النشأة

ويرجع إنشاء أول متحف في الكويت الى عام ١٩٥٧ ، وقد بدأ بمجموعة من التراث الشعبي أضيفت اليها مجموعة آثرية بعد ان جرت عمليات التنقيب في جزيرة فيلكا عام ١٩٥٨ ، وقبل أن تستقر هذه المجموعات الأثرية في المبنى الجديد تنقلت بين قصر الشيخ عبدالله الجابر الصباح وبين بيت البدر . وفي عام ١٩٧٧ بدأ إنشاء المتحف الجديد الذي صممه المهندس الفرنسي ميشيل إيكوشار . والمتحف يتكون من أربعة مبان وقبة فضائية ، وتشغل دار الآثار الاسلامية واحدا من المباني الأربعة ، وقد تم افتتاح الدار في ٢٥ شباط فبراير ١٩٨٣ .

وهي تتألف من أربعة طوابق صممت على طراز المتاحف الحديثة ، مما يوحي إلى الزائر بمفارقة واضحة بين طراز الفن الاسلامي وبين الطراز الغربي الحديث ، وفي الدار مكتبة تحوي كتبا في التاريخ والرحلات والفن .. وفيها قاعة للمطالعة .



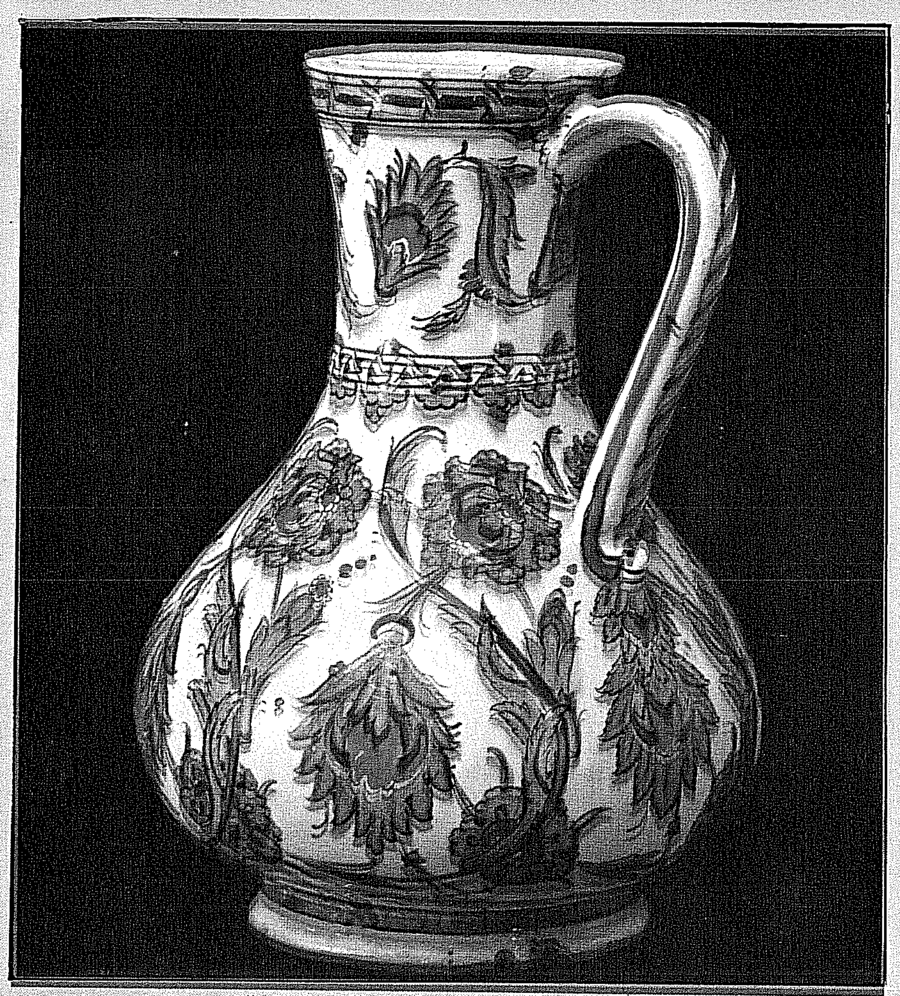
سجادة صلاة نسجت من الصوف والقطن والحرير . تركيا . القرن العاشر الهجري ..



رأس عمود من الرخام المنقوش . الأندلس . عليه تاريخ ٣٦٢هـ

التصنيف التاريخي الجغرافي :

وقد صنفت المجموعة في دار الآثار بحسب التسلسل التاريخي ، بدءا من العصرين الأموي والعباسي في الطابق الأول . واذا كان التصنيف تاريخيا في أساسه فان العامل الجغرافي يتدخل فيه احيانا ، كما نلاحظ في قسم شمال افريقيا والأندلس ، وفي قسم الهند المغولية . وهكذا تنتظم مجموعة الفن الاسلامي في إطارها التاريخي والجغرافي حاملة في ثناياها ملامح العصور الاسلامية : الأموي والعباسي والأندلسي والفاطمي ، والاخشيدي ، والطولوني ، والساماني ، والغزنوي ، والسلجوقي ، والخاني ، والأيوبي ، والمملوكي ، والتيموري ، والصفوي ، والعثماني ، وترسم لنا الخط البياني للفن الاسلامي ممتدا بين الهند المغولية شرقا والأندلس غربا .



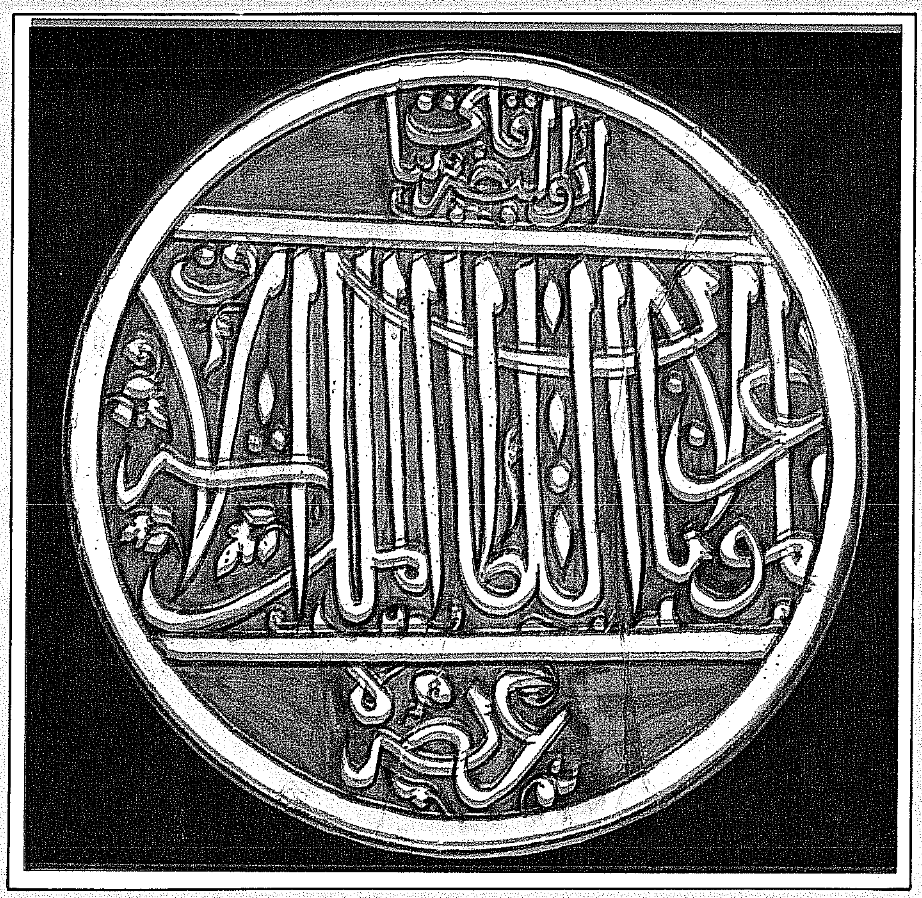
ابريق . بدن مركب . تركيا . القرن العاشر الهجري

الدور الثقافي

لما كانت دار الآثار الاسلامية حديثة النشأة لم يأخذ دورها الثقافي مداه الواسع بعد ، ومع ذلك ، فزيارات الطلبة والطالبات الدائمة ذات دلالة واضحة على الاسهام الثقافي . وربما كانت البرامج والمشروعات التي انعقدت النية على إقامتها حافلة بالكثير على الصعيد الثقافي الاسلامي . فهناك برامج محاضرات عن التاريخ الاسلامي والفن الاسلامي ، وبرامج خاصة بالأطفال ، تعدها الشيخة حصة التي تدير دار الآثار الاسلامية ، بغية اطلاع الاطفال على تراث الفن الاسلامي وتذوقه . وهناك عدد من المشروعات الأخرى ، ومنها اصدار مجلة سنوية تعرض أبحاثا في الفن الاسلامي ، واصدار كتاب عن الخزف الاسلامي وآخر عن المجوهرات في دار الآثار الاسلامية .

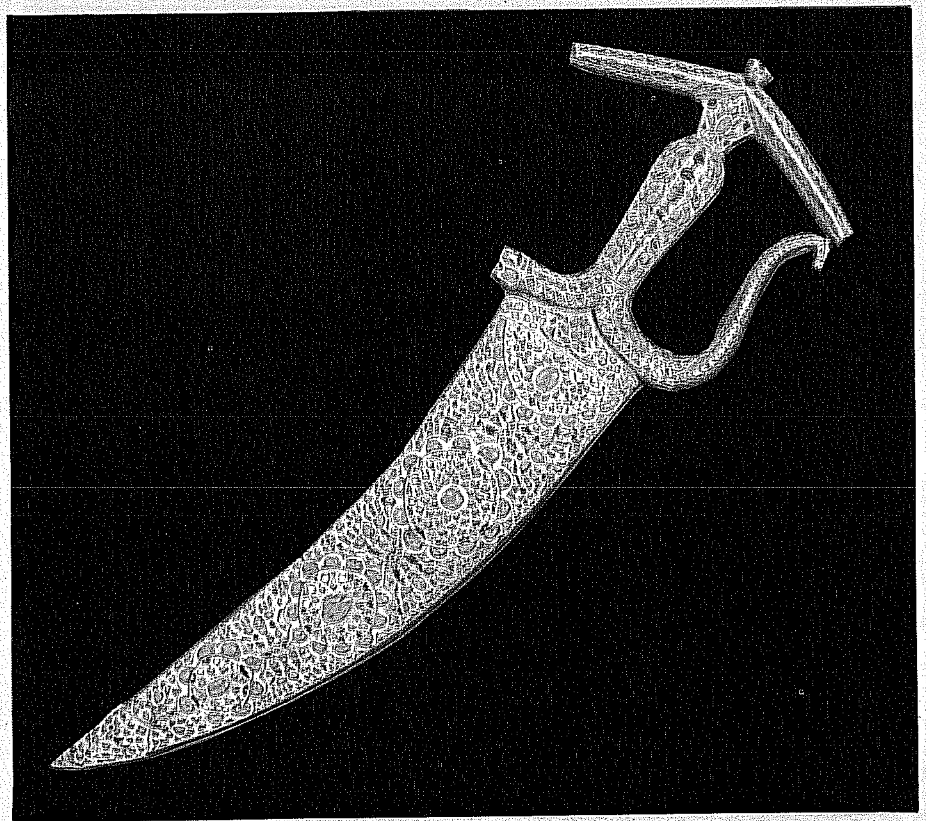
الفن الاسلامي : الشمولية ، والوحدة والتنوع :

« إن شخصية الفن الاسلامي ومميزاته تتجلى في كل قطعة من هذه الآثار ، على



بلاط مستديرة . بدن مركب . مصر . القرن التاسع الهجري

اتساع المدى الجغرافي ، وتعاقب العصور التاريخية ، وكذلك مهما اختلفت المادة الأولية التي تعالجها يد الفنان المسلم » بهذه العبارات تستهل السيدة غادة الحجاوي القدومي باحثة الآثار ومساعدة أمين دار الآثار الاسلامية حديثها عن الشمولية في الفن الاسلامي ، وتضيف كذلك : « إن هذه الشمولية في الابداع الفني تبدو واضحة في الانطباعات الجمالية والتأملية التي تنتجها هذه القطع الاثرية في مختلف الأذواق ، مهما تباينت . ان ملامح الفن ههنا تلبي رغبات جمالية كثيرة شديدة التنوع . وترجع هذه الشخصية الشمولية في الحقيقة الى الاسلام نفسه ، انه دين شامل يسع الحياة والكون والانسان ، وهكذا تنعكس شمولية الاسلام في شمولية الفن المنبثق عنه . وأريد أن اضيف ايضا ـ والحديث مايزال للباحثة ـ ان دار الآثار هذه تحتوي على مجموعة من القطع تصور بشكل جلي الشخصية الشمولية هذه . ومن الجدير بالملاحظة ان الشمولية قد فرضت نفسها على مصممي العرض ، فحركة الانتقال بين اقسام الدار تنساب في اطراد دون ان تشعر بالانفصال بينها ، بل توحي بوحدة متجانسة ، ان الاقسام برغم التصنيف منفتح بعضها على بعض ، تماما كما تنسكب روح الفن



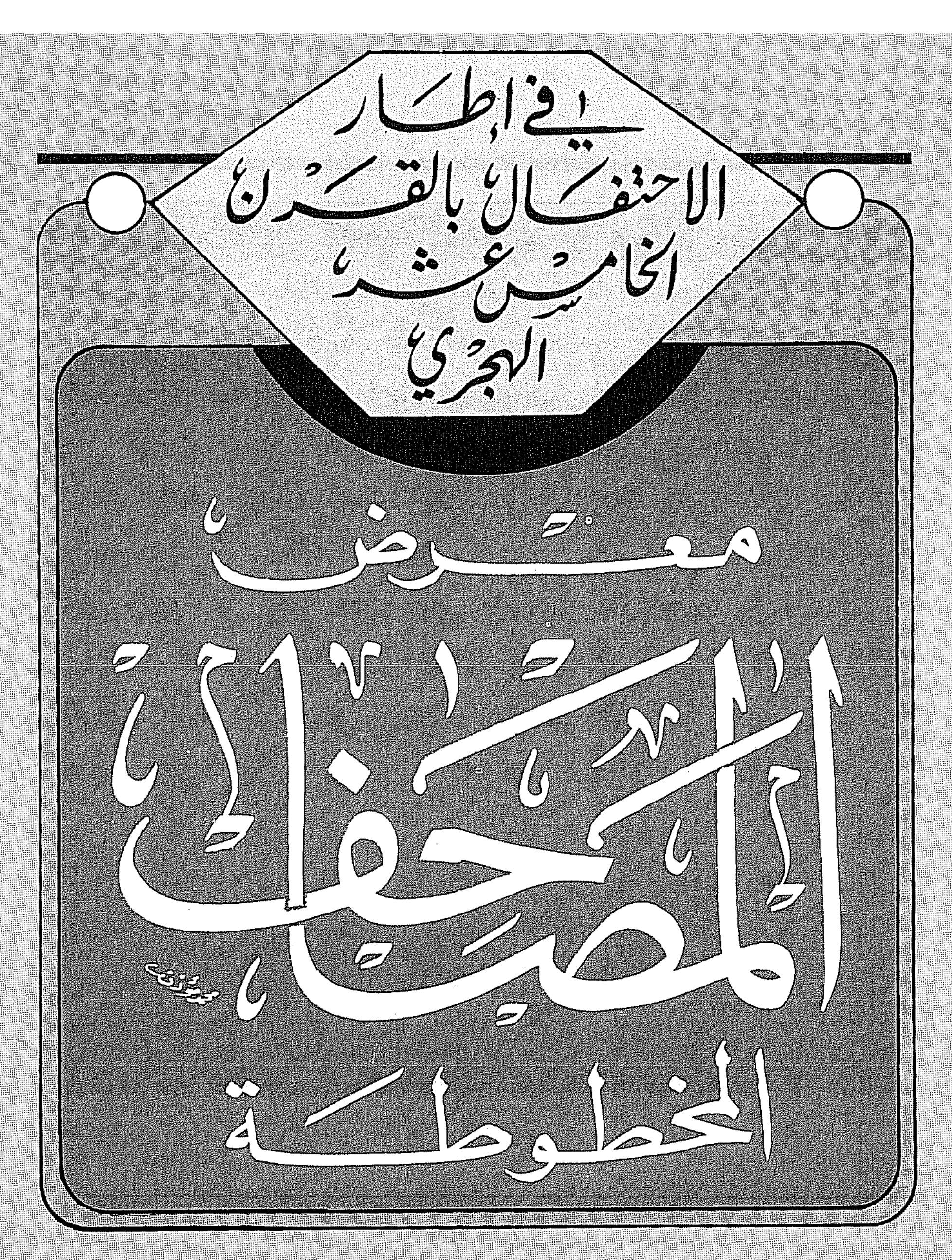
خنجر وغمد : نصل فولاذي مكسو بالذهب . مقبض من الذهب الخالص . غمد من الخشب المكسو بالذهب . الهند المغولية القرن الحادي عشر الهجري .

الاسلامي في سائر القطع بين مختلف العصور والأمكنة .. » .

اما الدكتورة مارلين جنكينز التي أشرفت على العمل في إعداد مجموعة الفن الاسلامي لدار الآثار فقد عرضت في مقدمة الكتاب الخاص بالمجموعة نقدا فنيا وتاريخيا لها ، وترى جنكينز أن « لتاريخ الفن الاسلامي وحدة متميزة رغم تنوعها الكامن فيها ، مع وضع الاعتبار الواجب لتطور هذا الفن على امتداد ١٣٠٠ سنة ولانتشاره من أراضي الأندلس إلى حدود الصين . وهناك أربع خصال لهذا الفن تعد من اسباب تجانسه : فهناك الاستخدام الزخرفي للأنماط الهندسية ، والأشكال النباتية المحورة ، واتقان رسم الأشخاص والتصاوير ، وفن كتابة الخط العربي » .

أما عن المنهج الذي اتبعه الفن الاسلامي فتقول جنيكينز : « في السنوات الباكرة من ظهور الاسلام تم تبني معظم اساليب البناء والزخارف المعمارية والفنون الزخرفية وأنواع القطع الفنية وأشكالها ، فضلا عن رسوم الأشخاص والتصاوير ، من حضارات البلدان التي فتحها المسلمون . وبدأت عملية التبني هذه تتحول بالتدريج الى عملية تكييفية أولا ثم إبداعية في النهاية .. »

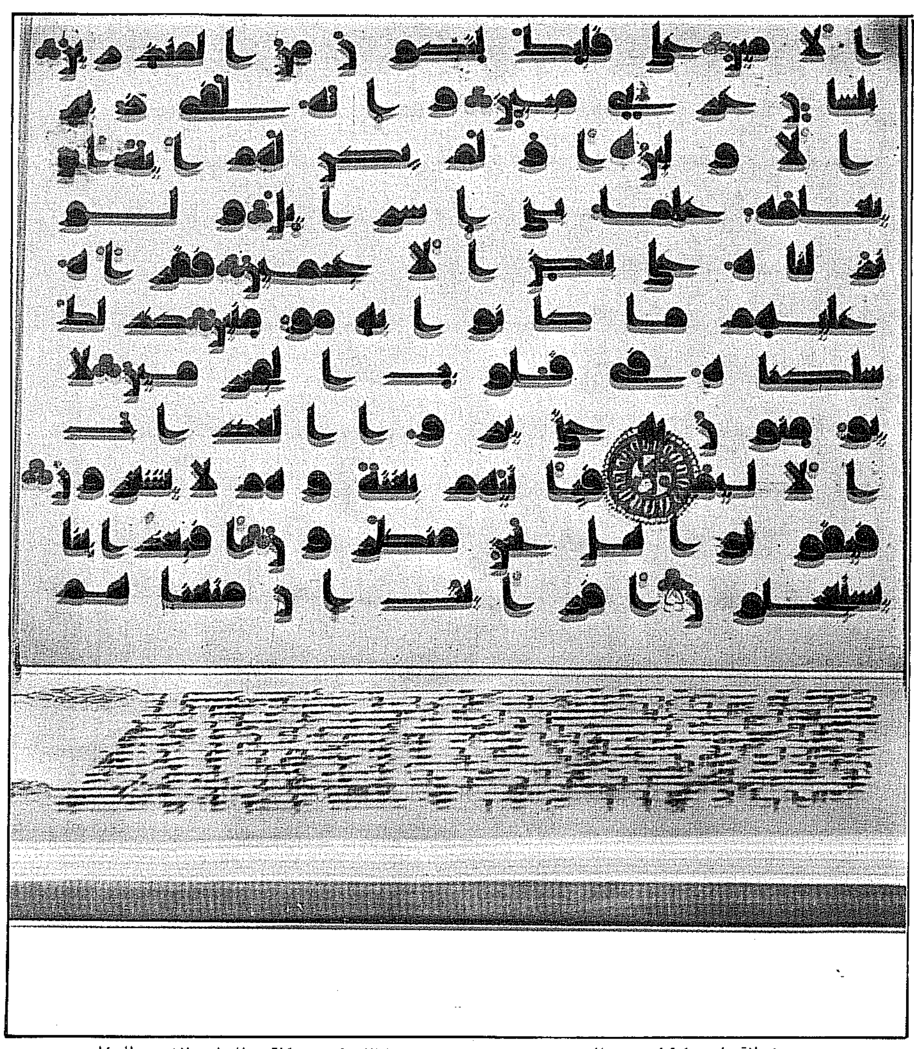
وهكذا كانت رحلة الفن الاسلامي بين التبني والتكييف والابداع ، حافظ فيها هذا الفن على روحه الأصيلة ، التي برزت في شموليته ، وفي وحدته المتجانسة .



أقيم في مكتبة دار الآثار الاسلامية بالكويت معرض للمصاحف المخطوطة من المقتنيات الخاصة بالدكتور عبدالقادر قاسم استيتيه في الفترة من ١٤ ـ ٢٠ ربيع الأول ١٤٠٤ ، وذلك في نطاق احتفالات الكويت المحلية بالقرن الخامس عشر الهجري .

○ أثر القرآن في الارتقاء بالخط العربي

ولعل أبرز ماتظهره المخطوطات المعروضة أثر القرآن الكريم في تطور الخط العربي والفن الاسلامي بعامة . وذلك لأن القرآن الكريم كتاب الله



● الآيات ١٩٤ ـ ٢٠٥ من سورة الشعراء بالخط الكوفي ، مشكلة بنظام ابي الاسود الدؤلي .

تعالى ، فقد حرص الخطاطون المسلمون لدى كتابته ان يكون في أجمل صورة ، فبذلوا في ذلك غاية جهدهم ، وتباروا فيه ، فتنوعت أشكال الخطوط وأفانينها ، وتبلورت لكل نوع قواعد وقوانين ، حتى غدا الخط العربي فنا متميزا أصيلا وحاز مكانة عالية في الفنون التشكيلية العالمية .

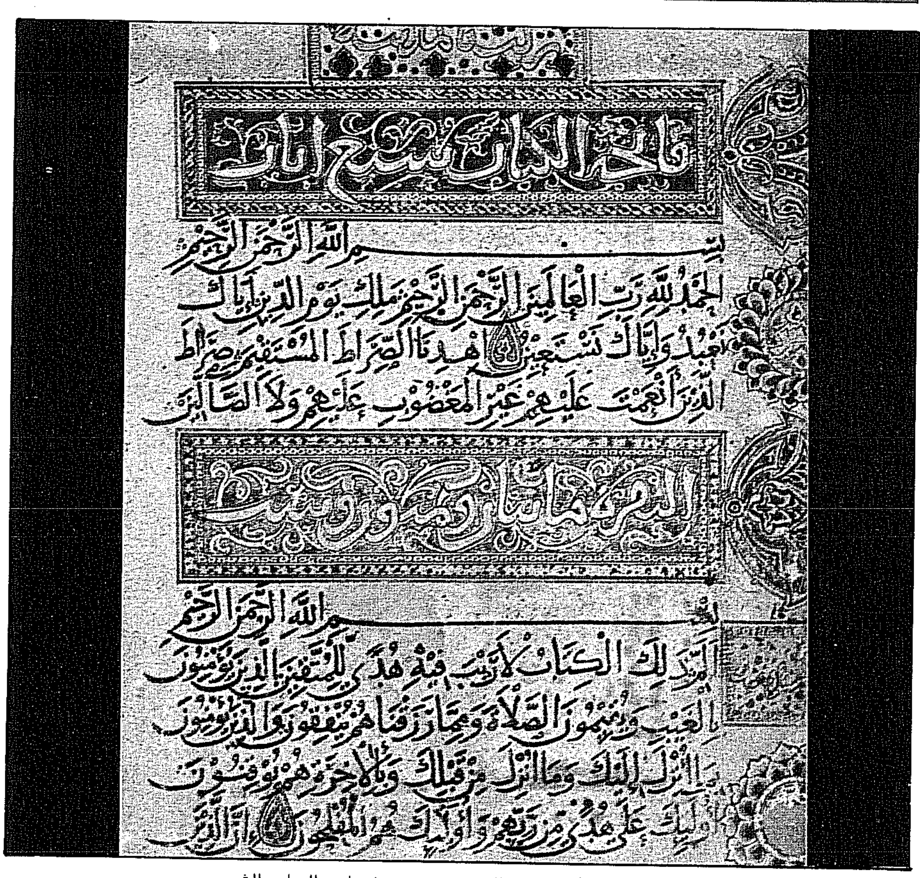
○ تطور الخط في كتابة المصاحف .

وقد ذكر الدكتور استيته في الكراس الذي أصدره عن المعرض « ان المصاحف الأئمة كتبت بالخط المكي

● صفحتان من سورة النور بخط المحقق .

لكن حين اتخذ علي بن ابي طالب الكوفة مقرا لخلافته ، كتبت فيها المصاحف بالخط الكوفي ، واستمر هذا الخط خطا للمصاحف حتى نهاية القرن الرابع الهجري تقريبا ، عندما تغلبت عليه خطوط اخرى جديدة هي النسخ ، والريحاني ، ثم الثلث ، والمحقق ، وفي أحيان خط التعليق ، والقيراموز ، وفي وقت متأخر خط النسخ مرة أخرى ، والذي يكاد يكون خط جميع المصاحف المطبوعة والمنتشرة في هذه الأيام .. » .




فاتحة الكتاب سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين إياك
نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

بسم الله الرحمن الرحيم
الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون
بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون
بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون
أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون إن الذين

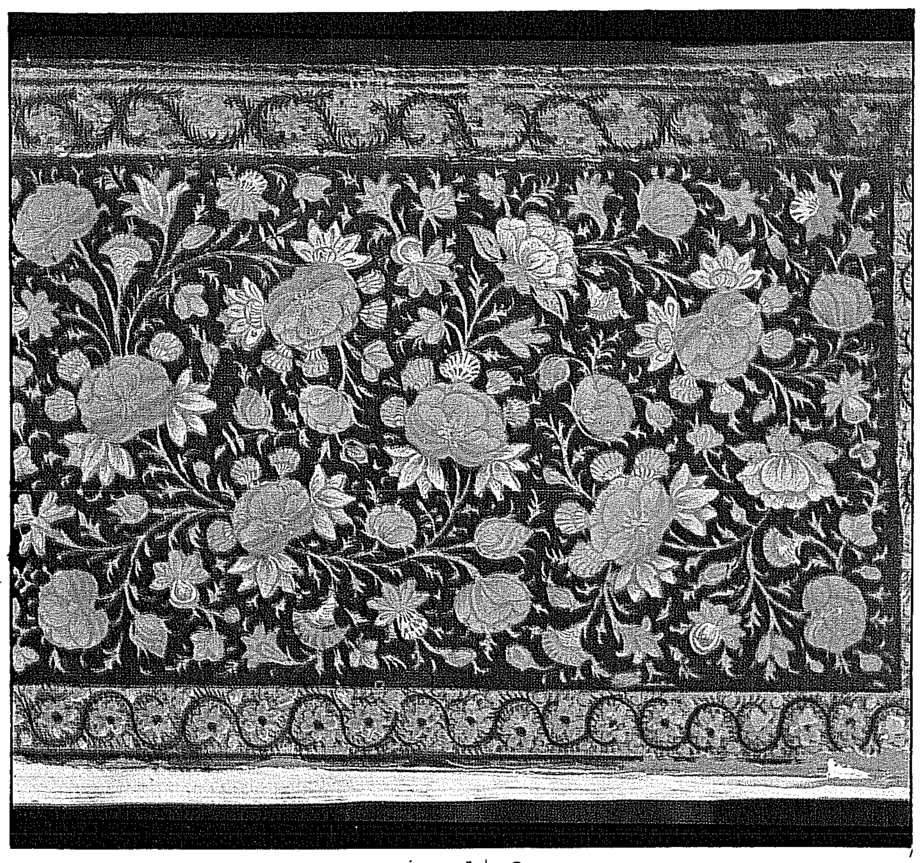
● سورة الفاتحة وأول سورة البقرة من مصحف ابن البواب الشهير .

○ أثر القرآن في الارتقاء بالفن الاسلامي .

ويظهر اثر القرآن الكريم كذلك في تطوير الفن الاسلامي الزخرفي ، فلقد ارتقت بهذا الفن البواعث التي حملت الكتاب على زخرفة المصاحف ، وتزيينها . فقد استعمل الفنانون المسلمون آيات القرآن ، والرقوش العربية (الارابسك) في البناء والمعمار وعلى الخشب والخزف والنسيج والمعادن وغيرها من أصناف المادة . كما قام هؤلاء الفنانون بزخرفة صفحات المصاحف ، وابتكروا شرائط زخرفية لعناوين السور ، وأطرا زخرفية أخرى تحيط بآيات القرآن الكريم .

○ جلود المصاحف لوحات فنية .

ولابد من الاشارة الى ماتنطوي عليه عملية تجليد المصاحف الكريمة من فن عال وذوق رفيع ، وتعتبر بعض تلك الجلود لوحات فنية قائمة بذاتها .



● جلدة مصحف

وقد احتوى المعرض كما جاء في مقدمة الكراس على الآتي :

ـ سبعة وعشرين مصحفا مخطوطا مختلفة الأحجام .

ـ الجزء الخامس عشر من (ربعة) شريفة .

ـ سورة الانعام مكتوبة بخطي الثلث والنسخ .

ـ أربع صفحات مخطوطة تحوي نصوصا قرآنية .

ـ سور من القرآن الكريم من مخطوطات تحتوي ايضا على أدعية ودلائل خيرات .

ـ نسخة طبق الأصل عن مصحف ابن البواب الموجودة نسخته الأصلية في مكتبة شستر بيتي بدبلن .

ـ أربع عشرة صورة لصفحات مختارة من بعض المصاحف المعروضة .

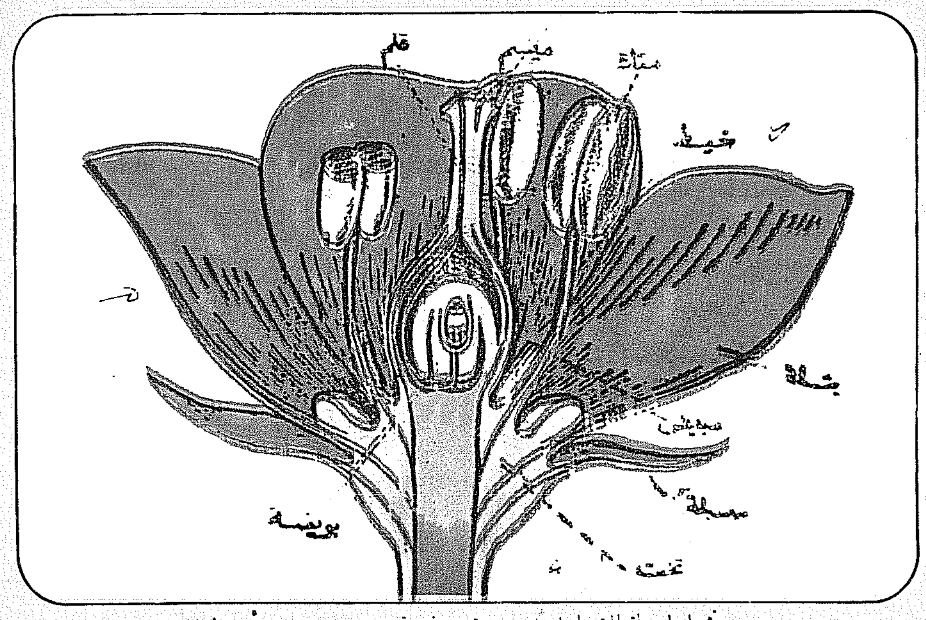
ـ أربعة ملصقات عن صفحات خاصة ومصورة من النسخ المعروضة .

ـ عدة جلود لمخطوطات تحتوي على أدعية ودلائل خيرات .



للدكتور/ابراهيم سليمان عيسى

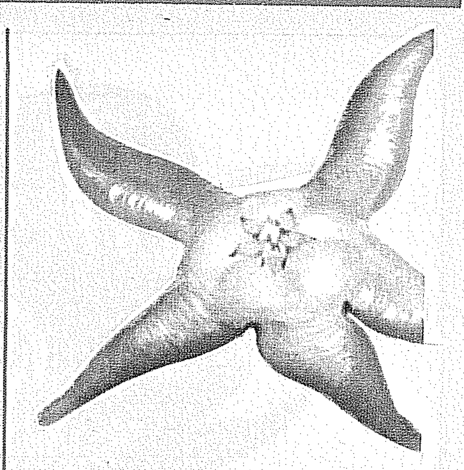
حظيت الزهور في مختلف الأزمان والعصور باهتمام الانسان ودراسته لها ومحاولة استجلاء اسرار جمالها وألوانها المتعددة ، فالزهور خلق لله سبحانه وتعالى وفي مطالعتها والنظر اليها نجد الأمل والبسمة والدهشة ، وفي تذكرها نعيش في دنيا الأحلام والأماني الطيبة . كانت في مختلف الأقطار مثارا لخيال الشعراء والأدباء ، كلها فوائد فهي المصدر الرئيسي للروائح العطرية والزيوت الطيارة ومن بعض الأزهار نحصل على



رسم تخطيطى لقطاع طولى فى زهرة نموذجية يوضح مختلف أجزائها .

أقوى المبيدات الحشرية . تتجلى فيها قدرة الله وتبدو آثارها واضحة ممثلة في جمال المنظر وتعدد الألوان وتناسقها ، واختلاف تلك الزهور في كل شيء ، واتفاقها في كثير من الخواص والمميزات . منها الرائحة العطرية والشكل والتركيب واللون الجميل .

والزهور أو الأزهار جمع مفردها « زهرة » . وكما هو معروف فان الزهرة وسيلة للتكاثر في بعض النباتات وبها كان تأهيل الخالق لهذه النباتات لكي تحافظ على بقاء نوعها ومع أن جميع الأزهار قد خلقت من أجل هذه الوظيفة إلا أنها مختلفة ولا تتشابه كلها . وتعتبر الزهرة من الوجهة العلمية فرعا قصيرا متحورا يحمل أوراقا تحورت لغرض التكاثر . متزاحمة لا تفصلها سلاميات واضحة . وتنشأ الزهرة عادة في إبط ورقة تسمي قنابة وتتباين وتختلف تلك القنابات فأحيانا تشبه الأوراق العادية ، وغالبا ما تكون حرشفية وفي بعض النباتات قد تكون القنابة ملونة جميلة . والزهرة قد تكون محمولة على عنق بعض النباتات ، وقد تكون جالسة واحيانا توجد على عنق الزهرة أوراقا جانبية عددها اثنتان تعرف بالقنيبات (Bracleoles) وتتخذ الزهرة اشكالا متعددة وأحيانا يكون السبب في اتخاذ شكل معين هو الحاجة الى التلقيح Pollination او الحماية . وقد لا يكون هناك سبب ظاهري لاتخاذ الزهرة شكلا معينا . وقد تكون الزهرة مذكرة وقد تكون مؤنثة . ومن هذه الناحية فالنباتات قد تكون أحادية المسكن اذا



زهرة الجيفة زهرة غريبة ليست جذابة ، لا في شكلها ، ولا في رائحتها

حمل النبات كلا من الأزهار المذكرة والمؤنثة معا . وقد تكون ثنائية اذا حملت نوعا واحدا من الأزهار المذكرة او المؤنثة فقط .

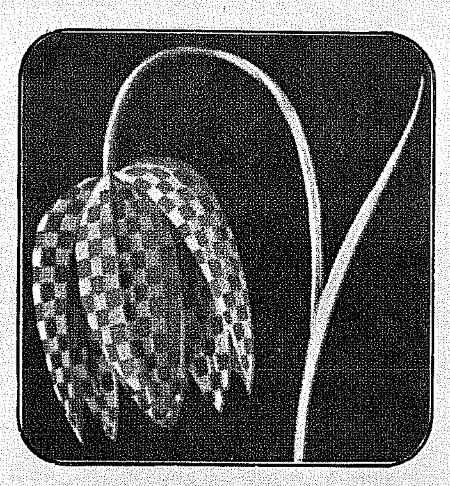
اجزاء الزهرة :

تتركب لزهرة عادة من جزء متضخم يعرف بالتخت (Thalamus or receptacle) يقع عند نهاية العنق اذا كان موجودا وتكون الأوراق الزهرية منتظمة في محيطات متتابعة وهذه المحيطات هي الكأس والتويج والطلع والمتاع .

الكأس : يمثل المحيط الخارجي للزهرة . ويتركب من اوراق صغيرة خضراء تعرف « بالسبلات » (Sepals) قد تكون منفصلة او ملتحمة وقد لا تستمر بل تسقط عند بدء تفتح الزهرة . وقد تستمر كما يحدث في الفصيلة الباذنجانية والكأس قد تكون انبوبية او تأخذ شكل المهماز وقد تكون واضحة او منعدمة كما في أزهار نباتات الفصيلة الخيمية ويوجد نباتات بها محيط آخر خارج الكأس يتركب من أوراق تشبه السبلات ويطلق عليه اسم « فوق الكأس » Epicalyx .

التويج : يتركب من اوراق ملونة تعرف « بالبتلات » (Petals) منفصلة هي الأخرى او ملتحمة عدة أشكال : كالأنبوبي ، والشعاعي ، والقمعي ، والمستدير المفلطح ، وتتخذ البتلات شكل « الصليب » في أزهار نباتات الفصيلة الصليبية (Cruciferae) .

الطلع : يشتمل الطلع على اعضاء التذكير إذ يتم فيه تكوين حبوب اللقاح التي تحتوي على الأنوية الذكرية ، ويتكون الطلع من عدد من الأسدية وكل سداة عبارة عن خيط رفيع يحمل عند قمته جزءا منتفخا يسمى « المتك » (Anther) وقد تكون الأسدية



منفصلة أو ملتحمة بخيوطها ومتوكها سائبة أو العكس ، واذا اتحدت الخيوط فقد يكون اتحادها في حزمة واحدة أو في حزمتين أو اكثر وقد تتحد الأسدية بالبتلات او تكون منفصلة عنها .

المتاع : يمثل في الزهرة عضو التأنيث إذ تتكون بداخله الأنوية الأنثوية ويتكون من عدد من الأوراق المتحورة تعرف الواحدة منها باسم « الكربلة » التقت حافتاها والتحمتا لتكوين تجويف في جزئها السفلي يحتوي على البويضات ويعرف باسم المبيض (Ovaty) اما الجزء العلوي فيكون مصمتا ومستطيلا ويسمى « القلم » (Style) ينتهي بجزء منتفخ ذي أشكال متعددة منها المفلطح والكروي والريشي ويطلق على ذلك الجزء اسم « الميسم » (Stigma) وهو الجزء المعد لاستقبال حبوب اللقاح ، والمعروف في بعض الأزهار انه لا يوجد ما يسمى بالقلم ويكون الميسم متصلا بالمبيض اتصالا مباشرا ، ويختلف تركيب المتاع من حيث عدد الكرابل وانفصالها واتحادها ودرجة هذا الاتحاد .

تأملات في اجزاء الزهرة :

إن المتأمل في أجزاء الزهرة من كأس وتويج وطلع ومتاع يجد اختلافا في التركيب والشكل واللون واتحادا في أن كل جزء قد أهل لأداء وظيفة معينة منوطة به . فالسبلات وهي المكونة للكأس وظيفتها حماية الأجزاء الزهرية الأخرى في البرعم الزهري كما أن البتلات وظيفتها العمل غالبا على اجتذاب الحشرات التي تقوم بعملية التلقيح ومن هنا نجد انها تأخذ أشكالا وألوانا جميلة ولها روائح عطرية جاذبة للحشرات وتوصف السبلات والبتلات بأنها أعضاء غير أساسية للزهرة ولهما من الخواص والمميزات ما يجعلهما مؤهلان لأداء تلك الوظيفة التي تتلخص في حماية الزهرة والعمل على تلقيحها اما ألطلع والمتاع فهما أعضاء الزهرة الأساسية فالطلع عضو التذكير في الأزهار المذكرة والمتاع عضو التأنيث في الأزهار المؤنثة . والخلاصة أن الزهرة جزء من أجزاء النبات بالاضافة الى الأجزاء الأخرى كالجذر والساق والأوراق . وكلها ذات وظائف ومميزات وخواص محددة .

النورة :

الزهرة قد تكون وحيدة في نهاية الساق وبذلك نجدها تحد من نمو الساق وقد تكون في مجموعة تعرف « بالنورة » وجزء الساق الذي يحمل الأزهار يطلق عليه اسم « المحور أو الشمراخ » (Peduncle) وتختلف وتتباين النورات باختلاف نوع التفرع وتوزيع الأزهار وطبقة المحور ، وتنقسم الى نورات غير محدودة وفيها يستمر المحور في النمو وتظهر عند قمته براعم زهرية حديثة ، تكشف عن ازهار فيما بعد ، وباستمرار النمو تتكون براعم زهرية أخرى ، وهكذا نجد على طول المحور تدرجا في عمر الأزهار ودرجة تفتحها فالازهار الحديثة التي لم تتفتح بعد تكون عند

القمة والازهار المتفتحة والمتقدمة في السن عند القاعدة ، وتتنوع هذه النورة غير المحدودة الى انواع عديدة . منها النورة الخيبية والمشطية والعنقودية البسيطة والسنبلة وغيرها ، والنورات المحدودة والتي تنشأ فيها الأزهار من البراعم الطرفية وبذلك يقف نمو الساق الأصلية ويخرج منها فرع واحد او عدة فروع تأخذ في النمو ثم تنتهي بأزهار فيقف نموه وبتكرار هذه الظاهرة عدة مرات تعرف بالنورة المركبة ولها أنواع أخرى ثلاثة . كالنورة وحيدة الشعبة وثنائية وعديدة الشعب .

ومن ناحية أخرى يمكن تقسيم الأزهار حسب المواسم والأماكن التي تنتشر فيها ، إلى أزهار الجبل والغابات والصخور والمراعي ، ومن أشهر الفصائل التي تتميز بزهورها الجميلة لبعض أنواع النباتات المنتمية إليها الفصيلة النجيلية والزنبقية والمركبة والوردية والبقولية « أو البقلية » وعموما تزرع النباتات ويكون الهدف الحصول على ثمارها وقد يكون الهدف الحصول على أزهارها فقط . وقد تكون هناك أهداف أخرى ، تتعدد بتعدد أنواع النباتات وأنواع الثمار وفوائدها وتركيبها ومدى استعمالها في الغذاء .

الورود :

تشمل الفصيلة الوردية حوالي ١١٥ جنسا ، ٣٢٠٠ نوع من النباتات المنتشرة في جميع بقاع العالم ، وهي أشجار أو شجيرات أو أعشاب ومن النباتات التابعة لها نبات الورد ويستعمل للزينة كما يستخرج من بعض أنواعه زيت طيار يعرف بزيت الورد ويستخدم في صنع الروائح العطرية ، وهناك أشجار ورد تزهر مرة واحدة فقط في بداية الصيف وأنواع ورود متعددة الانتاج تزهر مرتين أو أكثر أثناء الصيف والخريف ، ونبات الورد ذو أشكال متعددة . وقد جرت العادة على تقسيم الورود إلى ثلاث مجموعات تبعا لحجم الزهور ، وهي الورود ذات الزهور الكبيرة والورد المفرد والورود ذات الزهور الصغيرة . ولقد توصل العلماء باستمرار عمليات التهجين بين الأصناف المختلفة إلى ورود ذات ألوان جميلة متعددة . والورد معروف منذ قديم الزمان ومرجع هذه المعرفة ليس لجمال الورد وعبيره ، بل لأن الورد يعتبر ذا قيمة دوائية ، وقد عزا أحد العلماء للوردة مالا يقل عن ٣٢ فائدة طبية وعلاجية ، وأنواع الورود كثيرة وتعمل أشواكها على حماية النباتات من حيوانات الرعي وتمكين الورود من التسلق والصعود إلى أعلى بين الأشجار والشجيرات الأخرى .

أزهار الزنابق :

مجموعة من الأزهار تنتمي إلى الفصيلة الزنبقية ، وأكثر نباتات تلك الفصيلة تزرع من أجل جمالها ، والقليل منها يزرع كخضروات ، ومنها زنابق تشبه الأشجار وزنابق للزينة ، وتزرع نباتات هذه الفصيلة لأهداف متعددة وأغراض شتى . ويبلغ عدد



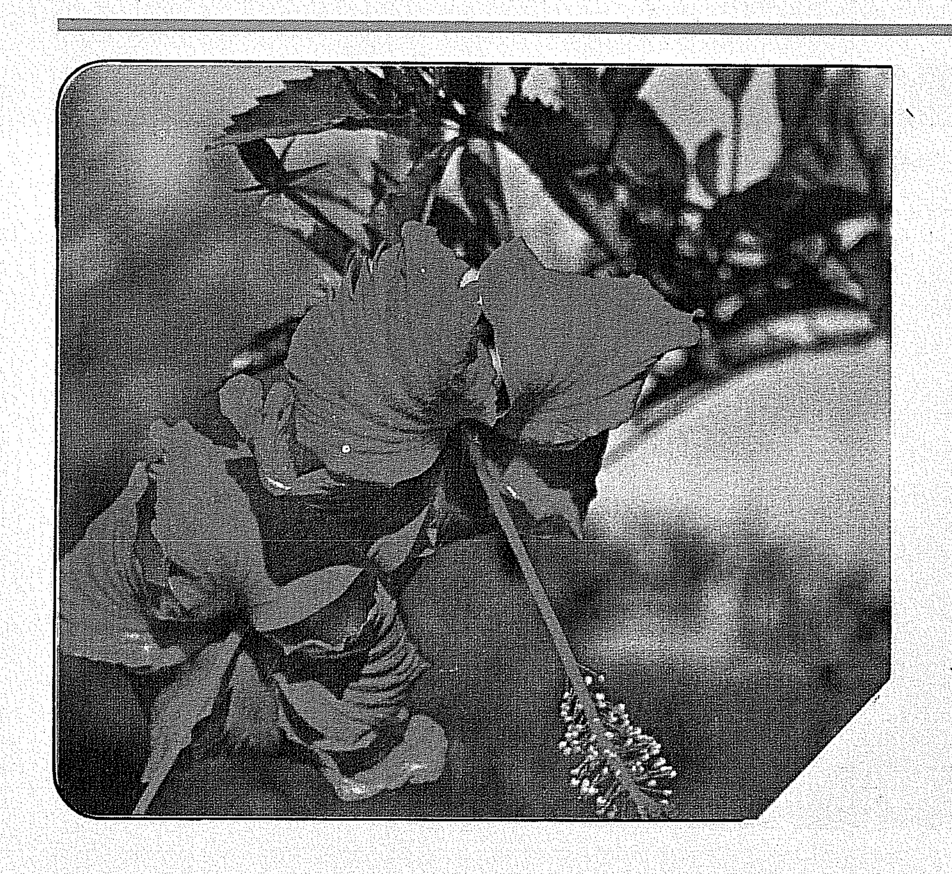
هذه النباتات أربعة آلاف نوع أغلبها عشبية معمرة . منتشرة في أنحاء العالم كله ، ولها فوائد متعددة .

فوائد الأزهار :

* كما سبق القول فإن الزهرة تعتبر وسيلة التكاثر في النباتات الراقية ، وهي جزء النبات المخصص لأداء هذه الوظيفة .

* رغم الاختلافات المتعددة - والمشار إليها - فإن الزهرة تعتبر أجمل جزء في النبات كله ، وتزرع كثير من النباتات للزينة ، ومن أجل الحصول على أزهارها لجمال المنظر ، والحصول على فوائد أخرى .

* والأزهار تعتبر مصدرا رئيسيا للحصول على الزيوت الطيارة والروائح العطرية والذي لا شك فيه أن عطرية الزهرة وجمالها وألوانها الزاهية المتناسقة وما تختزنه من رحيق كل ذلك يعمل على إنجذاب الحشرات إليها وانتقال حبوب اللقاح من زهرة إلى أخرى مما يؤمن لها الاخصاب ونمو البذرة . ثم استطاع الانسان أن يحصل على هذه الروائح والزيوت من الأزهار ، وهناك عطور مميزة برائحتها وتختلف باختلاف الزهرة التي أخذت منها .

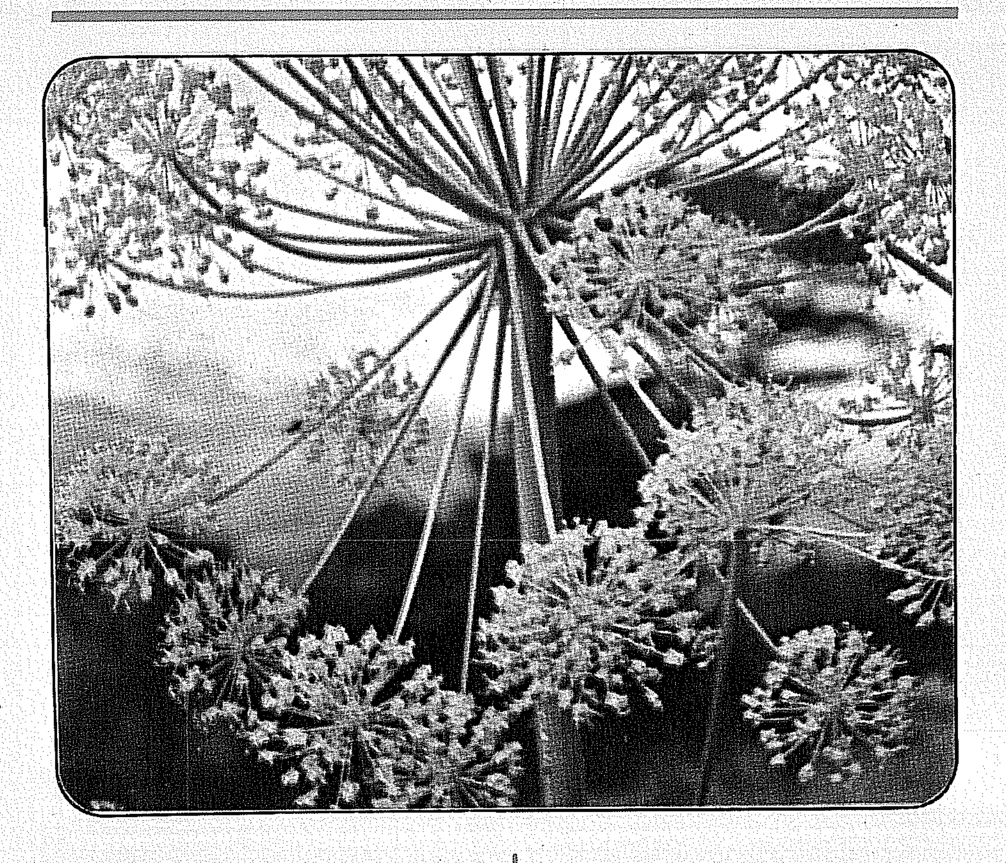


* نحصل من الأزهار على بعض المواد ذات الأثر الطبي والعلاجي لكثير من أمراض البشرية ويصنع من بعض أزهارها مشروبا يهدىء ويقوي الأعصاب ، كما تفيد بعض مواد أخرى في علاج آلام الصدر وخاصة أزمات التنفس .

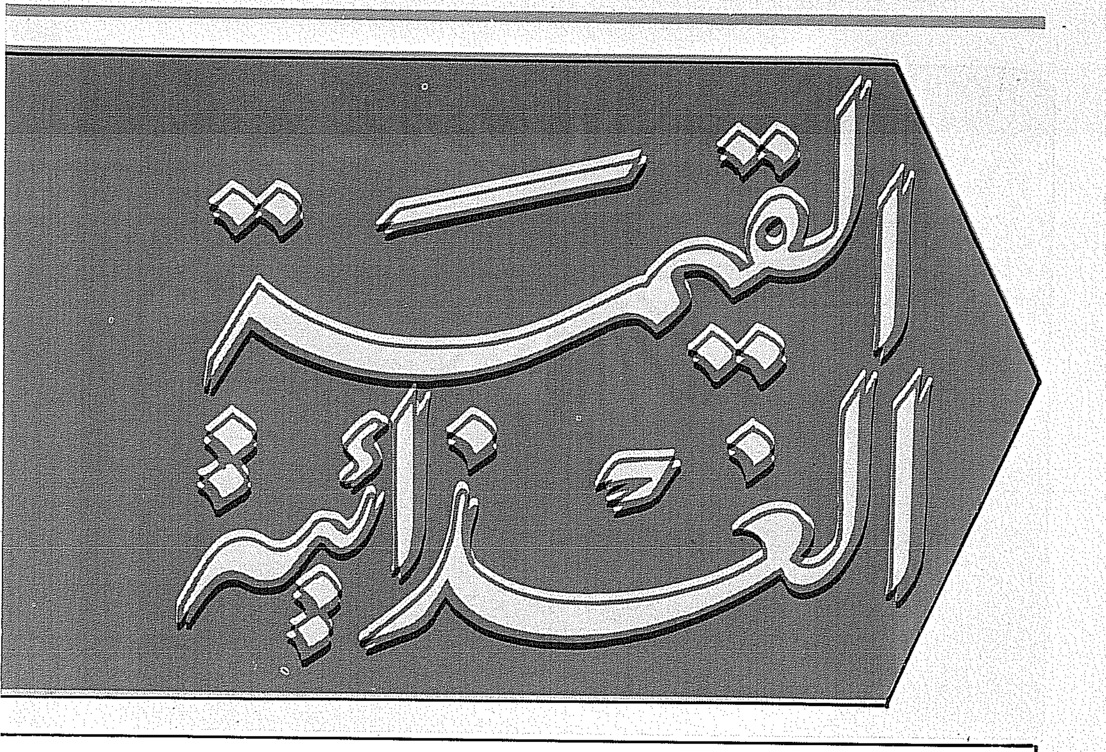
* من أزهار بعض نباتات الفصيلة المركبة وهو جنس البيرثرم نحصل على مبيد حشري قوى ، ذلك المبيد المعروف باسم (البيريثرينز) وتستخلص هذه المادة من الأزهار المجففة ، بعد طحنها وتدخل في صناعة المبيدات التي تستعمل ضد حشرات كثيرة وخاصة الذباب فتسبب له شللا وصعقا فوريا وسريعا .

أزهار غريبة وعجيبة :

هناك القليل من الأزهار الغريبة في شكلها ، ومصدر الغرابة أن تلك الأزهار قد تأخذ أشكالا بعيدة عن شكل الزهرة المعروف ، فبعضها يشبه القنينة وتكاد لا تبدو كالزهرة إطلاقا ،



وقد تشبه الزهرة شكل نجمة البحر ، وقد لا تكون جذابة لا في شكلها ولا في رائحتها ، لذلك يطلق عليها زهـرة الجيفة وبعضها يشبه عصفور الجنة المعروف ، وهناك زهرة تسمى بزهرة الآلام وقد أخذت هذا الاسم للشبه الوهمي بينها وبين تاج المسيح ذي الأشواك . وزهرة أخرى تشبه رقعة الشطرنج في ألوانها ، وأخرى تشبه كيس النقود أو لهب شمعة مضاءة ، وبعض الزهرات تشبه منقار طائر الببغـاء ، وغير ذلـك من الأشكال الغريبة وغير المألوفة . وقد ترجـع غرابة هذه الأزهار إلى صغرها والذي يبلغ طولها حوالي ملليمتر واحد ، وهي أصغر زهرة في العالم بالاضافة إلى أن بعض الأزهـار : « أكبر زهـرة في العالم » توجد في بعض الغابات ، ويصل قطرها إلى أكثر من متر ويطلق عليها زهرة « رافليزيا آرنـولداي » والجدير بالذكـر أن هناك نـورة : « تحمل عددا من الأزهار » تنمو هذه النورة إلى إرتفاع أكثر من ثلاثة أمتار ويطلق عليها إسم : « امورفوفالس تيتانم » . وكل هذا إن دل على شيء فإنما يدل على حكمة الخالق وعظمته وإبداعه . جل علاه .



لقد أبرز القرآن الكريم مكانة اللحم وأهميته في بناء جسم الانسان ، بالإضافة الى المذاق الطيب في أكثر من موضع ، نذكر منها :

قال تعالى : « **وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون** » الطور/ ٢٢ .

وقال تعالى : « **ولحم طير مما يشتهون** » الواقعة/ ٢١ .

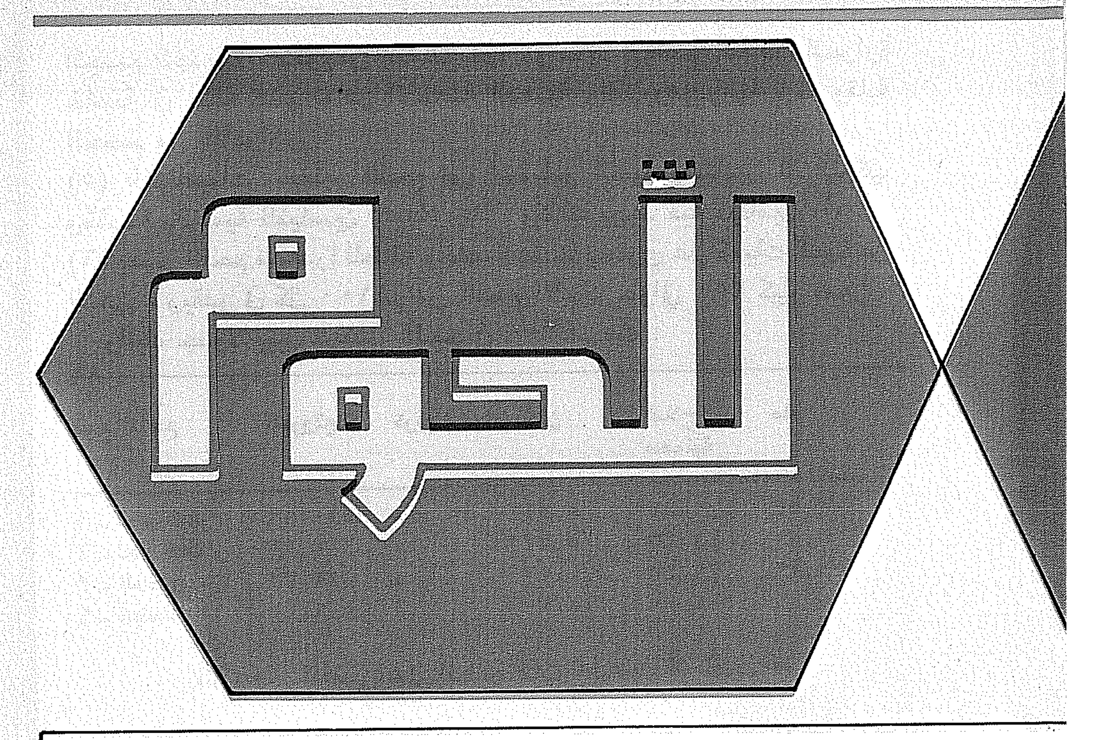
وقال تعالى : « **والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون** » النحل/ ٥ .

وأكد الرسول أيضا على أهمية اللحم للجسم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » أخرجه البخاري .

((الثريد)): الخبز واللحم .

تركيب اللحم :

اللحم غني بالمواد البروتينية وفقير جدا من المواد السكرية



للدكتور/هشام ابراهيم الخطيب

(الكربوهيدراتية) ، أما المواد الدهنية فمقدارها يختلف بحسب ضعف الحيوان وسمنه ونوع غذائه . وأيضا يختلف تركيب اللحم بحسب نوع الحيوان ولا سيما في نسبة المواد البروتينية ، ويختلف بحسب طراز معيشته ، وعمره ونوع غذائه فالحيوان الذي يعيش في الحظائر أكثر دهنا من الحيوان الذي يعيش في المراعي .

ويتركب اللحم من المواد التالية :

(١) الماء ويعادل مقداره ٧٥٪ من وزنه تقريبا .
(٢) الأملاح المعدنية ، ومنها الحديد ، والفوسفور وأملاح الصوديوم والكالسيوم .
(٣) مواد دهنية ، ونسبتها قليلة .
(٤) مواد بروتينية ، وتبلغ نسبتها حوالي ١٨٪ تقريبا ، وهذه المواد البروتينية تتألف من أعداد مختلفة من الأحماض الأمينية ، ومن فوائد هذه الأحماض الأمينية أو البروتينات للجسم أنها مهمة في بناء خلايا وأنسجة

الجسم الجديدة ، لتعويض التالف منها ، وامداد الجسم بالطاقة والحرارة خاصة في حالة عدم توافر الأطعمة الدهنية والكربوهيدراتية ، ثم وقاية الجسم من الأمراض .

(٥) الفيتامينات ، يعتبر اللحم من المصادر الغنية بفيتامين B المركب وخاصة بالنسبة للنياسين B12, Niacin ، وكذلك يوجد فيه فيتامين «أ» .

(٦) يعتبر اللحم مصدرا للطاقة وخاصة عندما يحتوي على كميات كبيرة من الدهن ، ويقدر في كل ١٠٠غم من اللحم الأحمر حوالي ٢٥٠ كيلو سعراً .

واليك جدولا يبين تركيب اللحم في ١٠٠غم منه :

نوع اللحم	البروتين	كربوهيدرات	دهن	املاح معدنية	ماء
١ ـ لحم البقر	٢٠,٩٦٪	-	٥,٤١٪	١,١٤٪	٧٢,٥٣٪
٢ ـ لحم الضان	١٧,١١٪	-	٥,٧٧٪	١,٣٣٪	٧٥,٩٩٪
٣ ـ الطيور	١٩,٧٢٪	-	١,٤٢٪	١,٣٧٪	٧٦,٢٢٪
٤ ـ السمك	١٦,٠٠٪	-	٥,٠٠٪	١,٠٠٪	٧٨٪

الفحص الطبي على الحيوانات المعدة للغذاء

يجب أن توضع الحيوانات المعدة للذبح قيد المراقبة مدة ٢٤ ساعة ويستحسن ألا تكون الحيوانات كبيرة أو صغيرة ، بل بين الصغيرة والكبيرة وألا يكون جلدها رخوا وعضلاتها مرنة ، وألا يكون الحيوان مرتعشا ولا تظهر عليه أمارات الألم .

هذا ويكون الحيوان مريضا اذا كان شعره منتصبا ، وخشنا ، واذا كان أنفه جافا يظهر رغوة واذا كانت العينان ثقيلتين واللسان متدليا وله فروة بيضاء واذا كانت الأذنان والأقدام حارة في حالة الحمى .

اللحم الجيد واللحم الرديء :

اللحم الجيد يكون لونه أحمر براقا وملمسه متماسكا ورائحته جيدة وتفاعله حامضيا ، أما اللحم الرديء فيكون لونه أحمر قاتما ، وملمسه رخوا ، بحيث تغوص الأصابع فيه ، وتكون رائحته كريهة ، وتفاعله قاعديا أو قلويا .

ويمكن التأكد من الرائحة بعمل حز في اللحم وشم داخله وخصوصا من ناحية العظم ، أو وضع قطع لحم صغيرة منه في ماء مغلي وشم رائحة البخار المتصاعد منه أو غرس سكين ساخنة ثم شمها .

طبخ اللحوم :

تطبخ اللحوم لتسهيل هضمها وتحسين طعمها وقتل الجراثيم المرضية فيها كالسل ، وبيض وأجنة الديدان المختلفة التي تستوطن الجسم وتؤذيه ، وتطبخ اللحوم بطرق عدة منها :

(١) **الشيُّ** : وضع اللحم فوق نار حامية في بادىء الأمر على شرط ألا يصيبه اللهب ثم تخفف تدريجيا ويقلب اللحم من جهة الى أخرى ، ان الشيّ يقضي على المواد البروتينية ويبقي على عصارات اللحم فيه وتتولد خلاصات عطرية تكسب اللحم نكهة وطعما خاصين ، ومن النادر أن تتجاوز حرارة الشي ٦٠° مئوية ، وهي كافية في قتل بيض وأجنة الطفيليات ويدفع الشي الخلاصات التي في اللحم الى سطحه ، ويجعل حزم العضلات تنتفخ وتتفكك ويحول الألياف الى جيلاتين ويذيب الشحم في النسيج الضام فيخرج الى سطح اللحم ويمنع جفافه .

(٢) **الطهي بالماء (السلق)** : يقطع اللحم ويوضع في الماء ثم يغلى مدة كافية حتى ينضج ويتخثر البروتين ، ويفقد اللحم بعضا من مواده ، حيث تبقى في السائل الذي يُقَدَّمُ عادة مع اللحم .

(٣) **القلي** : يقلى اللحم بالسمن أو الزبد أو الزيت بحرارة عالية ويصبح عسير الهضم بسبب تزايد نسبة المواد الدهنية فيه خصوصا بعد أن يبرد .

هضم اللحوم :

تهضم اللحوم ميكانيكيا وكيميائيا في المعدة ، وتصير قابلة للإمتصاص ، ويتوقف ذلك على نوع اللحم وكيفية طبخه ، ان اللحوم ذات الألياف الطرية ، أسرع هضما من ذات الألياف الصلبة ، واللحم الضعيف أسرع هضما من السمين ، كما أن اللحم الأبيض كلحم الدجاج وغيره من الطيور أسرع هضما من اللحوم الأخرى .

أنواع اللحوم :

١ ـ **لحم البقر** : يعطي طاقة أكثر من غيره من اللحوم ! ولكنه يحتاج الى قوة هضمية كبيرة ، ولحم العجول أقل تغذية وهضما من لحم البقر البالغ بسبب كثرة الألياف التي فيه .

٢ ـ **لحم الضأن** : سهل الهضم واستعماله أكثر شيوعا في الشرق منه في الغرب ، وألياف لحمه أطرى من ألياف لحم البقر ، والشحم الذي فيه أكثر

من شحم البقر .
(٣) لحم الماعز : ألياف عضلاته أكثر طراوة ، وشحمه أقل ، فهو أسهل هضما من اللحوم الأخرى ، يضاف الى ذلك أنه ينقل مرض السل كالبقر .
(٤) لحم الطيور : سهل الهضم بسبب طراوته وقلة دهنه ويعتبر لحم الدجاج من ألذ اللحوم
(٥) الكبد : من المواد الغذائية وفيها فيتامين A,B,C,D ، وهي غنية بصورة خاصة بالفيتامين «أ» ، والبروتين الذي فيها سهل الهضم وفيها مواد معدنية مهمة ولا سيما الحديد والمنغنيز وهي مفيدة جدا لفقر الدم ، فالمنغنيز يزيد النماء والحديد يكوّن الهيموغلوبين ، وفي الكبد كمية غير قليلة من السكر والشحم ، أما السكر فهو من نوع Glycogen وتعطي كل ١٠٠غم من الكبد حوالي ٢٨٠ كيلوسعرا حراريا ، ولذلك فهو مصدر هام للطاقة .
(٦) السمك : يشكل السمك غذاء رئيسا لجميع المناطق الساحلية في العالم ويلعب بذلك دور المصدر البروتيني الحيوي الجيد . يحتوي السمك على كمية ملائمة من البروتين وان كانت كميته أقل من اللحم ، أما قدرته على تمويل الطاقة فتختلف وفقا لنسبة الدهن فيه . تتميز دهون السمك باحتوائها على كميات كبيرة من الفيتامينات التي تذوب في الدهن والسمك لا يشكل مصدرا هاما لبقية الفيتامينات والمعادن . فاذا أُكل بعظمه اعتبر مصدرا جيدا للكالسيوم .

تحتوي حيوانات البحر الأخرى مثل المحار وعائلته على كميات من البروتين ومن السكر ، ويمكن أن تلعب دورا في دعم الأغذية الشعبية .
٧ ـ لحم الخنزير : أكله شائع عند الشعوب الأوروبية ، وهو مُحَرَّم في الشريعة الاسلامية فقد قال تعالى :
« **حُرِّمت عليكم الميتةُ والدمُ ولحمُ الخنزير** » المائدة/٣ .
« **إنما حرَّمَ عليكم الميتةَ والدمَ ولحمَ الخنزير وما أُهِلَّ به لغير الله فمنْ اضطرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فلا إثمَ عليه إنَّ اللّهَ غفورٌ رحيم** » البقرة/١٧٣ .

الخنزير حيوان قذر ، تستخبثه الطباع السليمة ، وأشهى غذائه القاذورات والنجاسات ، وقد أثبت الطب الحديث أن أكله ضار ومن أضراره نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

* الزحار الزقي : تسببه طفيلية تدعى Balantidium Coli ، تعيش في أمعاء الخنزير ، ويعتبر الخنزير أهم مصادر العدوى ،وينتشر المرض عالميا ويكثر في الأماكن التي تنتشر فيها تربية الخنازير وتناولها .
* داء ويل النزفي : ومن أعراضه أنزفة في أعضاء مختلفة من الجسم ، مما يؤدي الى هبوط الكلية والكبد ، والقلب ، ومكن أن يصاحبه الاصفرار .
* الأميبا أو الزحار الأميبي .
* حصبة الخنزير : وهو مرض يصاب به الخنزير وغيره من الحيوانات ،

وينتقل الى اللحامين والدباغين ، وأعراض المرض هناك لوحة محمرة ومؤلمة جدا يصاحبها تضخم في العقد اللمفاوية (البلغمية) .
* الشعرية الحلزونية Trichnella Spiralis ، وهي دودة شعرية صغيرة طولها ٣ ـ ٥ملم ، ، تصيب الانسان نتيجة تناوله لحم الخنزير النيىء أو غير المطهي جيدا . ومن أعراضها تخريش والتهاب جدار الأمعاء، وطفح جلدي ، وإستقرار اليرقات في العضلات يسبب آلاما شديدة وصعوبة التنفس والمضغ والكلام وأحيانا تؤدي الى الموت بالاختناق .
* الدودة الشريطية : تصيب الانسان لتناوله لحم الخنزير غير المطهي جيدا ، والمحتوي على الطور المعدي ، تسبب هذه الدودة آلاما في البطن واسهالا وامساكا ، وأخطر ما فيها أن تتشكل الحويصلات الخنزيرية في أنسجة الانسان كالقلب والعين والدماغ وعلاجها بالجراحة .
* أمراض أخرى مثل تصلب الشرايين ، ارتفاع حمض البول Uric Acid وغيرها .

لحم الميتة :

الميتة هي ما مات حتف أنفه من الحيوان والطير ، أي ما مات بغير تذكيته أو صيده ، وحرم الله أكل لحم الميتة بقوله تعالى :
« حُرِّمَتْ عليكم الميتةُ والدمُ ولحمَ الخنزير وما أُهِلَّ لغير اللّه به والمنخنقةُ والموقوذةُ والمترديةُ والنطيحةُ وما أكَلَ السبعُ إلا ماذكَّيتُمْ وما ذُبِحَ على النُّصُبِ » المائدة/٣ .
وذكرت الآية الكريمة السابقة أنواع الميتة :
- المنخنقة: وهي التي تموت اختناقا ، بأن يلف حول عنقها حبل فتموت .
- الموقوذة : وهي التي تضرب حتى تموت ، كضربها بالعصا .
- المتردية : وهي التي تتردى من مكان عال مثل الجبل فتموت .
- النطيحة : وهي التي تنطحها حيوانات أخرى فتموت .
- وما أكل السبع : والتي أكل منها السبع (حيوان مفترس) جزءا منها فماتت .

حكمة تحريم لحم الميتة ومضار تناولها :

هناك العديد من الأسباب لتحريم لحم الميتة نذكر منها :
- أن الطبع السليم يعافها ويستقذرها .
- أن ما مات حتف أنفه يغلب أن يكون قد مات لعلة مزمنة أو طارئة أو أكل نباتا ساما أو نحو ذلك ، وكل ذلك لا يؤمن ضرره .

ـ ان الله تعالى بتحريم الميتة علينا ، قد أتاح بذلك فرصة للحيوانات والطيور لتتغذى منها رحمة منه تعالى بها .
ـ أن يحرص الانسان على ما يملكه من الحيوان فلا يدعه فريسة للمرض والضعف حتى يموت فيتلف ، بل يسارع الى علاجه أو يعمل على اراحته .
ـ تنقل كثيرا من الأمراض الى جسم الانسان ومن هذه الأمراض :
● السل : Tuberculosis ، وهو غالبا ما يحدث مصادفة في البقر ، وينقل الى الانسان اذا أكل لبن حيوان مصاب أولحم ميتة مصابة غيرمطبوخة جيدا .
● الجمرة الخبيثة : Anthrax ، وهي أنواع عديدة ومنها ما يحدث تقرحات على اليدين ، أو التهابا رئويا ، أو ما يظهر في شكل تسمم غذائي وتسببها جراثيم تدعى B cilhes Anthracis .
● التسممات الغذائية : سواء أكانت من جراثيم السالمونيلا Salmonella أم من الجراثيم العنقودية أو العقدية ، أم المواد الكيميائية التي تنتج بعد موت الحيوان .
● الإصابة بالديدان المعوية .
● التهاب الكبد الوبائي : وهو مرض خطير من أعراضه اصفرار العينين وتغيرلون البول والبراز ، وألم في البطن وضعف في الشهية ، وأحيانا ضعف عام ، ومن مضاعفاته أنه يؤدي الى هبوط الكبد بعد أن تتكرر الإصابة به أكثر من مرة .

حفظ اللحم :

يحفظ اللحم منعا لفساده ومن الطرق التي يحفظ فيها اللحم :
(١) **حفظ اللحم بالقلي** : وهو أن تقطع شرائح اللحم ، وتقلى بدهنها أو بالسمن ، ويصب ساخنا عليها ، فيجمد الدهن حولها ويحجبها عن الهواء وهي طريقة كثيرة الاستعمال .
(٢) **التمليح (البصطرمة)** : وهي كلمة أرمنية تطلق على اللحم المجفف وتحضر غالبا من اللحم البقري .
(٣) **التدخين** : يعلق اللحم في مكان محصور ، ويسلط عليه دخان بعض الأخشاب القطرانية ، فينفذ في اللحم بعض العطور القطرانية الطيارة ويجف اللحم على هذه الطريقة.ويحفظ مدة طويلة دون أن يطرأ عليه تبدل .
(٤) حفظ اللحوم بحجبها عن الهواء بعد تعقيمها بالحرارة جيدا « المعلبات » وهذه الطريقة أفضل الطرق المستعملة في المحافظة على الأغذية ، وأكثرها انتشارا ويراعى عند اعداد لحم الماشية تجزئتها الى قطع صغيرة وإزالة العظام منها ، وتخزن قبل التعبئة في محاليل ملحية كثيفة ويختلف تركيب هذه المحاليل الملحية باختلاف صنف اللحم وطريقة تعبئته .

(٥) تبريد اللحوم : تحتل صناعة تبريد اللحوم في وقتنا هذا المكان الأول في مجال هذه الصناعة .

الاسراف في أكل اللحوم

الاعتدال في أي أمر هو أسمى درجاته ، والاعتدال في أمر الطعام والشراب هو المقصد الذي ذهبت اليه الآية الكريمة « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** » الأعراف/٣١ .

لقد كان الاعتدال واقعا في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحياة الصحابة ، ولم تقتصر توجيهاته على عدم الافراط في الطعام بل حذّر أيضا من التقتير فيه ، ومنع أقواما من الصوم أياما متتاليات دون إفطار .

وقد اتفق على مبدأ الاعتدال كل من في الأرض من أنبياء وحكماء وأطباء ، لهذا كان على الانسان أن يتناول الكمية المحددة له من الأكل فمثلا احتياجات الشخص البالغ من البروتين غرام واحد لكل كيلوغرام من وزنه ، واحتياج الطفل من البروتين ٣ ـ ٥ غرام لكل كيلو . أما اذا زاد أو نقص عن ذلك فإنه يسبب الأمراض .

ان عدم تناول اللحوم بالكميات المناسبة لجسم الانسان ينتج عنه أمراض منها :

- حالات الإسهال ، لأنه يؤدي الى فشل في عملية الهضم والامتصاص .
- نقص معدل النمو ، وخاصة عند الأطفال .
- القصور الكبدي : حيث يضعف الكبد ولا يحافظ على تركيبه ووظائفه .
- ضمور العضلات .
- فقر الدم .

قد يكون نقص اللحم ناجما عن قلة تمويل الجسم من الغذاء أو يكون ناتجا عن أمراض في الجسم كأمراض الكلية ، أمراض النزف ، العمليات ، الكسور ، الحروق وغيرها .

أما الزيادة والشره في أكل اللحوم فيؤدي الى العديد من الأمراض ومنها :

(١) الحصيات الكلوية : وهي أكثر حدوثا في الأشخاص الذين يعتمدون بشكل رئيسي على تناول اللحوم والحليب والجبن .

(٢) النقرس أو داء الملوك Gout ، وهو ألم مفصلي يأتي بهجمات عنيفة وخاصة في مفاصل القدم والإبهام ، وسبب المرض هو ارتفاع حامض اليوريا Uric Acid .

(٣) ارتفاع الضغط وتصلب الشرايين .

(٤) بعض حالات السمنة .

برئاسة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية وفد الكويت في زيارة

قام وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ احمد سعد الجاسر في اعقاب ترؤسه لوفد دولة الكويت الى اجتماعات الدورة الرابعة عشرة لمؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية التي عقدت في دكا مؤخرا بزيارة لكل من باكستان والصين للتعرف عن كثب على احوال المسلمين في هذه البلدان وقد تحدث السيد الوزير لمجلة الوعي الاسلامي بعد عودته فقال :

غادرت الكويت يوم الاثنين ٥/١٢/١٩٨٣ الى بنغلاديش لحضور مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية في دكا والوفد المرافق وقد قمت خلال فترة المؤتمر بزيارة رسمية الى بنغلاديش بناء على دعوة رسمية من وزير التربية والشئون الدينية وقد أجريت عدة لقاءات ومباحثات رسمية مع عدد من المسئولين في بنغلاديش وعلى رأسهم السيد رئيس الجمهورية تتعلق بالعلاقات الثنائية بين البلدين وبمختلف القضايا التي تهم العالم الاسلامي واثناء هذه الزيارة تفقدت مخيمات اللاجئين البهاريين في دكا واطلعت على احوالهم المعيشية .

جمهورية باكستان الاسلامية

وبعد انتهاء مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية .توجهت والوفد المرافق لي الى باكستان تلبية لدعوة رسمية من الأخ محمد عباس خان عباس وزير الشئون الدينية الاتحادي وقد كانت فرصة طيبة ان التقينا بالاخوة في باكستان وعقدنا عدة لقاءات مع المسئولين الباكستانيين وعلى رأسهم السيد رئيس الجمهورية الذي أشاد بعلاقات الكويت وباكستان الاخوية . وبوحدة الهدف والمصير لجميع الأمة الاسلامية . وقد



بنغلادش وباكستان والصين الشعبية

حملنا تحياته لحضرة صاحب السمو الأمير ولسمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء ، وشكره لمواقف الكويت على الصعيدين الاسلامي والدولي .
هذا وقد اجتمعنا أيضا بالأخ وزير الشئون الدينية وبرئيس مجلس الفكر الاسلامي الدكتور تنزيل الرحمن وبرئيس قضاة المحكمة الاتحادية الشرعية السيد اقتاب حسين وقضاة المحكمة وحضرنا الجلسة الافتتاحية لمؤتمر العلوم والتكنولوجيا لمنظمة المؤتمر الاسلامي في قاعة مجلس الشورى ، وكذلك المؤتمر الاسلامي الذي دعت اليه كل من جامعة إسلام أباد الاسلامية والمجلس الا سلامي والذي عقد تحت عنوان « الاسلام اليوم » .
وقد زرنا مخيمات المهاجرين الافغان في بيشاور ومكتب الهلال الأحمر الكويتي والمشاريع الخيرية التي تقيمها الكويت هناك .
ويسرني بعد انتهاء الزيارة ان اتقدم بالشكر الجزيل للسيد رئيس الجمهورية على الحفاوة البالغة التي استقبلنا بها والتكريم الذي احاطنا به وجميع المسئولين الباكستانيين .

جمهورية الصين الشعبية

بناء على دعوة رسمية من السيد رئيس مصلحة الشؤون الدينية التابع لمجلس الدولة - شوو لانغ شنغ - قمت في الفترة ما بين ١٥ - ٢٢ ديسمبر ١٩٨٣ بزيارة رسمية لجمهورية الصين الشعبية وقد زرت عددا من المدن الصينية بكين ، شيئان ، وشنغهاي ، وقوبلت والوفد المرافق لي بترحاب كبير من قبل المسؤولين الصينيين ومن زعماء المسلمين في هذه المدن ، وقد عقدت عدة لقاءات في هذه الزيارة مع عدد من المسئولين كان على رأسهم في بكين السيد«وان لي»النائب الاول لرئيس مجلس الدولة والسيد يانغ جنغ رن» نائب رئيس المؤتمر الاستشاري ورئيس اللجنة الوطنية الصينية للقوميات والسيد«وان يوابيغ» نائب رئيس مصلحة الشئون الدينية الذي رافقنا في كل زيارتنا لمختلف



المدن الصينية .

وقد القى السيد«وان لي» النائب الأول لرئيس مجلس الدولة كلمة في أحد اللقاءات رحب بنا نيابة عن الحكومة الصينية والشعب الصيني ودعانا لزيارة مختلف المقاطعات الصينية ، وأكد على أن دستور الصين قد ضمن الحريات الدينية واعرب عن اهتمام الحكومة الصينية بجهود الكويت لتوحيد الصف العربي وإزالة الخلافات بين الأشقاء وأبدى استعداد الحكومة الصينية لدعم هذه الجهود والتعاون الى ابعد الحدود لتعزيز الصداقة بين الكويت والصين ولوحدة الصف العربي كقوة لها وزنها وثقلها على المستوى الدولي وقد حمّلنا بالنيابة عن رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الدولة تحياتهم الى حضرة صاحب السمو الأمير والى سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء،كما أكد السيد «يانغ جنغ رن» نائب رئيس المؤتمر الاستشاري ورئيس اللجنة الوطنية الصينية للقوميات في لقائنا به اهتمام الحكومة الصينية بصيانة الحياد واتحاد البلدان ومعارضة التدخلات والنفوذ وتأييد الحكومة لنضال الشعب الفلسطيني تأييدا مطلقا ، وان الكويت والصين تتفقان في مختلف القضايا والمحافظة على السلام وأشاد بالعلاقات الوثيقة بين البلدين وتقدمها وبزيارتنا التي تمنى ان يكون من اولى نتائجها توطيد العلاقات بين الشعب الكويتي المسلم والمسلمين الصينيين واكد على ان المسلمين الصينيين لهم مطلق الحرية الدينية وهم يشاركون الشعب

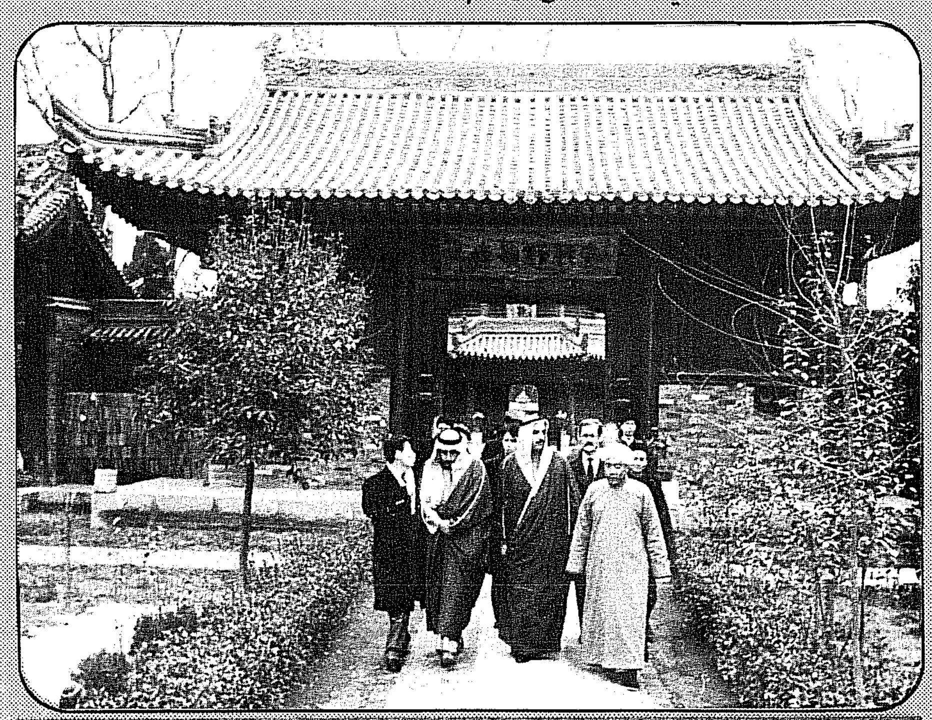
الصيني في بناء الصين ، وطلب منا تبادل النصيحة وإبداء الرأي في محاولاتهم لبناء بلدهم واعمالهم بلا تكليف ولا حرج اذا كانت هناك نواقص في هذه الاعمال لتحقيق الأفضل والأحسن .
ولقد اكدت ان دور الكويت غير المنحاز والذي تلعبه في علاقاتها الخارجية يدعمه جدا تعاونها مع الصين الصديقة ، وان الكويت تحرص على ان تتخذ قراراتها السياسية بحرية تامة وبعيدا عن مؤثرات القوى الكبرى في العالم وان مما لا شك فيه ان وقوف الصين الى جانبنا سوف يساعدنا على اتخاذ مثل هذه القرارات بدون انحياز وان المعاني الجميلة التي يتعلمها المسلمون من دينهم تدعوهم دائما الى ان يكونوا مواطنين مسالمين مع جميع ابناء وطنهم على اختلاف قومياتهم وأديانهم ، وأن [التاريخ الطويل للمسلمين يشهد بقدرتهم على التعايش مع الجميع بسلم وأمان] .
واذا كنا نتبادل الزيارة ونطلع على أحوال المسلمين في الصين فاننا بذلك نرمز الى العلاقات الوطيدة بين كل الشعب العربي وكل شعب الصين .
وشكرتهم على ثقتهم الكبيرة فينا وأكدت أننا لن نتردد في تبادل النصيحة مع هذه الدولة الصديقة لما فيه دعم لتعديل الأوضاع غير المتزنة في العالم .
وخلال زيارتي لبكين اجتمعت مع قادة المسلمين فيها وعلى رأسهم رئيس الجمعية الاسلامية الصينية - محمد علي تشانج لي - وذلك بمقر الجمعية واطلعت على نشاط الجمعية الدؤوب لخدمة الاسلام والمسلمين في الصين خاصة بعد أن نال المسلمون في الصين قدرا كبيرا من الحريات وقد قامت الجمعية بطباعة بعض المصاحف والكتب الدينية اكثر من مائتي الف نسخة من المصحف وتفسير الجلالين وكتب الحديث والفقه وبعض العلوم الدينية عن الفرائض الخمسة ، هذا بالاضافة الى ان الجمعية تصدر مجلة - المسلم الصيني - باللغة الصينية ولغة اهل الشمال والجمعية الاسلامية الصينية في بكين جمعية مركزية تتبعها اكثر من ثلاثين جمعية في المقاطعات الصينية . ويتبعها في بكين معهد لتعليم القرآن والتفسير والحديث والفقه وتاريخ الاسلام مدة خمس سنوات وتعادل شهادته الشهادة الجامعية كما زرت بعض المساجد في بكين وبها شعب لتعليم الأطفال القرآن الكريم ، وفي مسجد بكين ١٧ طالبا وقامت الجمعية بتكليف بعض الأئمة تربية الاطفال وتعليمهم الحديث والفقه وهؤلاء الاولاد يعيشون في المسجد بصفة دائمة كما تقوم الجمعية بطباعة الكتب باللغة العربية والصينية ، وقد أعربت لرئيس الجمعية عن استعدادنا لطباعة الكتب التي يحتاجونها عندهم وان نشترك نحن وهم في طباعة كتاب يوزع عندنا وعندهم لتوثيق العلاقة بين المسلمين ، ودعوتهم لإرسال طلبة للدراسة في المعهد الديني في الكويت وبكلية الشريعة كما اعربت له عن استعدادنا لارسال بعض الطلبة من الكويت

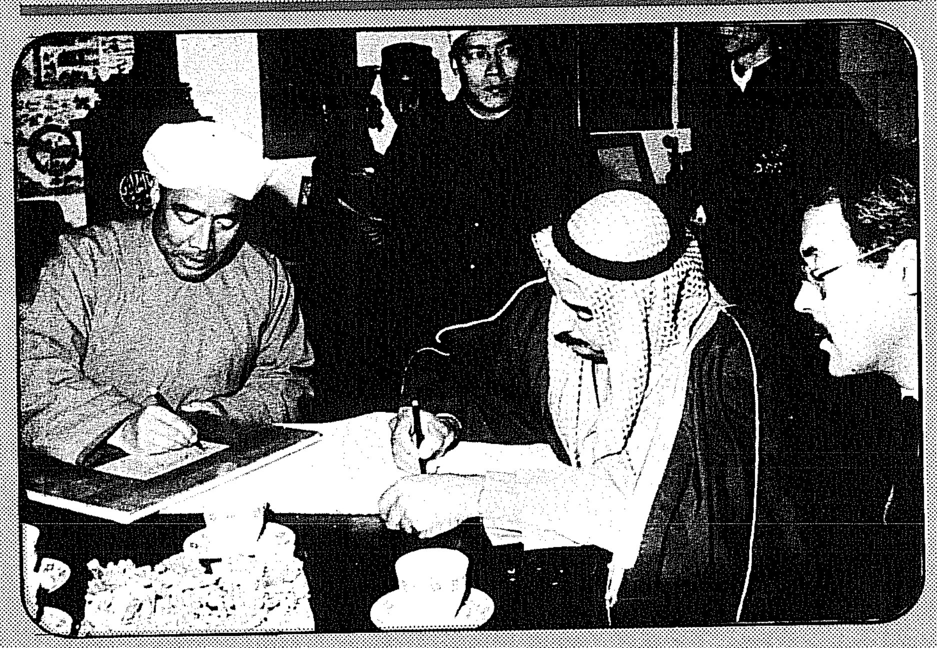
لدراسة اللغة الصينية لأن هذا خير وسيلة لتوثيق العلاقات ، ودعوتهم أيضـا لإرسال عـدد من الحجاج ليشاركوا بعثة الحج الكويتية لأداء فـريضة الحـج وذلك عـلى نفقتنا بالاضافة الى تذاكر السفر وتركت لهم تحديد العـدد المناسب من هؤلاء الحجاج .

وقمت بالتجول في الفصول الدراسية التابعة للجمعية «المعهد الـديني» ووعدتهم بإرسال مكتبة كاملة للجمعية الاسلامية الصينية ، كما زرت والوفد المرافق مسجد بكين في حي البقر وأدينا صلاة الجمعة بهذا المسجد مع عدد كبير من المسلمين الصينيين .

هذا وبعد انتهاء زيارتي لبكين توجهنا الى مدينة «شيئان» وهي مدينة تقع في غرب الصين الشمالي في مقاطعة شانشي وعدد سكان هذه المقاطعة ٢٩ مليون نسمة اما عدد سكان المدينة فيبلغ خمسة ملايين وهي مدينة حضارية واقتصادية منذ التاريخ وهي التي كانت تشكل بداية ونهاية طريق تجارة الحرير ومحطة اتصال قديمة بين العـرب والصين . ويعتبـر مسجد المدينة أثرا مهما من آثار حضارتها العريقة حيث تبلغ مساحته ثلاثة عشر الف متر مربع . وقد وجهت دعوة لإمـام المسجـد لـزيـارة الكـويت وبصحبته الفائز في مسابقـة حفظ القرآن الكريم التي يقيمها المسجد للمشاركة في مسابقة حفظ القرآن في الكويت .

وزرت الجمعية الاسلامية في المدينة





حيث اسست ٧/١٢/١٩٨٣ ومن اولى مهامها التي ستقوم بها تدريس تلاوة القرآن الكريم والعلوم القرآنية وطلبوا مساعدة الكويت لبناء الفصول الدراسية .

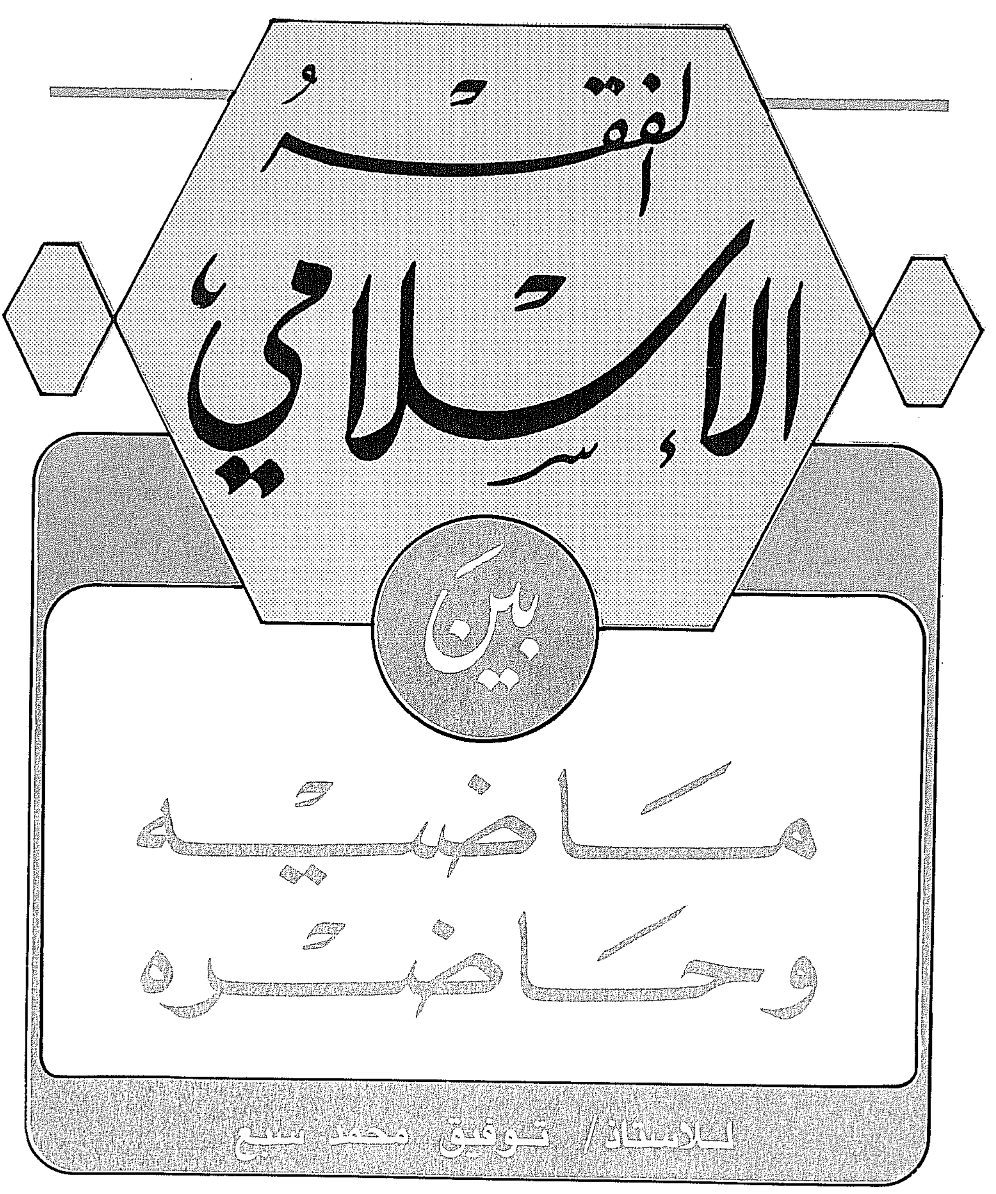
ودعوتهم لارسال عدد من الطلبة للدراسة في المعهد الديني وكلية الشريعة ووعدتهم بارسال مجموعة من الكتب ومدرس متخصص لتحفيظ القرآن الكريم .

كما اجتمعت بنائب رئيس المقاطعة الذي رحب بنا ترحيبا حارا واشاد بالعلاقات الطيبة بين الصين والكويت .

وبعد انتهاء الزيارة لهذه المدينة العريقة توجهنا الى مدينة شنغهاي حيث التقيت بالسيد (نيتان جن) نائب مدير بلدية شنغهاي ونائب رئيس مصلحة الشئون الدينية ومساعد السكرتير العام للجمعية الاسلامية ورئيس الجمعية .

هذا وتوجهنا بعد انتهاء زيارتنا للصين الى هونج كونج- في طريق عودتنا الى الكويت حيث زرت بعض المساجد المقامة في المدينة وبعض الجمعيات الاسلامية والمركز الاسلامي ومسجد عمار هناك، يبنى حاليا في قلب المدينة مسجد ومركز اسلامي كبير ولكن لم يتم بناؤه بعد حيث يحتاج الى بعض المال لإكمال البناء .

والوعي الاسلامي حرصا منها على تعريف قرائها على واقع الشعوب الاسلامية في كل مكان قامت بتغطية هذه الزيارة التي قام بها السيد الوزير للاقطار الثلاثة داعية الله عز وجل ان يغير هذا الواقع لما فيه خير الاسلام والمسلمين .



الفقه اليوم :

ننظر في هذا العصر فنرى ما يملأ القلب أسى والنفس لوعة ، فقد تكاثرت مسائل الفقه الاسلامي وقضاياه دون أن تجد الحل الملائم ـ أو الجواب الشافي .. وهي مسائل متنوعة طرحتها الحياة الجديدة بكل ما فيها من حركة وفرضتها على المجامع الفقهية ليفتوا فيها ويصدروا رأيهم واضحا في أمرها ، ولكن هذه المجامع لم تقل شيئا ذابال حتى الآن ..

ومعظم هذه القضايا يدور حول مسائل فرعية من الربا .. تختلف فيها الآراء .. منها ما يرى التحريم ، ومنها

ما يرى التحليل لأن شرط التحريم لا ينطبق عليه .

وعندي أن الفقه الاسلامي الآن تحكمه عوامل تؤثر على سيره .. وتعوق اتجاهه : منها تخوف العلماء من المجاهرة برأيهم ، فإن الدول تتعامل بالربا .. بل ويتفنن الكثير من الأفراد للاحتيال على تحليله على مرأى ومسمع من أولى الأمر .

وقد يكون **الجمود العقلي** سببا آخر في توقف حركة الفقه .. فإن الساحة الاسلامية الآن في أزمة خانقة من العلماء الفاقهين !!

ومن بين العوامل **التي تبلبل الفكر** ، وتحير العقل تقادم الفتوى في المسألة الواحدة .. هذا يحل وهذا يحرم !! لأن مثل هذه الفتوى تخضع لرأي الفرد وليس لرأي الجماعة ويجب العمل فورا على تهيئة الأجواء لايجاد **نوع من الاجتهاد** ينظر في المسائل التي جدت في هذا العصر .. بشرط أن يصدر ذلك عن مجامع موثوق بها لا عن أفراد لا يؤمن خطؤهم .. أو لا يبعد حيفهم ..

خذ مثلا مسائل **التأمين بأنواعه - وشهادات** الاستثمار بكافة صورها - **وأكل اللحوم** المستوردة **وفوائد البنوك - والفائدة على القروض** ..

وكل ما نشأ عن التقدم الاقتصادي من مشكلات كل هذه مسائل نسمع فيها آراء متعارضة وتنتشر فيها وجهات نظر مختلفة فماذا يصنع الرجل المسلم الحريص على دينه ؟

أليس من حقه على العلماء أن يفتوه بصراحة ويوجهوه بصدق ؟

وإذ قارنا جمود الحركة بما كانت عليه في الماضي - وجدنا ما يؤلم حقا - فشتان بين ماضي هذا الفقه وحاضره ؟

الفقه قديما :

تحرك الفقه الاسلامي قديما في مد متتابع لينهض بواجبه ويؤدي رسالته في مجتمع المسلمين على يد أعلام الصحابة والتابعين وتابعيهم - ثم ازدهر باجتهاد الأئمة الأربعة - الذين أخذوا يرصدون الأحداث ، ويسجلون الوقائع ، ويزنون القضايا .. ثم يجتهدون فيها ، وكانوا في عملهم هذا **متجاوبين مع مجتمعاتهم** ..ومع ما يجد من أحداث الحياة .

وكانت آراؤهم فقها دقيق الصياغة .. لأنهم كانوا يملكون وسائل الاجتهاد من علم بكتاب الله وسنة رسوله .. وتبصر بأوضاع المجتمعات ، ومعرفة باستنباط الأحكام ..

وقد وجدت **مدارس فقهية** لكل واحدة صبغتها واتجاهها .. وعلى رأس هذه المدارس - **مدرسة المدينة المنورة** وعلى رأس فقهائها عمر - وعلي رضي الله عنهما وعدد من التابعين بعدهم - وفي مكة وجدت مدرسة فقهية نبغ فيها مثلا عبد الله بن عباس وعدد من التابعين .. وكان أثر مدرسة المدينة في الفقه أجل وأعظم !!

فقد أنجبت الامام مالكا رضي الله عنه الذي صاغ الفقه **صياغة قانونية** تميز بها الفقه المالكي .. وعليه تتلمذ الامام الشافعي رضي الله عنه وهو من

هو في الفهم والذكاء وقوة الحجة ؟! .. ونجد مدرسة الكوفة في العراق التي تضارع مدرسة المدينة ، فقد أنجبت من الأعلام أمثال أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد .

ونجد مدرستي البصرة ومصر وهما أقل شأنا من سابقتيهما ، ومن فقهاء مصر **الليث بن سعد** رضي الله عنه وهو أستاذ الامام الشافعي ويقال : إنه أغزر فقها لولا أن أصحابه ضيعوه فلم يجمعوا فقهه !!

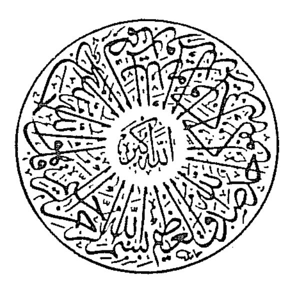
هذه المدارس كانت تستنبط الأحكام من الأصول ، وتمد الحياة بزاد طيب من الأحكام الملائمة ، وقد اجتهد أئمتها في قضايا عصرهم ، وحركوا عقولهم ، وتزودوا لهذا العمل الجليل بالعلم الواسع ، والاخلاص الدائب ، والمثابرة المحتسبة ، ورويت عنهم في ذلك الأعاجيب !! ، وقد وجدوا من **المصادر الأصيلة** في الشريعة معينا لا ينضب ، وبخاصة القرآن الكريم .. فكان عملهم فقها ، وآراؤهم قوانين ولم يدر بخلد واحد من هؤلاء الأعلام أن يجمد على مسائل عصر النبوة ، أو أن العصور لن تأتي بمسائل جديدة ، أو ان الفقه الموروث يغني عن اجتهادهم، أو أن مذاهبهم تسد الطريق على من بعدهم !! وإنما كانوا يفهمون أن الفقه يجب يتفاعل مع الحياة ، لتنمو في ظله وتزدهر ، وتصبح قضاياه متجددة تجدد البيئة ، متطورة تطور الأحداث ، لا أن تقف مكانها والحياة تسير ، أو تتجمد في موقعها والمجتمعات تتحرك ..

وكم من مسائل جدت لم تكن تخطر للأوائل على بال وبخاصة مسائل المال التي اتسعت وتكاثرت بتقدم الآلة وتحول المجتمعات .. ونشأت عن ذلك مسائل معقدة .. كحق العمل ، وقضايا العمال ، ومسائل الربا وهي مسائل كانت محدودة يسيرة في العهد الأول ، ولكنها تشابكت في هذه العصور .. ومن يدري ماذا يمكن أن تطرح الحياة من قضايا جديدة أخرى ؟!

نعم : لقد جدت مسائل خطيرة يجب أن يستفتى فيها أهل العلم،على رأسها كما أسلفنا أكل اللحوم المستوردة ، وفوائد الادخار ، والتزوج من الفتيات الأجنبيات في ذلك العصر ، وقضايا الأسرة المسلمة في ظل الحياة الحديثة وعمل المرأة وما إلى ذلك من مسائل لم تصدر بشأنها فتوى دقيقة تريح القلب وتطمئن الخاطر وتهدي الحيارى ..

وتجيء مسألة أخرى أخطر وأعظم .. هي تلك الفتاوي الفردية التي يصدرها أفراد على ساحة العالم الاسلامي وهي فتاوى تتناقض وتتباعد فتؤدي باختلافها إلى خلخلة الثقة في نفوس الجماهير ، حين يقرؤون رأيا يحل ورأيا يحرم ويحاولون استيعاب الأدلة فإذا هم بين فيض دافق وطوفان غامر لا يصل بهم إلى شيء لأن عقولهم أضيق من أن تستوعب ذلك كله ..

ثم إذا صدرت فتوى قديمة في مسألة ما ، وأصبحت تلك الفتوى لا تتفق مع روح العصر .. فهل نتعبد بها ونبقي



عليها ؟ علما بأنها لا تعدو أن تكون **وجهة نظر فقهية** لا أكثر ولا أقل .. هل نسبغ عليها القداسة فلا نتحول عنها ؟ وكأنها نص تشريعي ؟!!

لماذا لا نجتهد فيها اجتهادا جديدا يقربها من روح العصر حتى لا ييأس الناس من الدين ؟!

ابن القيم ومطابقة الفتوى لروح العصر

لنستمع بهذه المناسبة إلى ما يقوله الامام الجليل ابن قيم الجوزية في كتابه الرائع (إعلام الموقعين) وهو كلام يعتبر من الوجهة **الموضوعية ثورة على الجمود** والتزمت في مسائل الرأي . **يقول تحت عنوان** : « فصل في تغير الفتوى واختلافها بحسب الأزمنة والأمكنة والأحوال والفوائد » (ولعل اجتهاد عمر في قطع العطاء الذي جعله القرآن للمؤلفة قلوبهم كان في مقدمة الأحكام التي قال بها لتغير الزمن ، إذ توطد سلطان الاسلام برغم أن النص القرآني لا يزال ثابتا غير منسوخ ، **و من هذا** اجتهاده في عام المجاعة في وقف تنفيذ حد السرقة على السارقين وهو قطع اليد واكتفاؤه بتعزير السارق عملا لتغير الظروف التي أحاطت بالسرقة .

ومنها اجتهاده في منع تقسيم أراضي السواد في العراق ، وأراضي مصر والشام على المجاهدين الفاتحين الذين طالبوا بتقسيمها بينهم في إلحاح وإصرار كما تقسم الغنائم الحربية بعد إخراج خمسها لبيت المال ، محتجين في ذلك بظواهر نصوص القرآن والسنة **لكن عمر رضي الله عنه** خالفهم في ذلك **بحجة أقوى** فأمر حبس الأرض عن قسمتها بين الفاتحين وتركها في يد أهلها العاملين عليها يؤدون الخراج عنها لينفق منها على مصالح المسلمين ـ وأجمع معه المسلمون على ذلك .

وإنما كان ذلك منه رضى الله عنه تمسكا بدلائل النصوص الأخرى متبعا للمصلحة العامة وكذلك أخذ بهذا الرأي كبار الأئمة والمجتهدين بعد الصحابة) .أ.هـ

المواجهة الحاسمة

لقد قال عمر في مواجهة المجاهدين الذين يرون تقسيم الأرض عليهم : « قد أشرك الذين يأتون بعدكم في هذا الفيء فلو قسمته عليكم لم يبق لمن بعدكم شيء ، ولئن بقيت ليبلغن الراعي بصنعاء نصيبه من هذا الفيء ودمه في وجهه »

ثم يستطرد : في حجته الدامغة فيقول : فما يسد به الثغور ؟ وما يكون للذرية والأرامل ؟ ثم ينتهي إلى قوله المضيء : « لقد رأيت أن أحبس الأرض بعلوجها وأضع عليهم بها



الخراج وفي رقابهم الجزية »

هنا يبرز عمر رضي الله عنه رجل دولة ممتازا ، وفقيها جريئا ، ومجتهدا دقيق النظرة يناقش أدلة القوم ويرعى مصالح المسلمين ويحسم في الأمور بقوة المنطق والحجة والارادة جميعا ! فقد فهم الآية الكريمة من سورة الحشر(**ما أفاء الله على رسوله**) فهما محكما وناقش كبار الصحابة ومنح الدولة حلا واقعيا لمشكلة ناجمة أراد الجند أن يتجهوا بها نحو أنفسهم ولكن أنى لهم بعمر القوى المتين ؟!

الفقه ومواجهة الحياة

هكذا استطاع الفقه مواجهة الحياة فما بخل بعطاء ، وما ضن بفتوى ، لكن المشكلة ، لا تكمن في مرونة هذا الفقه ومقدرته على العطاء .. واستيعاب مشكلات الحياة ـ وإنما تكمن المشكلة في ضيق العقول ، وجهالة التطبيق ، وتنزي الأطماع !!

ومحال أن تزدهر شريعة إلا إذا ازدهر الفقه .. تمحيصا ودراسة وتطبيقا واستنباطا من الأدلة ، وكم نحن في حاجة إلى فقهاء مخلصين صادقين ـ قد تزودوا للفقه بالعلم الواسع والتجربة الرائدة ، والاخلاص لله ـ

إن الحكمة الالهية قد اقتضت منفعة البشر ، **فحيثما توجد مصالح الناس فثم شرع الله** وهذه المصلحة لا تتحقق على وجهها السليم إلا إذا راعينا أن المصلحة والمضرة تختلفان من حال إلى حال ، ومن شخص إلى شخص ، ومن عصر إلى عصر ولهذا كان الاجتهاد التطبيقي أمرا واجبا على مر الزمن واختلاف العصور لا يعفى منه جيل من الأجيال ..

تقدير المصالح :

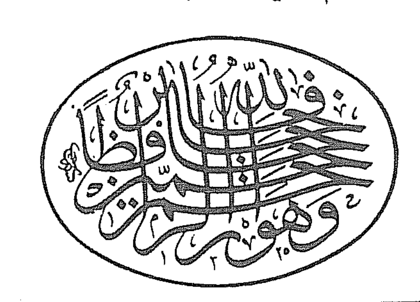
يقول الشاطبي في الموافقات : « إن الشأن في معظم المنافع والمضار أن تكون إضافية لا حقيقية فهي منافع أو مضار في حال دون حال وبالنسبة لشخص دون شخص وفي وقت دون وقت » ومن هنا كان تقدير المصالح ورعاية الظروف من أهم الأسس في فقه الأحكام ـ وانظر إلى المرونة الفقهية لترى أئمتنا العظام ومدى مطابقة الفقه الاسلامي على أيديهم لظروف المجتمعات .

يقول العز بن عبد السلام « لو عم الحرام في بلدة بحيث لا يوجد فيها حلال ، جاز أن نستعمل من ذلك ما تدعو إليه الحاجة ولا يتوقف تحليل ذلك على الضرورة لأنه لوتوقف عليها لأدى إلى ضعف المسلمين ، واستيلاء الكفار وأهل الفساد على بلاد الاسلام ، ولا نقطع الناس عن الحرف والصنائع والأسباب التي تقوم بمصالح الأنام » .

ومغزى هذا الكلام : أن شريعة الله

ثابتة ترقب ما يستجد من أحداث الحياة وقضاياها من مرقاها العالي مرسلة ضوءها في كل اتجاه ، لتغمر الحياة كلها بالنور ، ولا تدع قضية من القضايا الجديدة إلا فصلت فيها وقالت قولا سديدا **يقول الأستاذ** العقاد في كتابه حقائق الاسلام وأباطيل خصومه : (إن التشريع الاسلامي لا يقف في طريق رأي صالح – وإن تلك الزعازع التي تمخضت عن حوادث القرن العشرين ينظر إليها التشريع الاسلامي وهو ثابت على قراره المكين فلا يمنع صالحا منها أن يثبت صلاحه ، ولا يدع فاسدا أن يطغي بفساده **طغيانا لا رجعة فيه** ، وقوام الأمر فيما يبيح ويمنع مرجع **واحد ثابت** على الزمن ثبوت الجماعة البشرية – وهو المصلحة العليا التي يتقدم فيها الكثير على القليل ويتقدم حساب الزمن الطويل على القصير »

وهذا كلام في غاية الجودة – لأنه يجعل الأساس الذي يصدر الحكم على القضايا والحوادث تشريعا ثابتا لا يتبدل ولا يتغير وهو النصوص المقدسة من كتاب الله وسنة رسوله . ويجعل للعلماء دورهم في تطبيق الأحكام وفي استنباطها من تلك



النصوص وكل ما جدّ من قضايا وحوادث في القرن العشرين يمكن الفصل فيها على هذا الأساس .. وذلك بأن يجتهد فيها العلماء ويوجدوا لها وجهة في النصوص الشرعية مراعين مصلحة الجماعة بوصفها جماعة لا مصلحة الفرد وهنا يبرز التشريع الاسلامي مصدرا من مصادر الفتوى لا يعتريه تغيير ولا تبديل لأنه كالمصباح يوزع الضوء وهو ثابت .. أو قل كالشمس ترسل ضوءها هنا وهناك وهي ثابتة ..

والعلماء المجتهدون عليهم أن يستمدوا من هذا الأصل الثابت ما يغطي قضايا الحياة الجديدة – فيستنبطوا لها الأحكام من هذا الأصل الثابت وهذه الأحكام المستمدة هي الفقه – وهذا الفقه متجدد لا محالة أو ينبغي أن يكون متجددا متطورا .. وهكذا ; الشريعة ثابتة – والفقه متجدد وبذلك يكون الاسلام جامعا بين عنصري **الأصالة والتجدد** الأول يتمثل في الشريعة ، والثاني يتمثل في الفقه المتجدد مع الزمن .

يقول الدكتور فرج السنهوري في بحث نشرته له الجامعة العربية متحدثا عن هذا المعنى « الفقه الاسلامي فقه محصن ، لا تقل عراقته في ذلك عن عراقة القانون الروماني ولا تقل عنه في دقة المنطق ومتانة الصياغة وقابلية التطور – وهو مثل صالح لأن يكون قانونا عالميا بل كان بالفعل يوم امتدت دولة الاسلام من أقاصي البلاد الآسيوية إلى ضفاف

وجوب الاهتمام بالفقه والاجتهاد في الأحكام

كما بدأت مقالي بضرورة يقظة فقهاء المسلمين ليعيدوا إلى الفقه الاسلامي مجده، يوم كان نبعا فوارا يسقي شجرة الحياة .. ويضفي عليها الخير والبركة، ويغمر أحداثها بفيض من الفتوى والتوجيه فإني هنا أؤكد على هذا الأمر .. كي يتصل حاضر هذه الأمة بماضيها فلا تنقطع السلسلة .. وهذا يدعونا إلى التفكير في برامج الجامعات التي تخرج الفقهاء .. وذلك بجعلها متضمنة للدراسات المنهجية والمقارنة التي تكون رأي الفقيه، وتنشيء عنده ملكة الاجتهاد والاستنباط .. وإذا: فلا بد لهذه الجامعات المتخصصة أن تعنى بالدراسات التطبيقية العملية .. بل الميدانية وأقول **الميدانية** وأصر عليها لتبرز ناحية هامة في تكوين **الفقيه** .. ألا وهي الروح العملية .. التي تجد في مسائل الحياة الجديدة **برنامج عمل موصول** - لا أن تظل حبيسة الحواشي والموسوعات .. فلا تخرج في منهجها عن الطابع « الأكاديمي » .. فهذا الجانب مع أهميته لا بد أن يقترن بالتطبيق !!

وبذلك يرتبط الفقه بالحياة أكثر فأكثر .. فيكون في مصلحة البشر .. وفي صالح الحياة .. من ثم **تزدهر** الحياة بالفقه .. وتستمد منه الحيوية والمرونة .. كما أن **الفقه يزدهر بالحياة** لما تمده به من أحداث وقضايا تطرحها كل يوم في رحلتها الدائمة والمستمرة .. فلا يحس الفقهاء بضيق الحيز ولا بكزازة المجال .. لأنهم واجدون كل يوم جديدا بما تطرحه الحياة من مسائل جديدة .. وما دامت للفقه هذه الحيوية فسيظل مهيمنا على الحياة يضبط مسيرتها، ويصحح أخطاءها، ويقوم عوجها .. ويمنع عنها تلك الفتاوى الفردية المرتجلة الصادرة من غير ذوي التخصص وتلك إحدى الكوارث التي مني بها الفقه في هذا الزمان **ومن عجائب الأمر** أن الناس متفقون على توقير التخصص في كل المجالات إلا مجال الفقه الاسلامي فترى الطب تخصصا، والهندسة تخصصا، وكذلك سائر الفنون .

وأنت تحترم هذا التخصص فلا تذهب بمريضك إلى مهندس، ولا تطلب من الطبيب أن يخطط لك بناء عمارة مثلا ..

وننظر إلى الفقه فنرى مائدته رحبة تتسع لكل متطفل فيقول فيه من لم يتهيأ له .. ومن لم يعرف من الكتاب والسنة إلا أقل القليل .. تراه يفتي وترى الجماهير الغافلة تسمع له وتنقل عنه .. ويأبى الفقه إلا أن يكون تخصصا .

من حقك أن تتعلم الفقه - ولكن ليس من حقك أن تفتى في دين الله إلا إذا كنت متخصصا والله عز وجل يقول : « **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم**

لا تعلمون » النحل/ ٤٣
وهنا أمر آخر لا بد من الاشارة اليه آخر هذا المقال .

وهو أنه مما يؤلم النفس ويؤرق الضمير أن نرى مجامع الفقه لا تتعاون فيما بينها لوجود خلافات بين بلد وبلد .. وقطر وقطر .. أقول مما يؤلم النفس .. لأن دين الله ينبغي أن يضمد الجراحات ويزيل الخلافات ويجمع الشمل الشتيت .. لا أن يقر هذا الانفصام النكد بين البلاد الاسلامية والعربية !!

يجب أن تزول العوائق بين مجامع الفقه في شتى أقطار العالم الاسلامي الكبير .. لتتصل هذه المجامع وتتدارس المسائل .. وتهذب الوسائل بعيدا عن الخلافات المفرقة وعن النفوس وأهوائها .. يجب أن يكون شعارنا :

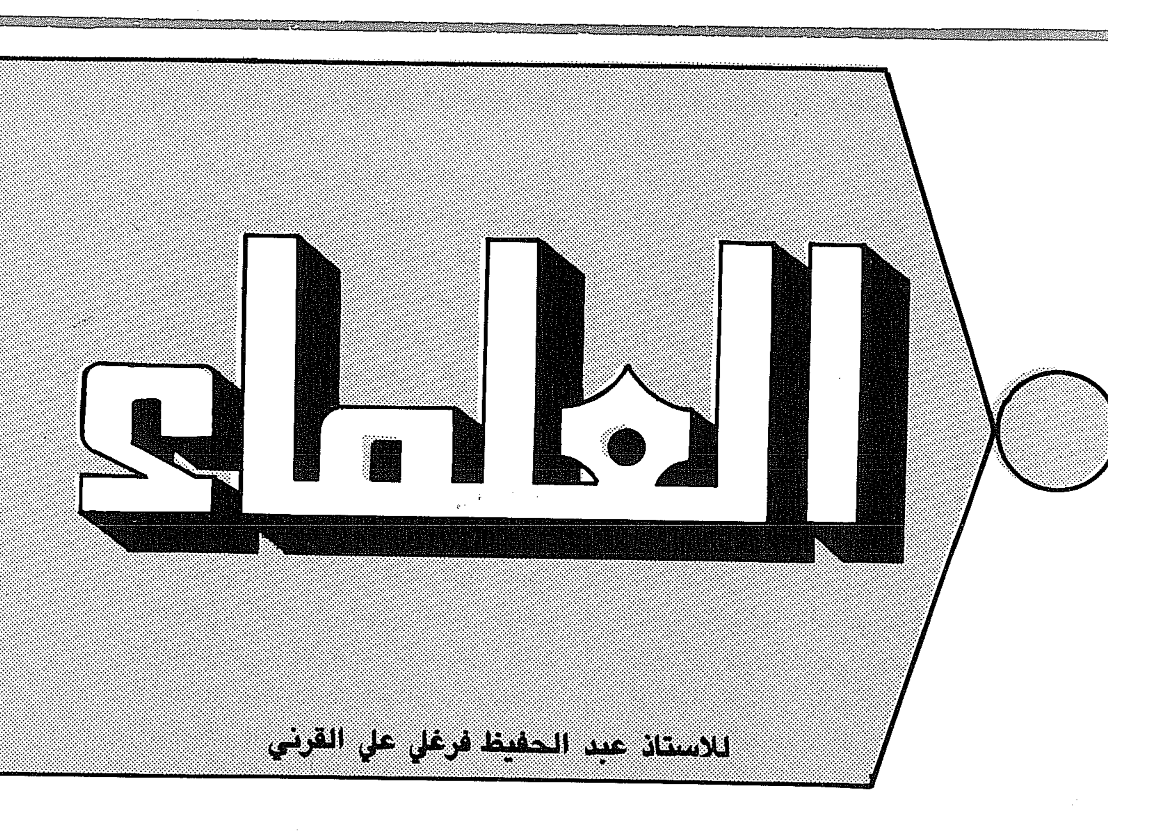
تعالوا نجدد دارس العهد بيننا
كلانا على هذا الجفاء ملوم !!

وما أروع أن تنشأ مجامع على مستوى كل بلد إسلامي .. ثم يكون هناك تنسيق بين هذه المجامع . ثم لقاءات محددة تتيح إصدار الأحكام الفقهية مدروسة .. قد تجمعت لها عوامل القوة .. وإجماع الأمة وهذا أروع كسب لدين الله

ولنسم هذا المجمع الموسع « مجمع المجامع الفقهية »

يقول الدكتور فرج السنهوري في المقال الذي سبقت الاشارة إليه آنفا : « يجب الاهتمام بإحياء الفقه الاسلامي وفتح باب الاجتهاد فيه ، لأن ذلك جدير أن يثبت قانونا حديثا **لا يقل في الجدة** ومسايرة العصر عن القوانين اللاتينية والجرمانية ويكون هذا القانون مشتقا من الفقه الاسلامي الصرف ، لقد أتاح لي اطلاعي على نصوص هذا الفقه سواء أكانت مقننة كما في المجلة ومرشد الحيران ، أو كانت معروضة عرضا فقهيا كما في أمهات الكتب ومختلف المذاهب ـ أتيح لي أن ألحظ **مكانة هذا الفقه وحظه من الأصالة والابداع** وما يكمن فيه من قابلية التطور » إن هذا المفكر الاسلامي لا يدعو فقط إلى تكوين المجتهد المسلم ـ وإنما يتجاوز ذلك إلى مهمته فهي مهمة مزدوجة : **أولاها** إصدار الأحكام الفقهية على القضايا الجديدة التي أشرنا إليها أو إلى بعضها فيما مر ـ **وثانيها** : تقنين هذه الأحكام وإبرازها على شكل قانون يحكم العالم الاسلامي في اتجاهاته الفقهية .. وهذا الهدف هو المعروف **بتقنين الشريعة** لتكون وجهتها عالمية كما أراد لها رب العباد الذي جعل من الاسلام دينا عالميا ينتظم الجماعة الانسانية على اختلاف أقطارها وديارها **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .**

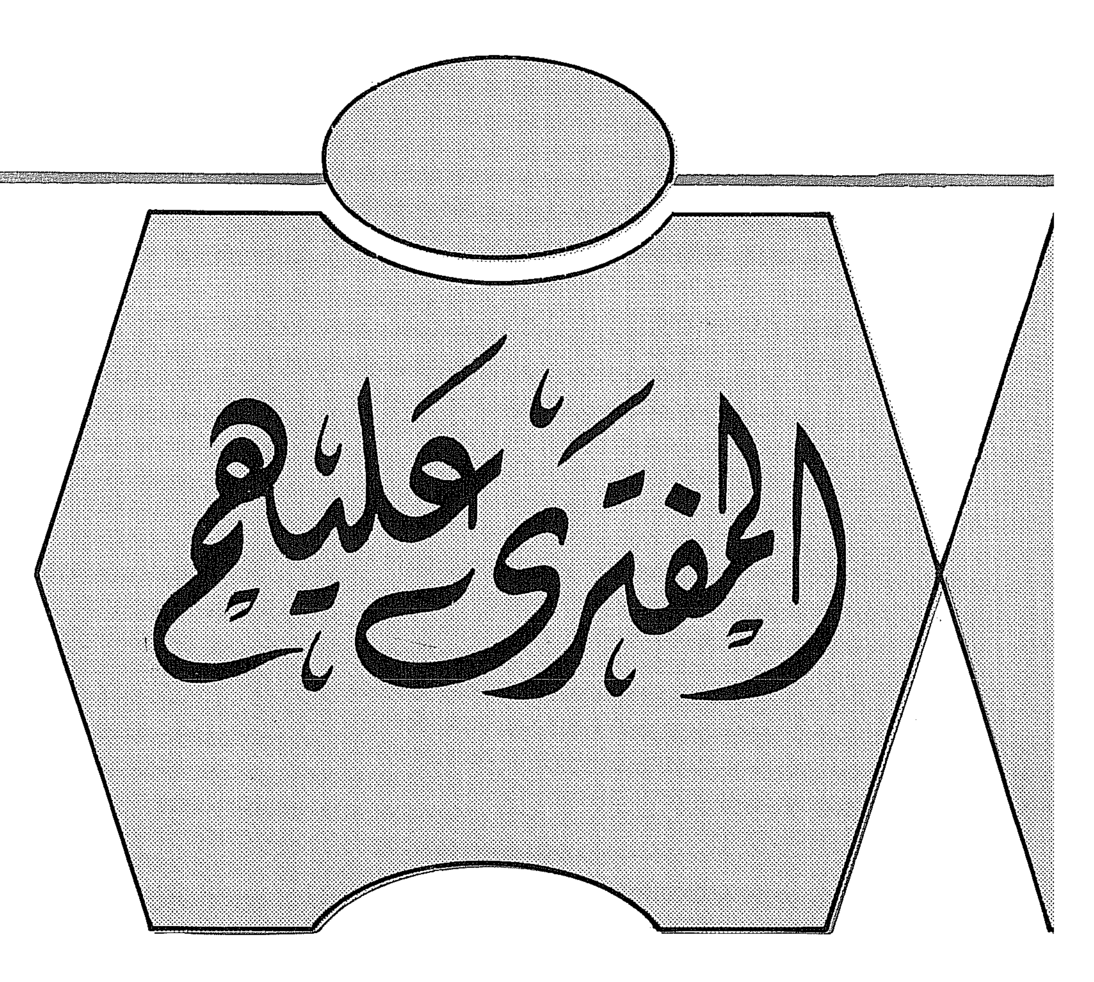




قال تعالى : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زُخْرُفَ القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون . ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون » الأنعام ١١٢ ، ١١٣ .

هذا بيان معجز يلقى الينا في تقرير دامغ أن الافتراء على النابهين والشرفاء من ظواهر هذه الحياة ، هو محنة يتعرض لها كل من وضعه الله جل وعلا في مكان القمة والقيادة وكأنه بذلك يؤدي ضريبة النجاح والنبوغ والتفوق .

ولأن الأنبياء قدوة عليا لأممهم كان ابتلاؤهم في ذلك ضاريا ، وكان أشدهم ابتلاء هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد تعرض لألسنة الحاقدين وافتراء المفترين فقالوا عنه ساحر . وقالوا عنه مجنون وقالوا عنه شاعر وقالوا عنه كاهن ، وقالوا عنه مغامر يطلب ملكا ومتطلع يريد شهرة ، وقد ألقى القرآن الكريم الضوء على كل ذلك فقال : « فَذَكِّرْ فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون . أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون . قل تربصوا فإني معكم من المتربصين . ام تامرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون . أم يقولون تَقَوَّلَهُ بل لا يؤمنون . فلياتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » الطور ٢٩ : ٣٤ .



وعلى قدم الانبياء سار العلماء ، فالعلماء ورثة الانبياء كما جاء في الاثر الكريم وكلما ارتفع سهم العالم واتسعت شهرته وعظمت منزلته كثرت سهام المعارضين له الناقمين عليه الحاطين من شأنه وتلك حكمة عالية فطن لها الشاعر العباسي المشهور ابو تمام حيث قال :

وإذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

والحسد داء قديم في النفوس ، والحقد كذلك مرض من الأمراض الخبيثة التي تعاني منها المجتمعات قديمها وحديثها ، وربما حقد المبتلى به على اقرب الناس له وأحبهم اليه وأكثرهم احسانا له وعطفا عليه حتى قال المجرب الحكيم : جبلت النفس الخبيثة على الاساءة الى من أحسن اليها ، وفي قول آخر : اقسمت النفس الخبيثة الا تموت قبل ان تسيء الى من أحسن اليها ، وكم أحسن الصديق رضي الله عنه إلى مسطح فكان مسطح من الضالعين في الإفك فأقسم أبو بكر ـ وهو بشر من حقه ان يغضب ويثور لعرضه وكرامته ـ ألا يساعد مسطحا بعد الآن ، ولكن القرآن الكريم نزل موجها أبا بكر الى ما هو أفضل وأكمل فقال « **ولا يأتل اولو**

الفضل منكم والسعة ان يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » النور ٢٢ .

والحسد والحقد كلاهما يزينان لصاحبهما السوء ويحملانه على أن يرتكب في حق المحسود الكثير من الافتراءات حتى يغض من شأنه ويحط من قدره اما طمعا في أن ينال من منزلته او إرضاء لشهوة الحقد التي تستعر في فؤاده .

أمثلة من الافتراءات

ولنضرب لذلك مثلا ، تعرض القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات المشهورة والمتوفى سنة ٥١٦ هـ لحملة من الافتراء ، وذلك حين استطارت شهرته وارتفعت منزلته ، عظم على منافسيه والحاقدين عليه ميل أولى الأمر اليه ، فافتروا عليه انه لا شأن له بالأدب وأن محصله منه انما هو من صنع غيره وقد وقع في يده فنسبه لنفسه . قال ياقوت في معجم الأدباء : حين أنشأ الحريري المقامة الحريرية عرضها في بغداد على أبي شروان بن خالد الوزير فاستحسنها وقربه ، ولكن اتهمه من يحسده بقوله : ليست هذه من عمله لأنها لا تناسب فضائله ولا تشاكل الفاظه ، وقالوا هذا صاغه رجل كان قد استضافه ومات عنده فادعاها لنفسه ، وقال آخرون : بل العرب اخذت بعض القوافل وكان مما أخذ جراب بعض المغاربة وباعه العرب بالبصرة فاشتراه الحريري وادعاه لنفسه ، فإن كان صادقا في أنها من عمله فليصنع مقامة أخرى ، فقال : نعم ساصنع ، ويبدو أنه وقع تحت تأثير نفسي وحرج شديد ترك أثرا سيئا حال بينه وبين ما يريد فقد عكف على الإنشاء فترة مستطيلة فلم يتهيأ له تركيب جملتين والجمع بين لفظتين وسود كثيرا من - الاوراق - فلم يصنع شيئا ، فعاد الى البصرة كاسف البال والناس يقعون فيه ، فما غاب الا مدة حتى عمل عشر مقامات وأضافها إلى تلك وأصعد إلى بغداد ، فحينئذ بان فضله وعلموا أنها من عمله .

وافحام الحريري ليس غريبا فكثيرا ما يفحم العلماء وكثيرا ما يرتج على الخطباء ، وقد أفحم أبو علي القالي صاحب كتاب الأمالي حين وفد على بلاط عبد الرحمن الناصر ، وطلب أن يلقى القالي خطابا في حفل الاستقبال الذي يقام لملك الروم بقصر قرطبة جريا على عادة الدولة وإظهارا لعظمتها ، وقد اختير القالي لهذه المهمة بناء على منزلته الأدبية والعلمية التي وصل اليها بجدارة فائقة فقام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم انقطع وبهت فما وصل إلا قطع ووقف ساكتا متفكرا فلما رأى ذلك منذر بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة بقرطبة قام قائما بدرجة من مرقاة أبي عليّ ووصل افتتاحه بكلام عجيب بهر العقول جزالة وملأ الاسماع جلالة .

قال محقق كتاب الأمالي في مقدمته : ولم يكن إرتاج أبي على في هذا الموقف العظيم

الأول من نوعه فقد أرتج على كثير من خلفاء الاسلام وملوك البيان فأول خطبة خطبها سيدنا عثمان بن عفان الراشد أرتج عليه فقال : أيها الناس إن أول كل مركب صعب وإن أعش تأتكم الخطب على وجهها وسيجعل الله بعد عسر يسرا إن شاء الله .

ولما قدم يزيد بن أبي سفيان الشام واليا عليها خطب الناس فأرتج عليه ، فقال : يأيها الناس عسى الله أن يجعل بعد عسر يسرا وبعد عي بيانا وانكم إلى إمام فاعل أحوج منكم إلى إمام قائل ثم نزل ، فليس غريبا أن الحريري حين يرى التحدي من حوله ويرى الأعين تتطلع اليه ، والأدب لا يأتي تكلفا مثلما يأتي بالطبع وانسياب الخاطر حتى قال القائلون : إن للشاعر وحيا وللأديب الهاما ، وفي الجاهلية كانوا يسمون هذا الوحي والإلهام بالشيطان الذي ينفث على لسان الشاعر بما يريد .

مثل آخر : وافترى المفترون على المتنبي الشاعر بادعاء النبوة أولا ، فلما لم يجدوا لهذه الدعوى بينة تقيمها وحجة تثبتها اكثر من قوله :

أنا من أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

عادوا يقولون : قولا آخر ، فاتهموه بالتلفيق والسرقة من الشعراء والإبهام والغلو وغير ذلك مما حدا بالغيورين على الادب ان يدافعوا عنه ، ومن هؤلاء القاضي ابو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٦ هـ الذي ألّف كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه قال في مقدمته كلمة انصاف للعلماء جميعا منها : « التفاضل داعية والتنافس سبب التحاسد ، واهل النقص رجلان رجل أتاه التقصير من قبله وقعد به عن الكمال اختياره فهو يساهم الفضلاء بطبعه ويحنو على الفضل بقدر سهمه ، وآخر رأي النقص ممتزجا بخلقته ومؤثلا في تركيب فطرته فاستشعر اليأس من زواله وقصرت به الهمة عن انتقاله فلجأ الى حسد الأفاضل واستغاث بانتقاص الأماثل .... الى ان قال : وللفضل آثار ظاهرة وللتقدم شواهد صادقة ، فمتى وجدت تلك الآثار وشوهدت هذه الشواهد فصاحبها فاضل متقدم فان عثر له من بعد على زلة ووجدت له عقب الاحسان هفوة انتحل له عذر صادق او رخصة سائغة ، فإن أعوز قيل : زلة عالم ، وأي الرجال المهذب ؟

● **من أسباب الافتراء** : وربما كان الدافع الى الافتراء طلب الشهرة ، فكثيرا ما يلجأ المغمورون الى المشهورين فيرمونهم بقوارص الكلم وفظائع التهم كما يلجأ القميء الى القمة فيرجمها بحجر حتى يلفت الناس اليه ، وكثيرا ما يثوب بعض هؤلاء الى رشدهم فيرجعون عما قالوا ويستغفرون مما اساءوا .

وكم ظلم النقد في مطلع هذا القرن امير الشعراء احمد شوقي وشاعر الشعب حافظ ابراهيم ، ورماهما بقوارص الافتراء واتهمهما بالرجعية والتقليد ثم عاد بعد ذلك تائبا نائبا يعرف لهما حقهما ويحفظ لهما فضلهما .

● **في مجال العقيدة** ؟ فاذا ما تطرقنا الى مجال العقيدة وجدنا الافتراء ينسج خيوطه القاسية البغيضة حول بعض الذين اشتهروا بالصلاح والتقوى فيبدىء

ويعيد ، فقال ما قال حول محيى الدين بن العربي والحلاج والشاذلي والشعراني وغيرهم ممن عرف الناس فضلهم وعلو منزلتهم .

في العصر الحديث :

هذه مقدمة لا بد منها لنصل الى ما يريده البعض الآن من هدم القمم الشوامخ ، وإثارة الشبهات حول مواقف سلفنا الصالح عن طريق التشكيك في مواقف جمال الدين الافغاني الذي شهد له العصر بالنزاهة والصدق والاخلاص وحسن الجهاد في سبيل الانسانية والمثل العليا .

من هو جمال الدين ؟

هو كما يقول المرحوم أحمد أمين في كتابه زعماء الاصلاح في العصر الحديث : افغاني الأصل شريف النسب ينتمي إلى الحسن بن علي رضي الله عنه ، جمع الى شرف النسب عزة السيادة فقد كان اهل بيته سادة على عمل من اعمال افغان ، تعلم كما يتعلم شباب زمانه في بلاده،الفارسية والعربية على طريقة تشبه الطريقة الازهرية ولا تمتاز عنها الا بدراسته الواسعة في الفلسفة الاسلامية والتصوف كما هي عادة الفرس الى اليوم ، ودرس في الهند الرياضة على الطريقة العصرية ، وساح سياحة طويلة في الأقطار الاسلامية الى مكة فأكسبه ذلك تجارب عملية واسعة وخبرة بحياة الشرق ، وتعلم الفرنسية وهو كبير ولكنه اتقنها الى حد ما ، ووهبه الله ذكاء حادا وبصيرة نافذة وقدرة على استقصاء الأفكار ودقائق المعاني وحسن التعبير عنها ، مع لسن في الجدل وحذق في الحجة اما اخلاقه فسلامة القلب والحلم الواسع الذي ينقلب الى غضب شديد اذا مس شرفه او دينه ، كريم يبذل ما في يده ، قوي الاعتماد على الله ، لا يبالي ما تأتي به صروف الليالي .

هذه إلمامة يسيرة مستخلصة مما دونه العلامة احمد امين عن (**الافغاني**) .

أما رسالته التي وهب نفسه لها فيلخصها لنا المؤرخ الثبت المرحوم عبد الرحمن الرافعي في كتابه عنه الذي صدر في سلسلة اعلام العرب رقم٦١ ، اذ قال في المقدمة : اذا ذكر الزعماء والمصلحون في الشرق كان هو رائدهم وكان في طليعتهم نهض والناس نيام فكانت دعوته اول نداء دوى في الآفاق أهاب بالأمم الشرقية ان تتحد وتتعاون وتحارب الاستعمار وتقاومه وتحذر اساليبه ومكايده وان تتخلص من النظم الاستبدادية الداخلية التي درج عليها الملوك والرؤساء وتحرر العقول والعقائد من نزعات الجمود والركود وتنطلق الى آفاق الحرية والعلم واليقظة والرقي ، فكانت دعوته التي عاش عليها ومات وغرس فيها افكاره ومبادئه مبعث الحركات القومية التي ظهرت في ارجاء الشرق حينا بعد حين خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

ظل الشرق قرونا وأجيالا رازحا تحت نير الاستعمار والجمود الفكري والتأخر العلمي والسياسي الى ان قيض الله له الحكيم الافغاني فنفخ فيه روح اليقظة والحياة وأهاب بالنفوس ان تنهض وتتحرك وتستيقظ وبالأمم والجماعات ان تتطلع الى الحرية فكانت رسالته الى الشرق مبعث نهضته الحديثة .

كان الأفغاني مصلحا دينيا وفيلسوفا حكيما وزعيما سياسيا جمع بين الزعامات الروحية والفكرية والسياسية واضطلع بكل ذلك معا ، وكان له اثر واضح في كل منها .

الأفغاني في مصر :ـ

طوف الأفغاني في البلاد الاسلامية مصلحا ومنبها ولكنه حين هبط مصر وجد التربة الصالحة الخصبة ولذلك جاء نزوله فيها ـ كما يقول الدكتور ابراهيم العدوي في كتابه عن رشيد رضا ـ : فاتحة عهد عظيم في يقظة الشرق وبناء معهد الدراسات العليا لتخريج القادة وزعماء الاصلاح في شتى ميادينه ، اذ سبق لهذا الاستاذ الكبير أن حاول بذر بذور الاصلاح في البلاد التي طاف بها ولكن دون ان يرى لها نبتا ، ولكن ما أن حل مصر حتى وجد تربتها مهيأة للإصلاح مثل تهيئتها للزراعة ، ولذلك امتدت إقامته في مصر حتى بلغت ثماني سنوات كانت من خير السنين بركة على مصر والعالم العربي .

ولقد ظن الحكام ان إبعاد الافغاني عن مصر سوف يضمن لهم الهدوء والاستقرار ولكن خاب ظنهم فقد استمرت شعلة الاصلاح بعده على يد تلاميذه مشتعلة وهاجة وكان تلميذه الاول وصديقه الحميم الشيخ محمد عبده مثلا اعلى في الكفاح والجهاد ، حافظ على المبادىء التي رسمها مع استاذه الافغاني وسار على دربها ، حتى آتت أكلها على مرور الأيام ناضجة شهية ، ولقد صرح الأفغاني بذلك في أثناء مغادرته مصر فقد قال : مصر أحب بلاد الله إليّ ، وقد تركت لها الشيخ محمد عبده طودا في العلم والحكمة وعلو الهمة .

وإليكم طائفة من أقوال هذا الرجل الحكيم التي تشف عن نفسه وخلقه وفكره وعقيدته :

● في مجال الدفاع عن اللغة والتاريخ يقول : لا جامعة لقوم لا لسان لهم ، ولا لسان لقوم لا آداب لهم ولا عز لقوم لا تاريخ لهم .

● في التحذير من الفرقة يقول : شر أدواء الشرق داء انقسام أهله وتشتت آرائهم .

● في الدعوة إلى الحرية يقول : اذا صح أن من الاشياء ما ليس يوهب فأهم هذه الأشياء الحرية والاستقلال ، لأن الحرية الحقيقية لا يهبها الملك أو المسيطر عن طيب خاطر وكذلك الاستقلال بل هاتان النعمتان إنما حصلت وتحصل عليهما الامم بالقوة والاقتدار .

● في الدعوة إلى القوة يقول : لا خير في حق لا تدعمه قوة . أضعف ما في هذا العصر حق لضعيف لا قوة له . وأقوى شيء باطل لقوى يجعل باطله حقا .

● في مجال العقيدة يقول : من اعتقد الا حياة الا هذه الفانية فقد خسر الأولى والثانية .

من عجز عن إصلاح نفسه كيف يكون مصلحا لغيره ؟

الاستعمار يخشى جمال الدين :

لقد كان الاستعمار يرهب جمال الدين الافغاني ويرقب تحركاته ، وكان هو لا يهادن الاستعمار كان إلبا عليه في كل مكان ولذلك لم يستقر به المقام في قطر من الأقطار .
كان ينظر الى المستبدين من الحكام نظرته ، الى المستعمر ، ولم يخش بأس واحد منهم وهو يعلم ما يكنونه له من حقد ويجمعون له من كيد .
تحاور مع السلطان عبد الحميد ذات يوم وكان الأفغاني يأمل ان يرشد السلطان في اصلاح الدولة ، فكلمه بصراحة وشدة وهو يحرك حبات سبحته فقال له رئيس الامناء بعد انتهاء المحاورة : إن اجلال السلطان لحضرتك لم يسبق له مثيل واليوم رأيتك تخاطبه وأنت تلعب بالسبحة في حضرته . فقال الافغاني : سبحان الله ، إن السلطان يلعب بمقدرات الملايين من الأمة وليس من يعترض منهم ، أفلا يكون لجمال الدين حق في أن يلعب بسبحته كيف يشاء ؟
وكان من الطبيعي أن تتكاتف المؤامرات على حياة الأفغاني للتخلص منه ، انه مات عقب إجراء عملية جراحية ولم تبتعد الشبهات عن هذه العملية الجراحية التي انتهت بوفاته في تركيا في ٩ مارس سنة ١٨٩٧م ودفن بغير اكتراث فيها .
وترك جمال الدين الافغاني افكاره ومبادئه في نفوس تلاميذه ومريديه وعارفي فضله من أمثال الشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا وعبد الله النديم وأحمد لطفي السيد ومئات غيرهم ممن تولوا رسالة الاصلاح بعده .

ماذا يريد المفترون ؟

والآن بعد مضى ما يقرب من قرن على وفاة الأفغاني تطالعنا احدى المجلات بسلسلة مقالات عن الأفغاني يحاول كاتبها أن يشكك في هذه الشخصية الاسلامية الكبيرة ،وينسج حولها الافتراءات فيصف الافغاني بأنه غير متدين حقيقة وبأنه كان ينظر الى الدين على أنه مجرد دافع للجماهير لتحصل على الاستقلال وبأنه كان يخرج على الدين جهارا .

وكم بين هذه الافتراءات من تناقض .

ان هذه الاوصاف التي افتريت على الرجل تناقض حقيقته التي عرف بها فقد عرف بالنزاهة والاخلاص وعمق العقيدة والتفاني في سبيل الخير والنفع العام .

الأفغاني ورينان :

وأي دلالة على عمق عقيدته من تصديه للرد على المستشرقين الذين حاولوا النيل من الاسلام ومن تعرضه للرد على الدهريين ؟

فقد جرت في باريس أبحاث بينه وبين الفيلسوف الفرنسي رينان في العلم والاسلام ، حين زعم رينان في محاضرة القاها ان الاسلام لا يشجع على العلم والفلسفة والبحث الحر ، وقد نشرت جريدة فرنسية هذه المحاضرة ورد عليها الأفغاني ردا مفحما يدل على عمق في العقيدة وقوة في الايمان وتفهم كامل لحقائق الدين ، وقد أكبر رينان ـ كما يقول الرافعي ـ هذا الرد ، فالتقى بالأفغاني وتباحث معه وقال : كنت أتمثل أمامي عندما كنت أخاطبه أنه ابن سينا أو ابن رشد أو واحد من أساطين الحكمة الشرقية .

كما رد على ما كتبه الدهريون والطبيعيون ونشر في ذلك رسالة بالغة الحجة قوية الدلالة .

لقد عاش جمال الدين الأفغاني ـ كما قال الدكتور جابر قمحية في مقال له بصحيفة الأهرام القاهرية ـ لفكره وعقيدته ولم يتعيش بفكره وعقيدته عاش عمره يضرب في أنحاء الأرض ينثر بذور الاصلاح ويلهب المشاعر وينتصر للعقل في وضوح ، ولو تنازل عن قطعة من كرامته ولو باع ضميره ولو للحظة واحدة لوجد آلافا يغلونه الثمن ، بل كم من أمراء وحكام كانوا على استعداد أن يشتروا سكوته بثروات طائلة ، ولكنه آثر عذاب الجهاد وجوع الليالي ومفارقة الاوطان على استكانة الدعة وسلام الاذلاء فعاش فقيرا ومات فقيرا فهل هذه حياة رجل يعيش على حساب التدين ؟ وهل هذا أسلوب رجل مزعزع العقيدة ؟

ان التدين الحقيقي يعلم صاحبه كيف يكون الثبات على الحق والاستبسال والشرف والشجاعة والتضحية من أجل الدين انهم يريدون التشكيك في تراثنا وعقيدتنا عن طريق التشكيك في أبطالنا وعلمائنا وسلفنا الصالح فإن الشك اذا تطرق لواحد تعداه الى غيره ثم الى غيره وهكذا حتى ينفرط عقد احترام القمم ، ويضعف الايمان بالقيم ، ويتبدد الايمان من النفوس وتهتز الثقة في القلوب ونصبح أمة بدون تاريخ ، امة تائهة القصد ضائعة الهدف .

انه الحقد الذي تتنزى به قلوب بعض الناس فيحاولون كذبا باسم الحقيقة ان يلفقوا التهم للأبرياء وان يفتروا على الأتقياء الشرفاء ولكن هيهات فإن مثلهم كمثل الذي يعنيه الشاعر :

كناطحٍ صخرةً يوما ليوهنها　　فلم يضرْها وأوهى قرنه الوعل

الفتاوى

احد الفدائيين كتب رسالة يقول : سقط بعض الزملاء شهيدا في معركة مع العدو وقمنا بدفنه من غير تغسيل . وكان واحد من الزملاء قد جرح ودخل المستشفى وبعد أسبوع توفي ولكنهم غسلوه فلماذا ؟ مع انه شهيد كإخوانه السابقين الذين ماتوا أثناء المعركة ؟

● اعلم يا أخي أن الشهيد الذي قتل في المعركة لا يغسل باتفاق وفي ذلك نص مروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لا تغسلوهم فان كل جرح أو كل دم يفوح مسكا يوم القيامة وقد أمر صلى الله عليه وسلم بدفن شهداء أحد في دمائهم ولم يغسلوهم

اما من جرح وعاش مدة تعتبر حياته بها مستقرة فإنه شهيد ولكن يغسل لما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم غسل سيدنا سعد بن معاذ وقد أصيب بسهم قطع عرق يده فحمل إلى المسجد فلبث فيه أياما ولما إنتفخ الجرح مات شهيدا ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم غسله وصلى عليه . إذا فقتيل المعركة أو من مات بعد لحظات من المعركة لا يغسل وغيره يغسل أما الصلاة على هؤلاء فيرى البعض عدم الصلاة لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ويرى البعض انهم يصلى عليهم لأن الصلاة رحمة وزيادة في الأجر فلا يحرمون منها .

هناك نوع آخر من الشهداء مثل من يموت بطعنة خيانة ومن يموت بسبب الحريق أوالغرق أو حادث سيارة أو طائرة والمرأة التي تموت وقت الولادة فهؤلاء يغسلون ويصلى عليهم وقد غسل المسلمون سيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا عليا رضي الله عنهم أجمعين وأقيمت عليهم الصلاة وهم من غير شك شهداء .

كذلك يصلى على من مات في حرب على العصاة وسئل أحد الصحابة هل يصلى على شارب الخمر قال نعم لعله إضطجع مرة على فراش فقال لا إله إلا الله فغفر له .

يقول نعرف أن لبس الحرير حلال للنساء حرام على الرجال لكن لو إستعملناه للجلوس يكون جائزا أم لا ؟

كما ورد نص في تحريم لبس الحرير ورد أيضا في تحريم الجلوس عليه ففي البخارى أن حذيفة رضي الله عنه قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن ناكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه .

فالحديث صريح في تحريم أواني الذهب والفضة والأكل أو الشرب فيها وتحريم ذلك يستوي فيه الرجال والنساء وتحريم اتخاذ الحرير مظهراً من مظاهر الترف فالجلوس عليه واتخاذه مفارش وعمل الستائر غير جائز والحكمة من ذلك تطهير البيت المسلم من الاسراف ومظاهر الترف وفي ذلك كسر لقلوب الفقراء .

وليس في هذا تضييق على المسلم في استعمال الزينة ،فالزينة مطلوبة قال تعالى: قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ،ولكن الزينة ليست قاصرة على الذهب والفضة والحرير فهناك معادن أجمل من الذهب والفضة ويمكن استعمال مفارش وستائر وكسوة المخدات والكنفات من القطن والكتان واحيانا تكون أجمل من الحرير بكثير وبهذه المناسبة تحريم الحرير لا يشمل ما يتخذه الناس من تطريز على الثوب المعمول بالإبرة والمركب على العباءات مسموح بكل ذلك بحيث لا يزيد عن مقدار أربعة أصابع لما ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الحرير إلا موضع أصبعين أو ثلاثة أو أربعة .

إحدى القارئات في الكويت تقول أنوي على العمرة في الأيام القادمة ان شاء الله فاذا جاء العذر وأنا في الطريق ماذا أفعل ؟

● يشترط لصحة الطواف الطهارة من الحدث الأصغر والحدث الأكبر لأنه مثل الصلاة فقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : الطواف صلاة الا أن الله تعالى أحَلّ فيه الكلام فمن تكلم فلا يتكلم الا بخير ..

كما تلبث ان الرسول صلى الله عليه وسلم دخل على عائشة رضي الله عنها فوجدها تبكي فقال أنفست ؟ يعني جاءك الحيض قالت نعم قال ان هذا شيء كتبه الله على بنات آدم فاقضي ما يقضي الحاج غير ألا تطوفي بالبيت حتى تغتسلي فالعذر الشهري وكذلك النفاس يمنع من الطواف، العمرة جائزة طول السنة الا انها مكروهة في يوم عرفة وعيد الأضحى وأيام التشريق ولكنها في غير هذه الأيام جائزة طول العام ومن الممكن أن تقدمي السفر أو تتأخري حتى تأتي الدورة وتطهري منها تفاديا من الحرج كما أنه يجوز تعاطي الحبوب لتأخير الدورة فانت بالخيار

في هذه الأمور .

وبالمناسبة من به عذر دائم مثل سلس البول ومثل المستحاضة يعني التي يستمر نزول الدم عندها هما من أصحاب الأعذار بمعنى ان صاحب العذر يطوف مع وجود العذر ولا شيء عليه غير انه يحتاط من ان يصيب المسجد نجاسة وعمرة صاحبة العذر صحيحة **وما جعل عليكم في الدين من حرج** .

فهد أحمد سالم من أبوظبي يقول :

في أيام المطر نجد بعض المساجد تجمع بين صلاتين وبعضها لا يجمع فلماذا لا تقوم المساجد كلها بالجمع أو تترك الجمع واحب أن اعرف الحالات التي يجب فيها الجمع ؟

● الجمع من أجل المطر ليس واجبا وانما هو رخصة يجوز العمل بها ويجوز عدم العمل بها وثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين المغرب والعشاء في ليلة مطيرة تخفيفا وتيسيرا على الناس ، بعض الفقهاء يبيح للمقيم ان يجمع جمع تقديم بين الظهر والعصر يعني يصلي العصر بعد صلاة الظهر في وقت الظهر وكذلك يقدم صلاة العشاء ويصليها عقب صلاة المغرب ويشترط لذلك نزول المطر وقت الصلاة .

وبعضهم يقتصر في الجمع على المغرب والعشاء فقط تقديما وتأخيرا لو كان فيه وحل أو برد شديد أو مطر يبلل الثياب أو مطر متوقع نزوله .

وهذه الرخصة :

لمن يصلي جماعة في مسجد يسعى الناس اليه من بعيد

اما من يصلي في مسجد أمام بيته أو يصلي جماعة في بيته أو يصل بسيارته الى المسجد ولا يؤذيه البرد أو المطر فإنه لا يجوز له الجمع .

وأجاز الفقهاء الجمع بسبب المرض وهو الذي يسبب لصاحبه مشقة وضررا لو لم يجمع لأن المشقة في المرض اشد من المطر فإذا أبيح في المطر يكون مباحا في المرض من باب أولى والحنابلة توسعوا في ذلك أكثر من المذاهب الأخرى فاباحوا الجمع للمرضع التي يشق عليها غسل الثياب في كل صلاة ولأصحاب الأعذار مثل المستحاضة ومن عنده سلس بول ولمن خاف على نفسه أو ماله أو عرضه عملا بقوله تعالى «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

احمد الحاج علي من مسراطة ليبيا يسأل عن الحَمَام الغريب الذي دخل برج السائل هل هو حلال أم حرام ثم يسأل عن كيس وجد بداخله سلسلة ذهبية وعشرين دينارا وعرف عنه ولم يجد صاحبه ومازال محتفظا به ماذا يعمل ؟

● بالنسبة للحمام اما انه يكون بريا لا صاحب له فهو حلال لصاحب البرج لان البرج كشبكة الصياد وما يقع فيه من صيد حلال .

اما الحمام الأهلي الذي يأتي من منازل أو أبراج مملوكة لآخرين لا ينبغي حبسه ليرجع الى صاحبه وان تعرف عليه صاحبه سلمه اليه وان بقى الحمام في البرج ولم يعرف له صاحب يكون حكمه حكم اللقطة يعرف عنه مدة ثم يأكله ان كان فقيرا ويتصدق به ان كان غنيا مادام قد يئس من معرفة صاحبه .

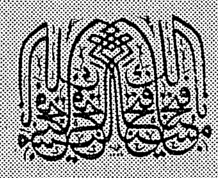
وبالنسبة للكيس فانه يجب عليك ان تعرف عنه وتذكر علامات الكيس وان بداخله قطعة ذهبية وبعض النقود في المكان الذي وجدته فيه وفيما جاوره والتعريف الآن ميسور في الصحف والاذاعة والتليفزيون فإن جاء صاحب الكيس وذكر بالتفصيل ما في داخله فادفعه اليه واذ لم يظهر له صاحب واصل التعريف لمدة سنة فإن لم يظهر بعد سنة حل لك أن تتصدق بما فيه او تنتفع به وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللقطة توجد في سبيل العابرة يعني ليس في الخراب قال عرفها حولا فإن وجدت باغيها فأدها اليه والا فهي لك .
والى لقاء آخر إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله ..

ردود قصيرة

الأخ عتيق الرحمن محمد عزيز المباركفوي من الهندي

ننشر الاجابة كما طلبت في المجلة وهي كالآتي :
أ ـ حكم العقيقة انها سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقلها اصحابه روى اصحاب السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين كبشا كبشا .
ب ـ اذا مات المولود قبل اليوم السابع فالعقيقة غير مطلوبة فهي تذبح عنه ابتداء من اليوم السابع لو كان المولود حيا .
جـ ـ الأحكام التي تجرى في الأضحية هي نفس الأحكام في العقيقة غير ان العقيقة لا تجوز المشاركة فيها بخلاف الأضحية فالمشاركة فيها جائزة ومن الأفضل في العقيقة ان يذبح عن الغلام شاتان متقاربتان في السن وعن البنت شاة .
ويجوز ذبح شاة واحدة عن الغلام كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم .

الأخ لعنيبر عبداللطيف المملكة المغربية
● تارك الصلاة كفرا وجحودا بها كافر لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا فما يؤديه من أعمال أخرى مفروضة أو نوافل فهي غير مقبولة وتارك الصلاة كسلا مع إيمانه بفرضيتها يعاقب على تركها ويثاب على الطاعات الأخرى اذا أداها مستوفاة .



باقلام القراء

التربية الاسلامية للمرأة

كتبت الأخت / سامية عبد اللطيف تحت هذا العنوان تقول :

مما لا شك انه كلما اتجهت المرأة العربية نحو الاخذ بأسباب المدنية الحديثة زادت الحاجة إلى إعادتها إلى مظلة الدين الاسلامي الحنيف ، والتمسك بمبادئه الانسانية والتربوية . ذلك لأنه من المؤسف أن كثيرات ، ولا أقول كل النساء ، قد أغراهن تيار المدنية الحديثة فسرن في هذا التيار مسارا خاطئا ، ذلك لأن هؤلاء النساء قد أخذن الجوانب السلبية من هذه المدنية الغربية وتركن جوانبها الايجابية . وأصبحت الفتاة أو المرأة العاملة وغير العاملة تباهي بارتداء الملابس التي تكشف عن مفاتن جسدها وتغالي في وضع المساحيق والألوان باسم المدنية . فالملابس تارة قصيرة وأخرى شفافة ، وثالثة ضيقة ، والوجوه سافرة والسيقان عارية تقريبا . وفي البلدان العربية التي تعمل فيها المرأة تنال الكثير من جراء الاختلاط سواء في أماكن العمل نفسها أم في وسائل المواصلات العامة مما يبعد بها كثيرا عن الاحتشام وآداب الدين ، وذلك بحجة العمل وضروراته أو المدنية وبريقها . وإذا كانت المرأة حقيقة نصف المجتمع ، فإن هذا أدعى إلى أن توجه الدول العربية والاسلامية جل اهتمامها إليها . وأن تلزمها وتلزم أصحاب الأعمال الذين تعمل عندهم المرأة بالتحشم في ملبسها وفي سلوكها وفي مظهرها وان تفرض عليها العقوبات في حالة خروجها على السلوك القويم وأن تأمرها بالاحتشام والتحلي بآداب الدين الاسلامي الحنيف ـ ليست هذه مجرد دعوة لارتداء الحجاب ، وإنما هي صيحة لكي تعود المرأة العربية والاسلامية إلى ظلال الدين وإلى التمسك به قولا وفعلا وإلى أن تغذي فكرها وعقلها ووجدانها بالثقافة الاسلامية ، وأن تنهل ـ بكل شغف ـ من مناهل الدين العذبة ، وأن تستمتع بحياة التقوى والورع والصلاح والعفة والحياء ، وأن تنبذ التبرج والسفور والتفرنج والتزين القبيح ، وأن تبتعد عن الاسترجال والجرأة الزائدة في الاختلاط بالجنس الآخر .

ولها في القرآن الكريم والسنة

المحمدية والشريعة الاسلامية أسوة حسنة ودستور قيم للتمتع بالحياة الراقية والسامية والرفيعة في هذه الرحاب الطاهرة . وليس للنظريات المادية الغريبة عن المناخ الاسلامي من فائدة سوى أنها تحيل جسد المرأة إلى متاع رخيص . أما القيمة الحقيقية فهي في كل ما هو عفيف وسام ورفيع وأخلاقي وروحاني ، تلك هي السمات الباقية والدرر الغالية في المرأة . فالقرآن يدعوك ، أيتها الأخت المسلمة ، إلى التحلي بجمال الحياء والبعد عن كل ما هو قبيح ، والتحلي بطهارة النفس ويقظة الضمير .

فالحياء يزيد صاحبته جمالا ووقارا ويدفع الناس إلى احترامها وتقديرها .

والحياء يختلف عن الجبن والضعف .

وهي وإن كانت مطالبة بالاتصاف بالحياء إلا أنه لا ينبغي أن تستحي من قول الحق أو فعله . والرسول عليه أفضل الصلاة والسلام يؤكد أهمية الحياء ويجعله جزءا أساسيا من الايمان كما في قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم والترمذي « الحياء من الايمان » والمفروض أن يستحي الانسان أولا من ربه سبحانه وتعالى ، ثم يستحي من الناس ، ثم عليه أن يستحي من نفسه ، وأن يكون له ضمير حي قادر على دفعه لعمل كل ما هو خير وكل ما هو جميل نافع والبعد عن كل ما هو قبيح أو مذموم . وليس هناك أبلغ من قول الرسول الكريم في الحياء « إذا لم تستح فأصنع ما شئت » . رواه البخاري والانسان العاقل يستحي من العار ومن العيب ومن القبيح ومن كشف العورة ومن الجرائم والآثام ومن الضلال ومن الزنا ومن الربا . وقد تدعي المرأة أنها لا تستحي من أحد وأنه لا يهمها حكم الآخرين عليها ، طالما كانت هي في نظر نفسها ، سليمة النية .

ولكن الحقيقة أن لحياة المرأة جانبين كليهما هام وضروري : وهما : مظهرها الخارجي ، وحكم الناس عليها ، وسلوكها الظاهري ثم نيتها الداخلية أو داخليتها . ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول « من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله تعالى » رواه الطبراني ولذلك توصف المرأة عندما تحيد عن جادة الصواب بأنها خلعت برقع الحياء . ولا بد إذن من الاهتمام بالمظهر نفس الاهتمام بالمخبر .. وإذا تمسكت المرأة بالحياء فإنها سوف تتحلى بالطاعة والطهارة والعفة والبعد عن المعاصي .

وعلى ذلك تشعر المرأة دائما بأن الله تعالى ينظر إليها في رواحها وغدوها في سرها وعلانيتها ، وعلى ذلك تكون حيية حتى في غيبة الناس عنها ولعلك تؤمنين معي ، أختي المسلمة ، بأن « قلة الحياء » من أمراض هذا العصر وآفاته .

ولذلك فأنت مدعوة لا للتحلي به فحسب ، وإنما لغرسه في أبنائك وبناتك وفي أخواتك وإخوتك ، في الدين وفي العروبة .

انقذوا لغة القرآن الكريم

تحت هذا العنوان كتب الصديق الأخ /لؤى احمد مصطفى ـ بالجامعة الأردنية ـ الأردن ـ يقول :ـ

إن معجزة الاسلام الكبرى وهي القرآن الكريم الذي أنزله رب العزة جل وعلا على نبي الإسلام الأعظم محمد بن عبدالله كان بلغة أهل الحجاز وهي اللغة العربية .

ويدلنا ذلك على أن اللغة العربية قد كُرِّمَتْ من قِبَلِ الله عز وجل بأن جعلها لغة قرآنه الكريم الكتاب الخالد ولا يقرأالقرآن الا بها ولا تجوز صلاة بغير العربية إذن هذه اللغة اختصت من السماء بعناية وتكريم .

فلغة القرآن الكريم (اي العربية) تمر هذه الأيام بمحنة ما بعدها محنة وهي إهمالها وجعلها شيئا من التقليد فدعوتنا الى الاهتمام باللغة العربية نابع من حِسّ إسلامي صادق لأنها الوسيلة الى فهم كتاب الله وتدبر آياته فكلما زاد فهمنا للغة العربية زاد فهمنا لكتاب الله جلّ وعلا .

فهناك ضعف عام لدى الناس في الوطن العربي في اللغة العربية وا لذي بالتالي ينعكس على ثقافتهم الإسلامية وهذا ما نخشاه ونخافه .

فنسألك ربي أن تعيد لهذه اللغة المقدسة مكانها اللائق والاساسي لأنها وسيلة لفهم كتابك العزيز فكل علم من علوم هذه اللغة مهم لفهم الأعجاز القرآني فمثلا التذوق الجمالي والبياني لمعاني هذا الكتاب العظيم يزيدنا إيماناً .

كذلك دراسة النحو العربي تفيد إفادة كبرى في قراءة القرآن قراءة صحيحة وان القراءة الخاطئة قد تنتج فهما خاطئا وبالتالي التطبيق الخاطىء .

وكذلك فضل الصرف وغيره من أمور اللغة وفقه اللغة للتميز بين معاني الكلمات مثال العبودية وكيف تتنوع معانيها ففي واقع الناس هي الذل والمهانة ولكنها في القرآن الكريم بمعنى التقرب الى الله وشرف الإنتساب إليه كذلك اللغة العربية هي جزء من هوية الأمة الإسلامية إن ما يميز الأمة الاسلامية عن غيرها من الأمم لغتها إضافة لدينها الحنيف ورسالتها السامية .

فعندما يفقد الإنسان هويته يقبع في غياهب التيارات والأفكار المطروحة على الساحة وبالتالي تكون شخصية مستقلة للأمة الاسلامية هي بداية الطريق في بناء مجتمع إسلامي متكامل قادر على الوقوف في وجه التحديات والأفكار المطروحة .

وبالتالي فهم اللغة يؤدي الى فهم القرآن الذي يحوي أسرار الكون وتوجيه الإنسان لاستغلال هذا الكون لخدمته وخدمة دينه .

واللغة وسيلة للدفاع عن الإسلام وأعداء الإسلام فهي وسيلة إعلام يجب الاهتمام بها

إذن اللغة أمانة والحفاظ عليها واجب مقدس فحافظوا على لغة الإسلام لغة كتاب الله العظيم من الضياع والهلاك والله على كل شيء قدير .

مع الصحافة

يميل عدد من المراقبين السياسيين الى الاعتقاد بأن عام ٨٤ سوف يكون عام الحلول : حلول المشاكل المستعصية . **وربما يكون لهذا الاعتقاد دوافع نفسية أكثر** من المسوغات الموضوعية ، فلعلهم ينزعون الى التفاؤل في مطلع العام ، او لعلهم لايتصورون أن يحدث ماهو أسوأ مما حدث في عام ٨٣ من الأزمات والقلاقل والاضطرابات .

على كل حال هناك محاولات سياسية قد تعزز هذا التفاؤل كالمساعي التي تبذل للوصول الى « حل سياسي » للمشكلة الفلسطينية مثلا ، بيد أن هناك ايضا مجموعة من الأحداث نجمت مع مطلع السنة الميلادية ، وهي تضيف سلسلة جديدة من القضايا الى جدول المشكلات المستعصية ، وتزيد من صعوبة الوصول الى مايشبه الحلول التي يتفاءل بها المتفائلون . ففي الشهر الماضي عادت الاشتباكات المسلحة على أشدها الى الساحة اللبنانية ، في الوقت الذي يخوض فيه اهل الجنوب اللبناني حربا متواصلة ضد قوات الغزو الصهيوني ، ويحققون فيها انتصارات يومية تكبد العدو خسائر مستمرة ، وتضطره الى الانسحاب . وقامت طائرات العدو الصهيوني بغارة وحشية على بعلبك وضواحيها ، وصفت بانها أخطر غارة وأبشعها خرابا وقتلا وأكثرها ضحايا منذ غزو لبنان في حزيران ١٩٨٢ . وفي فلسطين المحتلة يمعن العدو الصهيوني في الحرب ضد فلسطينيي عام ٤٨ ، ويعد قائمة تضم ٩١٨ منزلا فلسطينيا في الضفة الغربية سيتم هدمها ، في نطاق اجراءات تتعاون عليها حكومة العدو والحركات اليهودية المتعصبة كحركة « غوش ايمونيم » بغية الضغط على الفلسطينيين وطردهم .

وفي لبنان يدور الحديث عن مشروع اوروبي لانشاء دولة فيدرالية في لبنان تتكون من خمس وحدات اقليمية ، كما ذكرت مجلة النهار العربي والدولي اللبنانية . وفي تونس قتل ـ كما ذكرت مصادر الحكومة التونسية ـ ثمانون شخصا في اضطرابات شعبية اطلق عليها بعض الصحفيين ثورة الخبز . وفي نيجيريا سيطر العسكر على السلطة في انقلاب ساهمت فيه عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية .

هذه لمحات موجزة لأبرز الاحداث التي عنيت بها الصحافة العربية والعالمية ، فاذا اضفنا اليها مالم يحظ بمثل هذا الاهتمام من مشكلات اخرى وجدنا ان الميل الى التفاؤل بحلول للمشاكل المستعصية ليس سوى رغبة نفسية او قد يكون مجرد خيال .

○ المقاومة الشعبية ضد العدو الصهيوني

نشرت صحيفة الوطن الكويتية في ٦ ربيع الآخر تعليقا على العمليات التي يقوم بها الشعب اللبناني في الجنوب ضد العدو الصهيوني بعنوان « نعم هذا هو الحل » جاء فيه :

في اربع وعشرين ساعة شهد الجنوب اللبناني اربعة احداث من التصدي للاحتلال الصهيوني ، باطلاق القنابل والمتفجرات ، او اقامة الكمائن وتفجير السيارات ، تذكيرا لجيش العدو الاسرائيلي بوجوب الرحيل فورا عن تراب لبنان .

ومثل هذا التحرك الوطني ، بالرغم من فداحة الثمن الذي تدفعه جماهير الجنوب اللبناني لادامته ولتلقي نتائج ردود الفعل الصهيونية الحاقدة عليه ، هو وحده السبيل لتحرير لبنان من احتلال يبدو انه يريد لنفسه الاستمرار الى مالا نهاية ، وبخاصة بعدما وضح لكل ذي عينين ان عملية ما سمي بسلامة الجليل ، وقد بدأت في ٦ يونيو ١٩٨٢ ليس هدفها ـ كما زعم العدو في بدايتها ـ ابعاد الثوار الفلسطينيين عن حدود بلادهم مسافة اربعين كيلو مترا ، انما هدفها ان يقتطع الاسرائيليون « نصيبهم » من لبنان وفقا لمشروع التقسيم الاميركي الذي افتضح مؤخرا والداعي الى تمزيق القطر اللبناني الى ثلاثة اقسام يكون احدها لاسرائيل والثالث للموارنة بقيادة الكتائب وآل الجميل ! .

واذا كانت جماهير الجنوب اللبناني قد تاخرت في مباشرة دورها في المقاومة ضد الاحتلال الاسرائيلي .. فيكفي انها وضعت في الاسابيع الاخيرة حدا لصبرها النافذ ، وبدات ماكان ينبغي عليها ان تبدأه منذ اندفعت قوات اسرائيل الى اجتياح لبنان .

○ منظمة التحرير بعد طرابلس

عنيت الصحافة العربية والعالمية بالمساعي التي تبذل على صعيد القضية الفلسطينية بعد خروج رئيس منظمة التحرير ياسر عرفات من طرابلس ، وزيارته مصر . حول هذا الموضوع نشرت صحيفة الغارديان البريطانية مقالا في اوائل ربيع الآخر جاء فيه :

حتى الآن نجح الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات في احكام قبضته الشخصية على مؤسسات فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية ، أو ما تبقى منهما ، بعد ابعاده عن طرابلس وبعد زيارته المثيرة للجدل للرئيس المصري حسني مبارك .

لقد امتنعت اللجنة المركزية في بيان لها من تونس ليلة الاربعاء الماضي عن توجيه نقد جاد للاجتماع مع مبارك وقالت ان ماوصفه عرفات بأنه كان « اجتهادا شخصيا » كان « مفاجأة » لكنها في الوقت نفسه اكدت على « الدور القيادي » لمصر في العالم العربي وعلى الحاجة لاسترداد هذا الدور .

وقررت اللجنة المركزية تكوين لجنة فرعية خاصة لدراسة العلاقات مع مصر . كما دعت لتطوير العلاقات بين الاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية للعمل من أجل مشروع السلام العربي الذي اقرته قمة فاس في سبتمبر ١٩٨٢ .

وفي تطور رئيسي آخر طرد المجلس العسكري لمنظمة التحرير الفلسطينية من بين صفوفه المعارض الرئيسي لعرفات العقيد ابو موسى زعيم المعارضة في فتح واربعة آخرين

من قادة الفدائيين ومن ضمنهم احمد جبريل زعيم الجبهة الشعبية ـ القيادية العامة ـ المؤيدة لسوريا .
وقالت مصادر دبلوماسية ان عملية الطرد هذه كانت محاولة لتحطيم الفئات المنشقة داخل المنظمة .

وجاءت نجاحات عرفات في الوقت الذي دعا فيه الملك حسين ملك الاردن لعقد دورة طارئة للبرلمان فيما اعتبر محاولة لاحياء محادثات السلام في الشرق الاوسط ليكون هو نفسه في قلبها بقوة . وفي الوقت نفسه يحاول الملك مرة اخرى ـ لكن من موقف اقوى كثيرا الان من قبل ـ اشراك عرفات في خططه . هذا ولم تجر انتخابات عامة في الاردن منذ ماقبل احتلال اسرائيل للضفة الغربية من الاردن عام ١٩٦٧ . وتم حل البرلمان مباشرة بعد القمة العربية في الرباط في نوفمبر ١٩٧٤ التي اعترف الملك حسين فيها بمنظمة التحرير الفلسطينية « ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني » ، متنازلا من الناحية النظرية لعرفات عما فقده ماديا للاسرائيليين .

○ الغارة الوحشية الصهيونية على بعلبك

تعتبر بعض الصحف الغارة التي شنتها طائرات العدو الصهيوني على بعلبك دليلا على موقف الضعف أمام المقاومة الشعبية في الجنوب ، ولاشك في ان ذلك صحيح كل الصحة ، فلم يكن العدو الصهيوني ليذعن منذ غزوه للبنان عام ٨٢ الا للضربات الموجعة التي تعرضت لها قواته في الجنوب ، تلك الضربات التي تدفعه دفعا حثيثا الى الانسحاب السريع .

حول هذا الموضوع نشرت صحيفة الموند الفرنسية في أوائل ربيع الآخر مقالا جاء فيه :

الغارة الاسرائيلية الجوية على بعلبك وضواحيها ، هي الاشد خطرا والابشع خرابا وقتلا والاوفر ضحايا منذ غزو لبنان في حزيران ١٩٨٢ .
فلقد اثبتت التجارب من قبل ، كما اكدت نفسها في ٤ يناير الجاري عدم قدرة اسرائيل للدفاع عن قواتها البرية ازاء العمليات المتصاعدة التي تشنها القوى الوطنية اللبنانية ، في الجنوب .
وهذا هو السبب نفسه الذي دفع بالقيادة العسكرية الاسرائيلية لاتخاذ قرارها الاخير بسحب قواتها من مدينتي صيدا وصور . ويجب أن نعرف انه ، منذ بداية الحرب الحقيقية في اعقاب غزوها لبنان ، سقط من الاسرائيليين مئتان وثمانية قتلى بالاضافة الى ثمانمائة جريح في جنوب لبنان وحده .

والاعتداءات الاسرائيلية هذه من شأنها أن تزيد من كثافة وقوة المقاومة اللبنانية في الجنوب وأن تزيد من مناعتها وحركتها وتنشط معها العمليات الفدائية التي تقوم بها ضد الجيش الاسرائيلي المحتل ، والذي يعزز مواقعه الى الجنوب من نهر الأولي ولكن البعض يتساءل بصدد هذه الغارة الاسرائيلية الواسعة : بمثل هذه الضربة المتوحشة ، الا تريد اسرائيل التدليل ، مرة اخرى بعد مرات سابقة بانها ، في مثل هذه اللحظة حيث يمتد خيط امل رفيع لامكانية قيام مصالحة وطنية شاملة في بيروت ان لا مصالحة ولا تسوية ممكنة في لبنان بدون موافقتها هي ؟

○ انقلاب نيجيريا

تحظى نيجيريا بأهمية خاصة لأسباب عدة : فهي ـ كما توصف ـ « عملاق افريقيا » مساحتها ٩٢٣ ألف كم٢ وفيها من السكان مئة مليون نسمة أكثرهم من المسلمين ، وهي سابع البلدان المنتجة للنفط في العالم ، ومن المعتقد أن مايطرأ على أوضاع نيجيريا يؤثر على نحو أو آخر في البلدان المجاورة لها .
حول الانقلاب العسكري في نيجيريا وأوضاعها العامة نشرت مجلة المستقبل في عددها ٣٥٩ للسنة السابقة مقالا جاء فيه :

تكاد نيجيريا تشبه العديد من البلدان التي غرقت في نعيم النفط . فهي الدولة السابعة في انتاج النفط في العالم . ولذلك كان طبيعيا ، مع ارتفاع اسعار النفط بعد حرب ١٩٧٣ ، ان تشهد « سبع سنوات سمان » فالنفط يشكل ٩٠ بالمئة من صادرات نيجيريا و ٨٠ بالمئة من الدخل القومي النيجري . ففي عام ١٩٧٩ كانت نيجيريا تصدر ٣ر٢ مليون برميل يوميا . ونتيجة لهذا الدخل الكبير وغير المتوقع ، دخلت نيجيريا في دائرة « البذخ » على جميع الاصعدة . وقامت الحكومات المتعاقبة بتحضير مشاريع ضخمة استهلكت انتاج النفط لسنوات . وما ان جاءت مرحلة انخفاض الاسعار والطلب على النفط ، حتى سقطت نيجيريا في دائرة العجز المالي ، وتحولت بين ليلة وضحاها من دولة تقرض جاراتها ، الى دولة تستقرض الأموال ، حتى من البنك الدولي بكل شروطه القاسية . وبهذا تحول « العملاق » الى « عملاق مريض » ، يتخبط في سعيه للخروج من أزماته المتلاحقة .
وكانت التجربة النيجيرية الأولى مع النظام الديمقراطي ، فسلم العسكر ، قبل اربع سنوات ، البلاد للمدنيين وتم انتخاب الرئيس شاغاري رئيسا للدولة الاتحادية . وقام في آب (اغسطس) من العام الماضي بتجديد رئاسته فترة ثانية بواسطة الانتخاب بأغلبية كبيرة . لكن الذي حصل ان شاغاري تسلم البلاد ، وهي في بداية مرضها النفطي ، فبعد ان كانت نيجيريا تنتج وتصدر ٣ر٢ مليون برميل يوميا ، أصبحت تصدر في عام ١٩٨٢ ، حوالي ٣ر١ مليون برميل يوميا ، اي انخفض انتاجها حوالي ٤٥ بالمئة . كذلك فان سعر البرميل انخفض الى ٢٩ دولارا لا بل اكثر من هذا فان نيجيريا باعت نفطها في السوق السوداء ، بسعر لا يتجاوز ٢٢ دولارا للبرميل الواحد .
ولم تقف حدود كارثة النفط هنا على اقتصاد البلاد . فقد غرقت نيجيريا ، خلال موجة المد النفطي ، في فساد مالي مريع ، نتيجة لأعمال السمسرة والرشوة . واذا كانت أموال النفط المتوقعة قد حجبت انعكاسات هذا الفساد في السنوات الاولى الا انه مع بداية الأزمة ، خرجت امراض الفساد الى السطح ، خاصة في السنوات الأخيرة . وقد بلغ الأمر حدا جعل احد الموظفين الكبار في قطاع النفط يستولي على ٢٢ مليار فرنك فرنسي ببساطة ، والأسوأ من هذا انه عندما اكتشف امره ، لم يلق القبض عليه ، ولا حتى اعلن عن اسمه ، وانما فقط تم التفاهم معه على اساس ان يعيد المال الذي استولى عليه للخزنة . ثم استشرى الأمر اكثر ، فاصبحت شوارع واوتوسترادات نيجيريا ، خاصة العاصمة لاغوس ، خالية من السيارات بعد التاسعة ليلا ، نتيجة للحوادث العديدة التي وقعت والتي طالت بعض المسؤولين انفسهم . وقد وصل الأمر الى درجة ان قائد شرطة لاغوس قال في تصريح له « لقد اصبحت السرقة جزءاً من النظام . لقد اصبحت جزءاً من القطاع الخاص الناشط في البلاد » .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص . ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص . ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص . ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان : مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء : دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .



طباعة موسسة دار السياسة - الكويت -